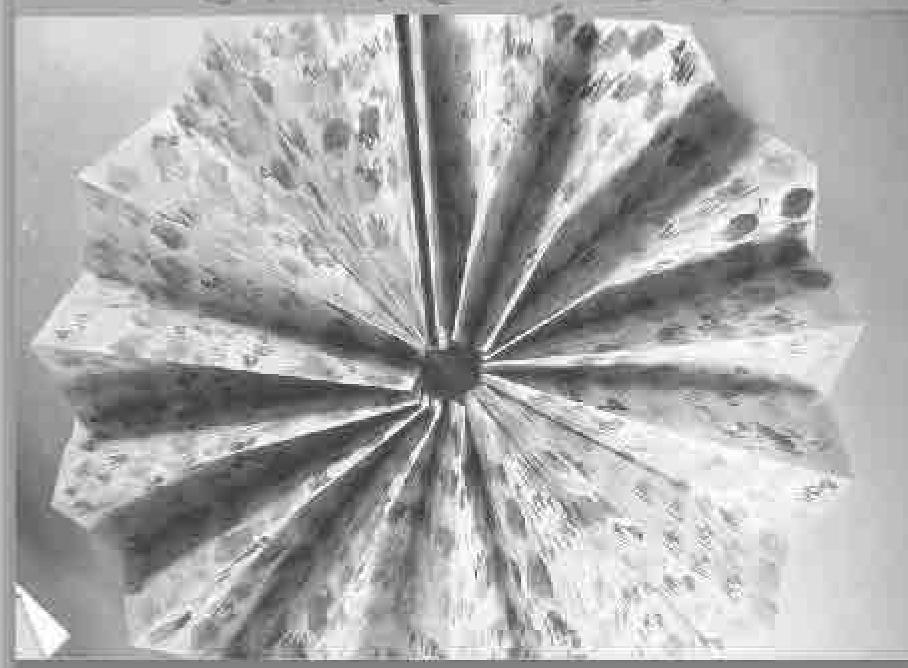
الدوحة

مجلة عربية ثقافية جامعة

ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

- نساء الفرنجة في الأدب الشعبي العربي
- قصة الكولسترول.. أو "عفريت الدم"
- تفاصيل الليلة الأخيرة في حياة صلاح عبد الصبور







الأنفع للناس هو العدل سياسيا كان او اجتماعيا ، والشورى ولو بين افراد الأسرة الواحدة ، والنظام الشامل لا الفوضى السائدة والحرية التي تكتمل في جوها العقول وتنضج الملكات . والتعارف لا التناكر ، والتعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، وإتاحة الفرص للفطر السليمة والمواهب الرفيعة أن تنفح وتبدع .

جاء في القران الكريم هذا الحكم الحاسم : «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون . إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين » ما معنى وراثة الأرض ؟ ومن هم العباد الصالحون ؟

من تتبع الآيات المشابهة في القران الكريم نجد ان هناك معنيين لوراثة الأرض :

الأول - وهو الشائع بين العابدين - يتصل بالدار الآخرة . اي ان العراك الرهيب في هذه الدنيا ، والميدان المليء بالانتصارات والانكسارات والصاعدين والهابطين والمكثرين والمقلين والظالمين والمظلومين سينتهي حتما لمصلحة الاخيار من الناس فهم الذين يضعون أيديهم على مصيرها ، وتقر اعينهم بما اسلفوا فيها !

وفي هذا يقول الله تبارك اسمه ، واصفا ما يدور على السنة المؤمنين بعد هذه النهاية « وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ، واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين » .

الرواية إذن ليست هزلية كما يقول احد الكتاب الاوربيين لجلسائه وهو يحتضر ، ويرسل اخر انفاسه في هذه الدنيا : اسدلوا الستارة فقد انتهت المهزلة !

إن الستار يسدل على فصل ليزاح عن فصل اخر اخطر وابقى ! وقصة الحياة ليست تمثيلية مضحكة او مبكية ! «افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم إلينا لا ترجعون ؟ فتعالى الله الملك الحق ..» الأمر جد لا هزل ، والظالم الضاحك هنا سوف يبكي طويلا ! ، والمضطهد المرمي وراء الأسوار سوف يتقدم كثيرا ، والمستقبل البعيد للخير لا للشر ...

وهناك معنى اخر لوراثة الارض نريد ان نتريث عنده طويلا .. نجده في قوله سبحانه عن بني اسرائيل في صراعهم مع الفراعنة ، وبعد محنتهم باستئصال الذكور واستبقاء النساء « واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ...»

وظاهر ان هذا الصراع بين الحق والباطل طال امده ، لقد بقي عشرات السنين التي لاقى المستضعفون خلالها عنتا هائلا ، وتحملوا تضحيات ثقيلة ، ولكنهم صبروا ! وكان هذا الصبر كان النار التي اشعلت في كيانهم لينضجوا ويصلحوا لميراث الارض !

ومع ان عقيدة التوحيد اجدر بالنصر من اول يوم عندما تشتبك بالاستبداد الفردي وادعاء بشر للالوهية ، إلا أن حملة العقيدة لا يكتب لهم الفوز حتى يبلغوا مستوى معينا من الكمال الشخصي والرقي الاجتماعي والقدرة على إسداء الخير العام.

تلك هي حقيقة الصلاح التي ينبغي ان يعرفها العابدون !

قد تسال : من اين اتت هذه الشروط التي ذكرتها ؟ والجواب : من وصف الله للحق واهله والباطل واهله في آيات اخرى

تفسر المجمل هنا ، والقرآن يفسر بعضه بعضا ..

إن القرآن الكريم يجعل الخاصة الاولى للحق أنه ينفع الناس ماديا وأدبيا ، وتسعد به الجماهير في عاجل امرها وآجله ! قد يعلو الباطل ولا قيمة لعلوه فالغثاء الرخيص قد يكسو سطح الماء ، والجيف الميتة قد تطفو فوق التيار ، ولا قيمة لهذا ولا لذاك ، تدبرقوله تعالى «انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبدا رابيا ، ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض».

والانفع للناس هو العدل سياسيا كان او اجتماعيا ، والشورى ولو بين افراد الاسرة الواحدة ، والنظام الشامل لا الفوضى السائدة ، والحرية التي تكتمل في جوها العقول وتنضج الملكات ، وتمحص الاراء ، والتعارف لا التناكر ، والتعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، وإتاحة الفرص للفطر السليمة والمواهب الرفيعة أن تنفح وتبدع ...

●●

إن حملة العقائد الجديرين بالنصر ليسوا قطاع طريق ورجال عصابات ، إنهم طلائع المعرفة واشعة اليقين واصحاب الأخلاق الزاكية والانفاس الطاهرة ، انهم - بايجاز - صانعو النهضات الحقيقية ، واخلاف النبيين التقاة وقادة الفكر الواعي والسلوك المجدي .

هؤلاء هم الصالحون الجديرون بالسيادة فى الدنيا .

إن الله لم ينصر العرب قديما لانه حابى جنسا على جنس ! ولكن لأن عدل عمر انفع للانسانية من جبروت كسرى ، وضوابط الوحي عند الصحابة الاولين افضل للناس من تحريف أهل الكتاب .

والصدق اثقل في الميزان من الكذب ، عندما يكون الصدق سمة جيل يتحرك به ويموت في سبيله لا عندما يكون خطبا رنانة وصحائف مزوقة ..!!

إن انتصار العرب على الفرس والرومان يعني انتصار حضارة متفوقة على حضارات تعفنت ووجب دفنها ! لا محاباة هناك ، انما هو اطراد السنن الكونية التي وضعها الله للمجتمع البشري قديما وحديثا .. وطبقت بصرامة على الانبياء والصديقين كما طبقت على العتاة المفسدين « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ..

ونسال مرة اخرى : ما هو الصلاح الذي تعنيه الآية « .. ان الارض يرثها عبادي الصالحون» هل هو قدرة على الصلاة والصيام وعجز عن الجهاد وعن صنع الالة التي يحيا الايمان في ظلها ؟ هل هو رغبة في الطعام وعجز عن احياء الموات وتكثير النبات ؟

لننظر هذه المرة إلى العبد الصالح الذي انزل عليه الزبور كما انزل الذكر على نبينا ، لننظر الى داود ولنر عناصر صلاحيته ! يقول الله في داود « ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير .. » كان الرجل العابد يتغنى بأمجاد الله ويسبح بحمده ، وكانت العاطفة الحادة تشيع في غنائه فيهبط لها الطير ، وتتردد اصداؤها في الجبال .

فهل اكتفى بهذه الروحانية ؟ كلا ! لقد ضم إليها مهارة صناعية عظيمة ووجهه الوحي إلى إجادة الصناعة التي لانت له ، واحكام نسج الدروع التي كانت قديما من ادوات القتال ..

فماذا بعد الغناء بعظمة الله ، وصنع الاسلحة للدفاع عن دينه ؟

وصفه القرآن بانه كان صاحب توبة ، وصاحب دولة ، وارشده إلى أن يحكم بين الناس بالحق ، والا يتبع الهوى ! كما بشره بحسن المآب لسرعة استغفاره ، وحسن سجوده ! .. عناصر الصلاح هنا تجمع اكتمالا نفسيا وصناعيا وسياسيا اي عناصر حضارة مؤمنة لا يجوز أن تتناساها الامم ، ذكرت في الزبور الذي استمع له بنو اسرائيل قديما كما ذكرت في القرآن الكريم الذي نهض به العرب وسادوا ..

والمعروف من بدء الخليقة أن الانسان اوتي علما عجزت عن مثله الملائكة ، وان هذه النشاة العلمية هي المهاد الأول لحركته الذكية في البر والبحر - والجو - وكل ما كلف الانسان به - بعد هذا التمكين - أن يعرف : من سَوَّاه ؟ ومن فَضَّله ؟ من صاحب هذا الكون الكبير ؟ ما حقوقه ؟

فلا يجوز له بعد هذه المقدمات البينة أن يزعم للكون ربا اخر يتوجه بعمله اليه ، ولا يجوز له ان يحيا متمردا على المنهج الذي خطه له ! وانها لخسة محقورة أن يجحد المرء أصل وجوده وولي نعمته ، وان يعيش وفق منهج اخر يخطه هو لنفسه او يخطه شيء آخر له ! هذا هو الشرك المرفوض «قل افغير الله تامروني أعبد ايها الجاهلون ؟ ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين » .

والمطلوب من الانسان الا يدع عقله مطية لهواه ، والا يجعل خصائصه الادبية الرفيعة طيعة لغرائزه الدنيا ، ولا اثرته الخاصة ، فانه إن فعل ذلك اهلك نفسه ومن معه على سواء ..

فالانسان الصالح ليس صاحب العقل الكبير فقط ، بل ينبغي أن يكون كذلك صاحب قلب سليم وضمير يقظان وقدرة على كبح نفسه وامتلاك رغبته ..

ولباب الدين هذه الحقائق وما يضبطها وينميها من عبادات ..

بيد أن هناك ناسا مرضوا كما تمرض النباتات والحيوانات ، ونسوا كلا او جزءا مما ذكرنا ! وليتهم لما مرضوا نشدوا العافية كي يحيوا أصحاء ، كلا ، لقد حسبوا امراضهم هي الاصل ، او هي طبائع الاشياء ، وارادوا فرض ذلك على الدين والدنيا ..!!

الارض ذلول للانسان منذ نشاته الاولى

ميراث الأرض لمن..؟

فاذا البعض يعجز عن امتطاء هذه الوسيلة الذلول لانه كسيح معلول ، فاذا هو يريد جعل كساحه الفكري فلسفة تعتنق او دينا يتبع ! واذا هو يستحلي الجهل بالدنيا وتجهيل غيره فيها ! ومن ثم امست الغربة على المادة وقوانينها واسرارها شريعة الامم المتخلفة ، والظاهرة المنتشرة فيما يسمى اليوم العالم الثالث !!

من قال : إن هذا الجهل صلاح ؟ وانه طبيعة الدين ؟ اي دين ؟ الدين الذي يقول لاتباعه : «ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش ...» ؟ الدين الذي يقول لاتباعه « .. وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب » ؟ إن اولئك المتخلفين عقليا وحضاريا فقدوا اهم معالم الصلاح ! وهم اعجز ان يقيموا مجتمعا تقيا ، او يقاوموا مجتمعا كفورا ...!

والمتخلفون عقليا وحضاريا يستحيل ان يصنعوا صحوة اسلامية لان الصلاح في الاسلام ليس خيمة من الغيبيات يهرع اليها العجزة ! إنه اقتدار في عالم الشهادة يتمكن المرء به ان يحمي ايمانه المعقول بكل الوسائل الممكنة في الأرض والسماء . !

●●

قال لي شاب طيب ينشد المعرفة ، وقد بوغت بما اقرر : هل الأوضاع في الحضارة الحديثة اتقى لله واجدر بالبقاء من الأوضاع بيننا معشر المؤمنين المتخلفين ؟

قلت له : ما احسن هذا السؤال ، واريد ان اجيب عنه بتؤدة حتى نعرف مالنا وما علينا ...

إن الحضارة الحديثة بشقيها الغربي والشرقي احرزت تقدما هائلا خدمت به اغراضها الرديئة ! ولكي نكون احق منها بالقيادة والسيادة يجب علينا ان نحرز تقدما علميا مثل او اوسع من تقدمها . ولا يكفي هذا ! بل يجب ان نضم الى هذا التقدم العلمي تقدما خلقيا يجعل تفوقنا الحضاري في خدمة مبادئنا ومثلنا العليا ..

تقول : كيف ؟ فلاشرح ما اعني .. إن الاوربيين اثاروا الأرض وعمروها اكثر مما اثرناها نحن وعمرناها . وقدروا على استخراج معادنها الجامدة والسائلة على حين عجزنا نحن كل العجز !

افلا يزين لهم هذا السبق انهم اولى بالأرض منا ؟ وان مبادئهم احق بالبقاء من مبادئنا ؟ وان ارباح هذا السبق حل لهم وحرام علينا ؟

فاذا حدث ـ بعد زمان طويل او قصير ـ ان تلاشى ذلك التفوق بقي امر اخر ذو بال ! اين تفوقنا الاداري في ميدان الحكم والمـال ؟ إن الحقب الاخيرة في دولة الخلافة الغاربة لا تشرف الاسلام في ذلك المجال ! إن الشورى وحقوق الانسان وكرامة الجمهور وحصانة المال العام سمات بارزة في الدولة العصرية ! فهل هي سمات بارزة في تصورنا نحن لفن السياسة ؟

إن السلطان سليم الاول وجه جيشه ـ بغباء فذ ـ لاحتلال مصر ، والقضاء على دورها الرئيسي في الصف الاسلامي فهل هذا المسلك نموذج للتصرف الراشد ؟ وهل احتج عليه احد ؟

المؤسف ان عـددا من المتحـدثين في الاسلام لا يدري عن الادارة الاسلامية راسا من ذنب ، ولا يعي الضوابط الدقيقـة لحماية الدماء والآراء والافراد والجماعات ! فهل نصف هذه الجهالة بانها صلاح يرث اصحابه ارض الله ، ويطبقون فيها شرائع الله ؟؟

كلمة الصلاح تعني الصحة النفسية والفكرية والاجتماعية ، وابعد الناس عنها هم المعلولون في تلك النواحي جميعا . واني اعجب من عجز إنسان عن حماية المسجد وهو يعلم ان هناك خصوما يتربصون به ، ويريدون تخريبه مصداق قوله تعالى : «ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها»

ما سر عجزه ؟ انه لا يستطيع صنع الاسلحة التي يدفعها عنه ! وها هم اولاء إخواننا في افغانستان يعانون الامرين في الذود عن بلادهم ومساجدهم وعقائدهم ، لان الجبهات التي تبيع السلاح لا تمدهم بما يغني !!

هـل التخلف الكيمـاوي والهندسي والفيزيائي من معالم التقوى ؟

إذا نبه الله عباده إلى ان الأرض يرثها عباده الصالحون ، فمعنى ذلك الصلاح اوسع من ركعات تؤدى او ايام تصام ، انه علم رحب الآفاق بكل شيء في مقدور البشر وعدل ممدود الرواق لا يشقى معه ضعيف ! ولا يزيد فيه نصيب مؤيد على نصيب معارض ! ونظافة تنتظم الوجوه والثياب والبيوت والشوارع والقرى والمدن ، وامان ضد الجوع والقلق وطوارق اليوم والغد ، وكفالة لحرية العقل والضمير تنمو فيها المواهب وتنضج الملكات وتكتمل الشخصية وتصان المرافق العامة والخاصة ...

قال لي الشاب الطيب : انك أسهبت في وصف الأوضاع الرديئة التي طرات على المسلمين في هذا العصر ، بيد ان هذه الأوضاع مهما ساءت لا تحرمهم حق القيادة لانهم حملة رسالة الحق ، ولا تجعل اعداءهم اولى بالله منهم ! ولا تنس ان حضارة الغرب مدمرة لا معمرة ، وانها توجه ذكاءها إلى إشقاء البشر ، ولابد ان يلحقها عقاب القدر .

واستتلى بقول : هل تعلم ان انتاج قنبلة زنة عشرين كيلو يساوي شراء ثلاثين طنا من الفحم الكافي لتدفئة ٢٣ اسرة طوال فصل الشتاء ؟ وانه يمكن بثمن مدمرة واحدة بناء مستشفى حديث يتسع لمائة مريض ؟ وبثمن دبابة واحدة يمكن صنع ٤٨ جرارا زراعيا تنشيء الحياة لا الهلاك ؟ وبثمن طائرة مقاتلة يمكن انشاء ١٥ مدرسة تتكون كل مدرسة من ستة فصول ؟ وان بعض قاذفات القنابل يبلغ ثمن الواحدة منها ٥٠ الف طن من القمح ...الخ

قلت للشاب الطيب : إن ما تذكر لا يواري سوأة التخلف الذي تعيش فيه امم العالم الثالث ، ولا يشفع للمسلمين امام

الله عندما يحاسبهم على قصورهم الحضاري وتقهقرهم الصناعي ..

لقد انهزم المسلمون في احد لانهم لم يستجمعوا المقدمات التي تنتج النصر ! ولم يكن المشركون اولى بالله منهم ! إن الله وضع للنصر أسبابا كثيرة واوجب على عباده كلهم رعايتها . فمن ابى فلا يلومن إلا نفسه !

وهل تلاشى الوجـــود الاسلامي في الاندلس وفي غيره إلا لهذا الغرور الذي زين للمسلمين الاسترخاء الفكري والكسل العقلي ، واطمعهم ـ مع ذلك ـ في النصر ؟ كيف وهم يقرءون في كتابهم « إن الله لا يصلح عمل المفسدين ! ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون »؟؟

أما الاحصاءات التي ذكرتها عن تكاليف أدوات الدمار فهو شيء مخز حقا ، ولكنه يمسنا قبل أن يمس غيرنا !

قال : كيف ؟ قلت : إن القوم لم يدعوا شبر ارض عندهم إلا زرعوه . ولا مدارس او مستشفيات تحتاج اليها شعوبهم إلا دنوها وتكليفهم أن يصنعوا مثل ذلك في أرجاء العالم الثالث موضع نظر . ان اثرتهم عمياء واستعلاءهم خبيث ، وسيقولون : لماذا نخدم قوما لا يخدمون انفسهم ؟ قوما ينفقون على شهواتهم اضعاف ما ينفقون على وسائل الرقي والازدهار ؟

والواقع ان مصيبة العالم الثالث في ملكاته واخلاقه افدح من مصيبته في ثرواته وارزاقه ...

والعرب اليوم يشتبكون في حرب مع المغيرين على الأرض المقدسة ، ترى كيف نصف الأوضاع العامة داخل الأرض المحتلة ، وكيف يطرد العرب أسرة اسرة من مدنهم وقراهم ؟ إننـــا نلحـظ بين اليهـود ما يلي:

أ ـ اليهودية سلاح فعال في الهجوم ! ومواريث التوراة والعهد القديم كله والتلمود وكل الاساطير الشائعة بين القوم تستخدم لالهـاب الحماس بين العامة والخاصة .

ب ـ الأنوثـة قسيمـة للذكــورة في بنــاء الدولـة والمجتمع ، والمراة هي التي تحدد جنسية اليهودي اذا اختلف دين الزوجين . وهناك فرق نسائية جيدة التدريب على الحرب (!) والسلم ورئيسة الوزراء « جولدامائير » هي التي كشفت قماءة بعض الزعماء العرب وانزلت بهم انكى الهزائم ..

جـ ـ وجهت تهمة السرقة إلى وزير الاديان «هارون ابو حصيرة» وعوقب بالسجن (!) واعفي كذلك رئيس الوزراء « اسحاق رابين» من منصبه لمخالفات مالية لا تشين ذمته ، نسبت إلى امراته !

د ـ في تحقيق رات الادارة اليهوديـــة إجراءه لتحديد الدور اليهودي في مذبحة بيروت « صبرا وشاتيلا» امر القاضي «كاهان» باخراج الوزير شارون من الوزارة ، ونقد الحكم ، وإن اعاده « بيجن » إلى الحكومة بلا وزارة يشغلها ...

هـ ـ راى «بيجن» ان يترك العمل الحكومي بعدما حقق لقومه اطماعا رهيبة ، فخرج دون إحراج أو إزراء وقعد في بيته محفوظ المكانة بين بني جنسه ... الخ

واليهـود يصنعـون انواع الســـلاح ويبيعون ما يفيض عن حاجتهم ، ويرى المراقبون انهم اتموا صنع القنبلة الذرية وسواء صح هذا أم لم يصح فهم متقدمون صناعيا إلى حد بعيد أو إلى حد مخوف .

ولا اريد ان ابحث المقابل لهذه الاوصاف بين العرب ! وانما اذكر باستغراب أن العرب في فلسطين او في الجامعـــة يستبعدون الاسلام سلاحا . ولو كان دفاعيا مع انهم يترنحون تحت وطاة العقيدة المهاجمة !!

قلت وانا غاضب : اذا لم يكن هذا ارتدادا عن الاسلام فهو خيانة للاوطان ! فقال لي احد الناس إن بعض المتدينين هم السبب في هذه الطامة ! المستمع الى اقوالهم والناظر في احوالهم يرى العجب .

لا شيء هنالك اهم من الجلباب القصير واللحية الطويلة . والنقاب السميك . والترويج لبعض النظرات في فروع الفقه وجعل بعض العادات المحلية دينا عالميا ... اما التفوق العلمي والصناعي فشيء لا لا يعنيهم ! وكذلك اعتناق فهم ناضج في سياسة الحكم والمال . لكانهم يؤثرون الاستبداد على الشورى . والراسمالية على العدالة الاجتماعية و ..

قلت له : صه ! دعك من هذا المجون . ان الاشخاص الذين تعنيهم ما كان لهم وجود حقيقي يوم كان الدعاة الراشدون يتكلمون ويوجهون . إن اولئك القاصرين دفعتهم الى الأمام قوى محلية وعالمية تكيد للاسلام وتؤخر صحوته وتود له العنت والبوار ...

●●

وعدت الى نفسي كي استعرض الأمور كلها . إنني خائف مع انهزام الفقه أن يتقدم الاغبياء وينفردوا بالقيادة ، وتلك هي الفرصة المتاحة للاستعمار الثقافي كي يجهز على ديننا ويقضي على مستقبله ..

وتذكرت رسالة جاءتني من احد طلابي الذين يستزيدون من المعرفة في الولايات المتحدة يقول فيها « ... كنت في مكتبة عامة لجامعة (...) فاذا طالب عربي يلبس جلبابا أقرب الى ان يكون قميصا ، وفي فمه سواك يديره احيانا ويثبته احيانا ، وددت لو كانت لحيته مهذبة ! لقد كان منظره العام رسما كاريكاتيريا للاسلام يثير السخرية ...»

ان هذه المناظر المؤذية كثيرة ، وما ارتاب في أن وراءها اصابع خفية تعمل ضد الاسلام !

لقد ان الأوان ليعلم المسلمون معنى قوله تعالى : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون . إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين » .

محمد الغزالي



مئات الملايين ومليارات الدولارات ينفقها البشر في انجازات علمية تبدو في ظاهرها رائعة

يحق للبشرية أن تفخر بها، بينما يكمن في باطنها الشر المستطير لهذه البشرية نفسها...

بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

السيد ليوندبرغ مواطن سويدي اجريت له منذ عدة شهور في بريطانيا عملية جراحية جريئة وخطيرة، هي الاولى من نوعها في ذلك البلد، الا وهي زرع قلب ورئة من احد المعطين في صدر السيد ليوندبرغ مكان قلبه ورئته التالفين.

وقد اجريت هذه العملية للسيد ليوندبرغ السويدي في بريطانيا لا عن ضعف في كفاءة جراحي السويد بلده الشخصي، بل لان قانون بلده ذاك يقف امام بعض جراحات نقل الاعضاء. فالقانون السويدي لا يعترف بما يسمى بالموت الدماغي، وهو المرحلة التي تعتبر فيها القوانين الاخرى الانسان ميتا عندما ينعدم نشاط دماغه انعداما تاما لا رجعة فيه، ولو ظلت بقية اعضائه، ومنها القلب تعمل عملها الصحيح. ولذلك فان القانون في السويد لا يقبل بانتزاع قلب اذا ماتت جملته العصبية المركزية، بمعنى ان دماغه فقد كل اثر للحياة، كي ينقل هذا القلب الى انسان اخر ولو كان في هذا النقل حياة الانسان الاخير الذي تلف قلبه بينما ظلت سائر اعضاء جسمه سليمة.

وعلى هذا اجريت تلك الجراحة الخطيرة لذلك المواطن السويدي في بريطانيا، برضى الحكومة السويدية نفسها بل بتبنيها لها. فقد تولت هي، اعني الحكومة السويدية، دفع تكاليف العملية كما تولت بلدية مدينة السيد ليوندبرغ دفع نفقات اقامة مواطنها في المستشفى. وبلغت تلك التكاليف والنفقات مبلغا لا يستهان به: خمسة وثلاثين الف جنيه استرليني، من جنيهات صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا العظمى!

هل يبدو هذا المبلغ كبيرا لانجاز تلك العملية الفذة التي ابقت شعلة الحياة متقدة في صدر السيد ليوندبرغ واطالت عمره؟ انه كبير حقا، إلا انه يهون امام ما تكلفه عمليات اخرى لنقل الاعضاء اجريت في الولايات المتحدة الامريكية، مثل عملية زرع كبد استبدلت فيها بكبد معطوبة كبد صحيحة، ماخوذة من مدهوس بسيارة او من ضحية حادث مات فيه صاحبها موتا دماغيا بينما ظلت بقية اعضاء جسمه سليمة. عملية زرع الكبد هذه كلفت بالدولارات ما يعادل مائة وثلاثين الف جنيه استرليني! ترى ماذا يكون رد فعل ذلك العاشق القديم حين ياتيه الجواب بهذا الرقم من الاف الجنيهات على السؤال الذي طرحه ذات يوم في بيت شعره المشهور:

ولي كبد مقروحة من يبيعني
بها كبدا ليست بذات قروح؟...

●●

اذن فان مبلغ خمسة وثلاثين الف جنيه استرليني مبلغ معقول لعملية زرع قلب ورئة جديدين للسيد ليوندبرغ السويدي، تلك العملية التي نجحت من الناحية الفنية والعملية نجاحا كاملا ولكنها، وبالاسف، لم تفلح في اطالة عمره أكثر من اسبوعين اسلم بعدهما الروح لخالقه. وكذلك فان مئات الآلاف من الدولارات تنفق على تبديل كبد لواحد من رعايا الولايات المتحدة الامريكية قد تبدو مقبولة في انفاقها لتحقيق ما انجزه العلم من تقدم ولانقاذ حياة انسان، ولو كان هذا الانسان قد اتلف كبده في شرب الكحول وكان الانقاذ لمدة لا تتجاوز اسابيع محدودة.

اقول ان هذه المبالغ وتلك تبدو معقولة ومقبولة، بل ان إنفاقها في ما انفقت فيه يثير في نفسنا الاعجاب بما حققه العلم في عصرنا من انجازات، لولا اننا نقرا في المجلة التي تحدثت عن هذه الأمور ما يدعونا الى اعادة النظر في تقديرنا وفي اعجابنا. ففي الوقت الذي تشيد فيه تلك المجلة بعملية زرع القلب والرئة الناجحة، الناجحة لمدة اسبوعين فقط، في صدر السيد ليوندبرغ، نجدها تشير الى ان عشرات الآلاف من اطفال العالم الثالث مهددون بالموت من نقص السوائل وقلة الاماهة في ابدانهم، وان هذا التهديد يمكن رفعه عن حياة عشرات الآلاف بتزويدهم بظروف اعادة الاماهة. هذه الظروف تحوي مركبات ملحية بسيطة، ولا تكلف كثيرا. فنفقات زرع كبد في جنب احد الامريكيين من الكحوليين، او نفقات عملية مثل التي اجريت للسيد ليوندبرغ، تكفي لشراء كميات هائلة من ظروف الاماهة القادرة على انقاذ حياة مئات الآلاف من الاطفال الذين فقدوا سوائل ابدانهم بالانتانات والاسهالات...

لابد لهذه المقارنة، بين ما انفق لانقاذ حياة فرد واحد وبين ما يمتنع عن انفاقه لانقاذ حيوات عشرات الالوف، من ان تمحو

من نفوسنا اعجابا خالجها في البدء بمقدرة الجراحين في عصرنا هذا على تبديل عضو بعضو في الجسد البشري ، وبتقدم العلم الذي سمح بنقل قلب ورئة في صدر ميت فعلا ليبعث بهذا النقل الحياة في صدر اخر مشرف صاحبه على الموت . فاي فخر للبشرية في ان تنفق الثروات وتبذل الجهود لتمد أسابيع في حياة انسان واحد مقيم في زاوية معينة من عالمنا ، بينما يحجب الجزء اليسير من تلك الثروات والجهود عن الاف الانفس البشرية المشرفة على الموت في زوايا اخرى من نفس العالم ،

وهي الزوايا التي يسمونها العالم الثالث ؟ واى معنى للتقدم العلمي والروح الانسانية اذا كانت حصيلتهما ان يفرق بين حياة بشرية وحياة بشرية اخرى وان تغمض الأعين عن ماسي الملايين لتختص بالرعاية العشرات او الأفراد ؟ !

●●

إنها لمقارنة مؤسية ، وانه لتفريق صارخ وجارح ذاك الذي يتبدى لنا فيما ذكرناه انفا ويبدو لنا هذا التفريق امضّ وقعا في القضية التي شغلت في الشهور المنصرمة مختلف الأوساط الطبية والقضائية في الولايات المتحدة الأمريكية والتي سميت بقضية العامل البرتقالي . لقد انتهت هذه القضية باتفاق حبي تعهدت فيه سبع شركات كيميائية امريكية بان تدفع مائة وثمانين مليونا من الدولارات كتعويض الى المتضررين بالعامل البرتقالي هذا .

والعامل البرتقالي هو مركب كيميائي مسقط لأوراق الاشجار ، استخدمه الامريكيون بكميات هائلة اثناء حرب فييتنام بهدف تعرية اشجار الغابات الكثيفة حيث كان الفييتناميون يرابطون ويكمنون ويشنون الغارات على غزاة بلدهم، وتبين بعد سنوات من انقضاء تلك الحرب ومن انسحاب الجيوش الامريكية الغازية الى بلادها أن ضرر العامل البرتقالي لم يقتصر على ابادة الغابات والقضاء على معالم الحياة فيها ، بل انه اثر في كثير ممن لامس أوانيه أو تنشق ذراته . وقد تظاهر هذا التاثير في الاعوام الأخيرة بالاصابات السرطانية والاضطرابات العصبية وامراض الكبد والجلد فيمن تعرضوا لاذاه، وعلى هذا اقيمت الدعاوى على الشركات الصناعية التي قدمت هذا المركب الكيميائي للجيش الأمريكي مدعية أن لا ضرر له على الانسان ، واضطرت تلك الشركات الى عقد ذلك الاتفاق الحبي الذي قبلت بموجبه ان تدفع للمتضررين هذا المبلغ غير الزهيد : مائة وثمانين مليون دولار امريكي .

لعل لنا الحق في أن نبتسم شماتة بتلك الشركات لخسارتها الفادحة في هذه القضية نتيجة متاجرتها بسلامة بني البشر وبارواحهم . إلا ان ابتسامتنا لا تلبث ان تنقلب الى كابة ، او الى سخرية سوداء ، حين نعرف الى اي من المتضررين ستدفع هذه التعويضات الهائلة . انها لن تدفع لسكان المناطق التي تعرت غاباتها في فييتنام ، ولا الى الذين اصبحت قراهم فيها قاعا صفصفا ودفن ذووهم احياء تحت ركامها ، ولا الى الذين خلف العامل البرتقالي في اجسادهم السرطان والجنون وافات الكبد والجلد والعظام من ابناء تلك البلاد ، لن تدفع الشركات الأمريكية تعويضاتها للفييتناميين الذين غزوا في عقر دورهم بالعامل البرتقالي ، وانما ستدفعها الى المحاربين القدماء في الجيش الأمريكي . الى الغزاة الذين ارتد بعض باسهم اليهم وتجرعوا قليلا من السم الذي كالوه بالقناطير المقنطرة للآخرين ... فلنتامل !

●●

خمسة وثلاثون الف جنيه استرليني لعملية نقل قلب ورئة لم يعملا اكثر من اسبوعين ، ومائة وثلاثون الف جنيه استرليني لزرع كبد صحيحة مكان تالفة ، ومائة وثلاثون مليون دولار تعويضا لمن اضر به العامل البرتقالي بين المحاربين القدماء في الجيش الامريكي ... مبالغ ضخمة وخيالية حين نتدبرها ونتصور ما يمكن ان تمسح من بؤس في مناطق كثيرة لا يحتاج فيها الناس الا الى القليل كي يصحوا ويعيشوا سعداء .

ومع ذلك فان هذه المبالغ الخيالية نفسها تتضاءل امام ما ينفق في ابواب اخرى تبدو في ظاهرها انجازات علمية رائعة يحق للبشرية ان تفخر بها ، بينما يكمن في باطنها الشر المستطير لهذه البشرية نفسها مئات الملايين ومليارات الدولارات التي تنفق في صنع الصواريخ ذات الرؤوس النووية ، وعلى الغواصات الذرية ، وعلى الطائرات الجبارة المشحونة بعوامل القتل والتدمير والتي تجوب اجواء كرتنا الارضية اربعة وعشرين ساعة في كل يوم ، وعلى سفن الفضاء الخالية والماهولة والمكوكات الناقلة لها ... كم يهدر في هذه وتلك من مال هو في مصدره معتصر من بؤس البؤساء ودم الفقراء ، وهو في غايته اداة تخريب وافناء !

في نيسان - ابريل الفائت قام ملاحو المكوك الفضائي شالنجر بعملية فريدة في نوعها ، رائعة في دقة تنفيذها ، هي اصلاح عطب في قمر اصطناعي كان قد اطلق في شباط - فبراير عام ١٩٨٠ وتعطل فيه بعد اطلاقه جانب من تجهيزاته الالكترونية . في عملية الاصلاح هذه خرج احد الملاحين من المكوك الى الفضاء الحر ، ممتطيا كرسيا ذا حركة ذاتية مستقلة ، واستطاع الامساك بالقمر الاصطناعي مقدمة لفك لوالب التجهيزات المعطوبة باليد ، وهي ستة وثلاثون مسمارا لولبيا قطر واحدها ثلاثة مليمترات . لم تكلف هذه العملية التي اجريت في مدار فضائي يبعد عن سطح الارض خمسمائة كيلومتر سوى مبلغ زهيد ... خمسين مليون دولار فقط . انه مبلغ زهيد بالقياس الى ثمن القمر الاصطناعي المعطوب ، فهو لو لم يصلح لوجب ان يرسل قمر غيره ، ليوضع في مداره ، قيمته مائتان واربعين مليونا من الدولارات ! وما هي مهمة هذا القمر الاصطناعي وامثاله ؟ انها مهمة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب . ظاهرها مراقبة النشاط الشمسي في السلم ، وباطنها ان تكون سلاحا فعالا في حالة الحرب فتنقل او تمطر قنابل نووية على اقاليم يسكنها من البشر جماهير مجمهرة ، غير مفرقة بين صالح وطالح او بين بريء ومجرم ...

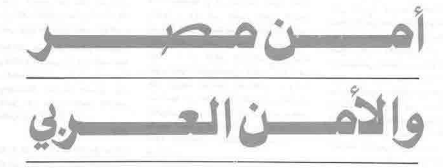
●●

رووا انه جيء للمامون في احد مجالسه برجل ادعى انه يحسن شيئا لا يستطيع ان ياتي به غيره . وقام الرجل بعرض ما يحسنه امام المامون ، فغرس إبرة دقيقة في الارض امامه وابتعد خطوات ثم راح يقذف من يده بمجموعة من الابر واحدة بعد الاخرى ، فيصيب برأس كل ابرة مقذوفة عين الابرة التي سبقتها ، اعني الفتحة التي ينتظم بها الخيط . كرر الرجل ذلك حتى بلغ ما انفذه من واحدة في عين الاخرى مائة ابرة . وكان ذلك شيئا رائعا حقا ومعجزا . فلما انتهى الرجل من عرضه امر المامون بمكافاته المكافاة التي يستحق . امر باعطائه مائة دينار وبان يجلد مائة سوط : مائة دينار لمهارته الفائقة ، ومائة سوط لاهدار هذه المهارة فيما لا يفيد ولا يعني ...

ترى بماذا كان يامر المامون لدعاة العلم ودهاقنة السياسة والادارة في عصرنا هذا حين يرى كيف يهدر هؤلاء واولئك عبقريتهم العلمية وقدرتهم السياسية وكفاءاتهم الادارية ، لا في امور تفيد البشرية وتخفف من اوجاعها ، بل انهم يهدرونها فيما يزيد بؤس هذه البشرية في بعض الاحيان وفيما يهدد كيانها ووجودها بالامحاء والتلاشي في كثير من الاحيان ؟!

الرقة - سوريا

هل يمكن القول حقا وصدقا إن بامكان أحد الأقطار العربية تحقيق استقراره وأمنه ورفاهيته دون أن يكون مرتبطا بواقع المنطقة كلها؟... ماذا تقول الحقائق والوثائق السياسية والبراهين العلمية حول هذه القضية؟



أمن مصر والأمن العربي



بقلم: الدكتور علي الدين هلال

يمكننا تحليل علاقة مصر بغيرها من الاقطار العربية من اكثر من جانب. فهناك الجانب القومي الذي يركز على عوامل التشابه والتداخل من لغة وثقافة وتاريخ وتراث، والجانب الاقتصادي الذي يشير الى المنفعة المتبادلة والمصلحة المشتركة، والجانب المستقبلي الذي ينبه الى التحديات والاخطار المتوقعة، والتي لا يمكن مواجهتها إلا في اطار جماعي. وهناك الجانب الذي تنطلق منه هذه المقالة وهو الجانب الامني الذي يثير كل هذه الاعتبارات على اساس ان الامن القومي لم يعد ينظر اليه على انه مسالة عسكرية وحسب، وانما مسالة اجتماعية.. تنموية يدخل في تحديدها عديد من العوامل الاقصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية والعسكرية.

ونطرح هنا وجهة النظر التي تقول بان مستقبل مصر وامنها مرتبط اوثق الارتباط بمجموعة البلاد العربية، وان تحقيق الأمن المصري وضمان التنمية غير ممكنين في خارج الاطار العربي، فامن مصر كدولة وككيان تاريخي وبشري يرتبط بموقعها الجغرافي الذي وصفه نابليون بانه اهم موقع في العالم، والذي يتسم اساسا بموقعه المتوسط بين المشرق والمغرب العربيين. فهو حلقة وصل بين البلاد العربية، وبين اسيا وافريقيا، وبين البحرين الابيض والاحمر.

وسوف نتعرض لعلاقة الأمن المصري بالأمن العربي من ثلاثة جوانب.

اولها: العلاقة الاستراتيجية بين مصر والمشرق العربي.

يعلمنا التاريخ ان مصر غزيت في الغالب الاعم من الشمال الشرقي وان الدفاع عنها يبدأ في الشام، وكم من مرات خرجت فيها الجيوش المصرية في عهد الفراعنة او في العصر الحديث خارج حدودها لضمان ان لا تسيطر على الشام قوة معادية لمصر.

وتعلمت انجلترا ايضا هذا الدرس، وكان الهجوم العثماني المفاجىء على قناة السويس في براير ١٩١٥ دافعاً لها على التعجيل بفرض نفوذها على فلسطين كاجراء وقائي من اي هجوم معاد على مصر

فعندما اعد جمال باشا ومعه القائد الالماني كريستنشتين جيشا قوامه ٣٠ الف مقاتل مزوداً بالعوامات والكباري المتنقلة والجمال واخترق الصحراء وفاجا الانجليز يومي ٢ و ٣ فبراير ١٩١٥ تيقنت القيادة العسكرية الانجليزية ان الصحراء الشرقية



مصطفى كامل



محمد على





بن جوريون

تيودور هرتزل



جمال عبد الناصر

ليست حصنا طبيعيا لحدود مصر الشرقية وازدادت اهمية فلسطين للانجليز لحماية ظهر قناة السويس .

لذلك فان احد دروس العسكرية المصرية أن من يسيطر على سيناء يسيطر على قناة السويس ، ومن يسيطر على قناة السويس يهدد العمق المصري كله . فسيناء تاريخيا لم تكن فاصلا جغرافيا او حائلا يمنع الغزاة من وصول مصر ، وقليلة هي الجيوش التي حاولت عبور هذه الصحراء وفشلت . على العكس كانت سيناء ممرا عبرته الجيوش الغازية الى مصر ، أو خرجت منه الحملات المصرية التي واجهت الاعداء على ارض الشام .

فكل قوة معادية سيطرت على فلسطين ومنطقة الشام استخدمت موقعها هذا كنقطة وثوب على مصر (الحيثيين ، والهكسوس ، والفرس ، والرومان والعثمانيين على سبيل المثال) .

وكذلك فان مصر خرجت للدفاع عن نفسها وخاضت بعضا من اعظم معاركها العسكرية في نفس المنطقة . فها هو احمس يطارد الهكسوس ، وتحتمس يخوض معركة مجدو ، وصلاح الدين يهزم الصليبيين في حطين ، وسيف الدولة قطز يخوض معركة عين جالوت . وفي نفس البقعة الجغرافية ايضا كانت حمص ونصيبين ، وكانت مرج دابق .

وهكذا فمن الناحية الجيوبوليتيكية فان منطقة الشام وبالذات فلسطين تمثل منطقة الدفاع عن حدود مصر الشرقية ، وتنظر مصر بعدم الرضا وبالقلق على أمنها اذا ما سقطت هذه المنطقة في ايد معادية .

وثانيها : موقع مصر ومكانتها الدولية .

لقد ادى موقع مصر ـ اضافة الى تجربتها التاريخية ـ الى ان تصبح محط انظار القوى الكبرى الساعية الى التغلغل في المنطقة والسيطرة عليها . ومن ناحية اخرى فقد كان هذا الموقع ـ والتجربة ـ هو الذي سمح لمصر بأن تلعب دورا فعالا في شئون المنطقة وتؤثر على مجريات الاحداث فيها .

فموقع مصر يرتب نتائج مختلطة ومزدوجة . وهو مصدر ضعف لها اذا ما استكانت ووقعت فريسة للاطماع الخارجية . وهو مصدر قوة لها اذا ما اتبعت سياسة نشطة ولعبت دورا ايجابيا في شئون المنطقة المحيطة بها .

موقع مصر إذن لا يرتب لها بالضرورة مزية او عيبا ، وانما تتوقف آثاره على كيفية الاستفادة منه ، ونوع السياسات

أمن مصر والأمن العربي

التي تتبعها مصر وحكمها في المراحل التاريخية المختلفة . ففي بعض المراحل اتبعت مصر سياسة دفاعية ، أو انكفات على ذاتها وقادها ذلك الى دورة من الضعف، وفي مراحل اخرى انتجت سياسة ايجابية نشطة فتحركت بها عبر الاقليم كله «حركته وقويت به . فمصر تستمد مكانتها الدولية وهيبتها من خلال الدور الذي تقوم به في المنطقة العربية باعتبارها نموذجا للتكامل الوطني والوحدة الادارية والسياسية التي لم تتفتت او تتجزأ عبر مراحل تاريخية طويلة ، وباعتبارها مستودعا هائلا للخبرات الفنية والعملية في شتى مجالات المعرفة .

لذلك سعت الدول الكبرى ذات النفوذ في المنطقة او صاحبة المصالح الاقتصادية والاستراتيجية فيها الى « عزل » مصر والى « تحييد » دورها في المنطقة . وهي بهذا تحقق هدفين : اضعاف مصر نفسها ، وكذا اضعاف البلاد العربية الاخرى ، ذلك ان عزلة مصر او حيادها هو اضعاف لمصر وللبلاد العربية على السواء .. اضعاف لمصر لانه يعزلها عن مجال نشاطها وفعاليتها الطبيعي والذي تحقق من خلاله قوتها وازدهارها ، واضعاف للمنطقة لغياب الدور المصري والثقل الذي يوفره هذا الدور .

وقد يكون من المفيد هنا ان نعود الى التاريخ ، فمع مطلع القرن التاسع عشر شهدت مصر تجربة صناعية وعسكرية هائلة في عهد محمد على باشا الكبير ما زالت دروسها مفيدة لنا حتى اليوم وما زال موقف الدول الكبرى منهـا وسياساتهم إزاءها من الامور التي تستدعي النظر والتحليل .

واقتبس من تقريرين يشيران الى المعنى الذي ورد سلفا . الاول رفع الى وزارة الخارجية الفرنسية في عام ١٨٢٩ يفسر اسباب تأييد فرنسا لمحمد علي في ذلك الوقت ويرد فيه :

« هناك اولا موقع مصر الذي يفرض بان يمتد تاثيرها الى اكثر المقاطعات بعدا عن مركز الامبراطورية (يقصد الامبراطورية العثمانية) او الاكثر عرضة الى الانفصال . فهناك سوريا من الشرق والدويلات البربرية من الغرب ... علينا ان نعترف بان هذا



نابليون بونابرت

الموقع يساعد كثيرا على إنشاء قوة حقيقية . ان صلات اللغة والعادات والاصل المشترك تشكل روابط دائمة قد تتيح دمج سكان سوريا وبلاد البربر بسكان مصر .. وبهذا الشكل فقد تحتل مصر مكانا مميزا بين الدول الواقعة على البحر الأبيض المتوسط دون ان يكون هناك على كل حال ما يجعلنا نخاف من ان تصبح قويـة اكثر من اللزوم » !!)

اما التقرير الثاني فيعود الى عام ١٨٣٣ وقام بكتابته مبعوث لميترنيخ ارسله لمتابعة الموقف في مصر ورفع تقريراً الى سفير النمسا في القسطنطينية وردت فيه العبارات التالية :

« اني أرى الى جانب امكانيات الباب العالي المعدومة وهيبته المتداعية يوما عن يوم جيشا عربيا مصريا مدربا احسن تدريب ، مزهوا بالنصر ، واسطولا جباراً ، وموارد كافية لزيادة حجم هذا الاسطول وذلك الجيش الى ثلاثة امثالها ، وادارة في غنى شبه تام عن الاتراك ، وانبعاث الروح القومية عند العرب ، واخيرا تقديرا متصاعدا وواسعا يتمتع به هذا الاخير (يقصد محمد علي) على امتداد البلاد الناطقة بالعربية »

وعندما نعود الى التاريخ ايضا لنقرأ كتابات رواد الحركة الصهيونية نجد أن لمصر موقعا متميزا في تفكيرهم ايضا . فتيودور هرتزل مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية زار مصر وكان حريصا على اللقاء بقادة الحركة الوطنية المصرية في اوربا ـ والتقى بالفعل بمصطفى كامل ـ لكي يشرح لهم اهداف حركته وتصويرها لهم على انها لا تمثل خطراً على مصر ، كما تكشف كتابات بن جوريون عن نظرته لمصر باعتبارها العدو الحقيقي الذي يمكن ان يمثل عنصر تحد لاسرائيل .

وفي العصر الحديث قامت سياسات الدول الكبرى ذات السيطرة والاطماع والتطلعات في المنطقة لتحقيق هدفين : الحيلولة دون قيام دولة كبرى في المنطقة ، وبالذات اذاكان مركزها مصر ، وهذا يفسر مواقف هذه الدول من حركة القومية العربية ومحاولات الوحدة التي تبلورت في الخمسينات ومطلع الستينات ، وعزل مصر عن المنطقة والابقاء عليها في اطار حدودها السياسية والادارية الضيقة . كان ذلك هو موقف الدول الكبرى إزاء محمد علي وإزاء جمال عبدالناصر ، وكان ذلك احد الاهداف الاساسية ـ ان لم يكن اهمها ـ من معاهدة كامب ديفيد من وجهة النظر الصهيونية الاسرائيلية .

وثالثها : ان مناطق الأمن المصري تتطابق مع مناطق الأمن العربي ويقصد بمناطق الأمن تلك التي تعتبرها الدولة ماسة بمصالحها ، وان اوضاعها السياسية والعسكرية لها تاثير على استقرار الدولة وامنها . ومناطق الأمن هذه قد تكون مناطق الحدود والجوار الجغرافي او تلك المرتبطة بالمصـالح الاقتصـادية والاستراتيجية للدولة .

وفي حالة مصر نجد ان مناطق الامن التي تهتم بها تتطابق ايضا مع مناطق الأمن العربية او هي اقطار عربية . فهناك السودان الذي يعتبر الاهتمام الأمني الاول لمصر ، فالسودان ومصر يمثلان امتداداً واحدا من حيث الأرض والمياه والسواحل ، والسودان هو العمق الاستراتيجي الجنوبي وهو مجال رئيسي للتكامل

الاقتصادي ، وللتعاون في مجال توزيع مياه النيل واقامة علاقات مع دول حوض وادي النيل .

وهناك ليبيا التي تعتبر الباب الغربي لمصر وحلقة اتصالها بمنطقة المغرب وعمقها الاستراتيجي الغربي وامتدادها فيما يتعلق بالتكوينات البشرية في الصحراء الغربية ، وبرزت اهمية ليبيا الاستراتيجية عندما اغلقت الموانىء المصرية في حرب ١٩٧٣ وتلقت مصر امداداتها من خلال طرابلس .

وهناك منطقة المشرق العربي التي تناولناها سلفا ، والتي تفاعلت مع مصر في مراحل التاريخ المختلفة ، مداً وجزراً . فمن ناحية فان اي قوة معادية استولت على هذه المنطقة اتخذتها نقطة وثوب وانطلاق للسيطرة على مصر ، ومن ناحية اخرى نجد ان مصر لم تنتظر حتى يصل الخطر على ابوابها مباشرة وانما خرجت الى ملاقاة الاعداء ومنازلتهم في منطقة المشرق . وهناك اخيرا السواحل المصرية الطويلة على امتداد البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر واهتمام مصر بامن هذين البحرين وفي هذا الامر يتطابق الامن المصري والعربي ايضا .

فالبحر الاحمر هو احد مناطق الامن الرئيسية من زاوية الامن العربي . فهذه المنطقة يحدها شمالا خليج السويس والشاطىء الغربي لخليج العقبة ، بينما يقع الشاطىء الشرقي للخليج ضمن حدود المملكة العربية السعودية ، وفي اقصى شمال الخليج يوجد ميناء العقبة الذي يعد المنفذ الوحيد للاردن على البحر الاحمر ، والى الغرب منه يقع ميناء إيلات في اسرائيل (ام الرشراش العربية والتي استولت عليها اسرائيل بعد وقف اطلاق النار لضمان منفذ بحري لها) . اما الحد الجنوبي للبحر فيطل عليه اليمن والصومال وجيبوتي واثيوبيا ، ومن هذا العرض يتضح ان اغلب شواطىء البحر الاحمر تقع ضمن حدود عربية ، فالدول الواقعة على الساحل الشرقي باكمله عربية (الاردن والسعودية واليمنان) وان حوالي ٢٠٠٠ ميل من الساحل الغربي تقع في مصر والسودان وجيبوتي والصومال ، بينما تشغل السواحل الارترية حوالي ٤٠٠ ميل من هذا الساحل .

نفس الشيء يمكن ان يقال بالنسبة للسواحل الشرقية والجنوبية للبحر الابيض المتوسط التي تشغلها اساسا بلاد عربية وهكذا .. فان دوائر الامن المصري تتطابق وتتلامس مع مناطق الامن العربية.

ونستطيع ان نضيف الى ما تقدم ان امن مصر الاقتصادي وقضية التنمية فيها ترتبط ايضا بالتكامل الاقتصادي العربي .

الى ماذا يقودنا هذا التحليل ؟

يقودنا الى ان امن مصر هو جزء من الامن العربي ، وان الامن العربي لا يتحقق في غياب مصر ، فكلاهما وجها عملة واحدة وان قصور دور مصر هو اضعاف لمصر ولغيرها من البلاد العربية على السواء .

ويترتب على ذلك ان الوضع الذي حاولت معاهدة كامب ديفيد تكريسه ، والاوهام الاسرائيلية حول فرص التعاون المصري الاسرائيلي في المنطقة ، وان محاولات طرح المصلحة الوطنية المصرية كمناقض للمصلحة القومية العربية ، وان دعاوي سياسة مصر اولا ، وانه من الممكن عمل سلام مصري اسرائيلي في غياب حل للقضية الفلسطينية او تسوية شاملة للصراع العربي الاسرائيلي .. كل هذه اطروحات ودعاوى مردود عليها ليس فقط تاريخيا ومنطقيا وعلميا ، ولكن تجربة السنوات الاخيرة والمراجعة التي تحدث الآن في مصر افصح من كل دليل .

وما ينطبق على مصر في هذا الصدد ينطبق على البلاد العربية الاخرى التي توجد بها اراء مماثلة . فليست القضية مصر اولا (او سوريا او تونس او المغرب او السعودية) أم العرب اولا ، ففي هذا تبسيط مخل للامور . فهذا الراي يضع المصلحة القطرية والمصلحة القومية كامرين متناقضين .

والذين يقولون بالرابطة بين المصلحتين ينطلقون من ان امن البلاد العربية واستقرارها ونهضتها رهين بنهضة عربية شاملة وباستقرار عربي اوسع نطاقا . فامور الوطن العربي مترابطة ومتداخلة . فمثلا الحرب الايرانية العراقية اثرت بشكل بارز على منطقة الخليج ، والتهديد الاسرائيلي لم يكن قط موجها الى الشعب الفلسطيني وحسب ، ووفقا لشارون فان الامن الاسرائيلي يمتد الى باكستان واواسط افريقيا ويشمل كل منطقة الخليج والمغرب العربي .



آريل شارون

فهل يمكن القول ـ حقا وصدقا انه بمكنة احد الاقطار العربية تحقيق استقرارها وامنه ورفاهيته عبر فترة ممتدة من الزمان دون ان يكون ذلك مرتبطا بواقع المنطقة كلها ؟

وعلى ضوء الثورة العلمية والتكنولوجية الجديدة ، والتقدم المذهل في مجال السلاح والاهمية الاستراتيجية والسياسية لمنطقتنا العربية من وجهة نظر الدولتين الاعظم والقوى الكبرى .. على ضوء ذلك كله هل يستطيع احد ان يزعم ان بمكنة اي منا ان يواجه بمفرده تحديات المستقبل ؟

على الدين هلال

جوزيف تشوربا

تضخيم الكيان الصهيوني.. والتحذير من العروبة

بقلم: عصام شريح

اسرائيل في نظر المفكر الأمريكي الصهيوني «تشوربا» هي جزء لا يتجزأ من أمريكا. وهي ذراعها الضاربة في الشرق الأوسط ضد حركة النهوض العربي.. وآراء أخرى غريبة لمفكر له صوت مسموع في الولايات المتحدة

جوزيف تشوربا، الباحث والمفكر اليهودي الأمريكي. يقدم لنا نمطاً فريداً في الفكر الصهيوني الحديث. الذي يرى في «اسرائيل» جزءاً لا يتجزأ من الولايات المتحدة الأمريكية. بل ذراعها الضاربة في الشرق الأوسط ضد حركة النهوض العربي، وفي العالم ضد ما يسميه تشوربا بالهيمنة السوفيتية. وبالطبع فإن هذا الفكر لايعدو كونه فكراً تبريرياً. يحاول ربط الكيان الصهيوني بالولايات المتحدة. تماماً كما ارتبطت الحركة الصهيونية منذ قيامها وتأسيسها في أواخر القرن الماضي وحتى أواخر الأربعينات من هذا القرن. ببريطانيا. وربما كان هذا الأمر تحصيل حاصل بسبب الطبيعة الطفيلية للحركة الصهيونية وللكيان الصهيوني. ولكن أهم ما يميز فكر جوزيف تشوربا في رأينا. هو كونه فكراً توتاليتارياً (شمولياً)، وهذا أيضا غير مستغرب، لأن التوتاليتارية صفة أساسية في الحركة الصهيونية، وانطلاقا من هذه النظرة الأحادية الجانب، نرى كيف ينظر تشوربا للسياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط. بحيث يجعلها أسيرة «اسرائيل»، ويجعل الصراع العربي - الصهيوني بالتالي. جزءاً رئيسياً من الصراع الدولي بين حلفي الناتو ووارسو، وهو تنظير مضلل، هدفه تسخير قدرات الولايات المتحدة العسكرية والاقتصادية والمالية لصالح الصهيونية وكيانها العنصري في فلسطين المحتلة

«اسرائيل» تشوربا في الاستراتيجية الأمريكية

يحاول تشوربا من ضمن نظريته الشمولية في الصراع الدولي، أن يضع «اسرائيل» في قلب معادلة الغرب بشكل عام، والمعادلة الأمريكية بشكل خاص بالنسبة لهذا الصراع. ولذلك فهو يرسم لها صورة مشرقة. ويتحدث عن حيويتها الحاسمة بالنسبة للولايات المتحدة. الأمر الذي يفرض على هذه الأخيرة أن تلتزم «بالدفاع» عن الكيان الصهيوني والحفاظ عليه بدون شروط مسبقة. ويقول في كتابه «سياسات الهزيمة: أفول امريكا في الشرق الأوسط». الصادر في عام ١٩٧٧: «ان دعم الولايات المتحدة لإسرائيل لا يجدر أن يكون متوقفاً على وجود ملايين اليهود فيها فحسب، وانما لأنها ستبقى ذات أهمية استراتيجية كبرى لأمن الولايات المتحدة». وفي أعقاب الغزو الإسرائيلي للبنان. أخذت النشوة تشوربا، مما دفعه الى المغالاة في وصف الدور العسكري «لإسرائيل» في الاستراتيجية الأمريكية، بل واستراتيجية الغرب بشكل عام، ونقلت صحيفة علهمشمار عنه القول (٢٦ - ٨ - ١٩٨٢): «ان التطور التكنولوجي، والقوة العسكرية الإسرائيلية. المندمجتين بكافة الطاقات الغربية. قد يحسمان ميزان القوى العالمي لصالح الغرب. دون ان تكون هناك حاجة الى قوة ردع نووية». وتعقب الصحيفة الإسرائيلية على كلمات الدكتور جوزيف تشوربا، بالقول انه - اي تشوربا. يرى في هذه الحالة. طريقا منطقياً واحداً أمام السياسة الأمريكية. ألا وهو بناء محمل السياسة الشرق الأوسطية، بالتنسيق والتعاون مع «اسرائيل»، ومن خلال الاعتماد عليها.. أما إذا انحرفت الولايات المتحدة عن هذا الطريق، فإنها تخسر اللعبة لصالح الاتحاد السوفيتي.

ويمضي تشوربا قدما في تضخيم دور اسرائيل في الاستراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق



رونالد ريجان



جيمي كارتر

الأوسط . فيقول أن الولايات المتحدة لا تستطيع نشر قواتها في المنطقة . سواء أكان ذلك على المدى القصير أو على المدى الطويل . دون الاعتماد على تحالف عسكري واضح مع « اسرائيل » . ويضيف أن صانعي السياسة الأمريكيين قد تجنبوا مثل هذه الخطوة حتى الآن . مذكّرين بمعارضة الكتلة العربية . ومع ذلك – يقول تشوربا – فهناك عدد من البدائل العسكرية التي يمكن الاعتماد عليها عوضاً عن التحالف مع « اسرائيل » « وإن كانت هذه البدائل جميعا لا تفوق التحالف مع اسرائيل » . على أن يكون مفهوماً لواشنطن ، على أن مصداقية أمريكا تحتاج . في مواجهة التحديات . الى عنصر عسكرى ثابت .. بيْد أن هذا الاقتراح . لايعني أن تستخدم الولايات المتحدة اسرائيل . كمندوب أو وكيل أو عميل لها . ولكنه يعني أن العلاقات العسكرية الإسرائيلية – الأمريكية . لابدّ وأن تُنسّق . حتى يمكنها تشكيل قوة كبيرة تتمتع بامداد جيد من قوة عظمى . ولديها (اسرائيل) آلة قتالية متفوقة تماماً في المنطقة . وربما في العالم . »

ثم ينتقل الدكتور تشوربا ليحدّد المكاسب التي ستجنيها الولايات المتحدة من تحالفها مع اسرائيل . وهي مكاسب توازي تلك التي تقدمها معظم أطراف حلف شمال الأطلسي !! .. وهذه المكاسب في رأي تشوربا هي التالية :

اولا : ان « اسرائيل » تملك جيشاً . يعتبر قوة مقاتلة . ويستطيع خلال ثمان وأربعين ساعة . تعبئة أكثر من أربعمائة ألف جندي . ولإضفاء هالة من « العظمة » على الجيش الإسرائيلي . يضيف تشوربا ان لهذا الجيش سجلا من النجاح في ميدان القتال – وهو مؤشر رئيسي على قيمتهم كشريك وحليف للولايات المتحدة . كما أن هيكل القيادة الاسرائيلية مجرَّبٌ في القتال . والأركان العامة للجيش منظّمة .

ثانيا – لدى الكيان الصهيوني . تسهيلات إسناد من الدرجة الأولى !! يمكنها أن توفّر الصيانة والإعداد للمعركة . للقوات الأمريكية التي تحتاج بقوة لمثل هذه التسهيلات . كما أن القواعد الجوية الإسرائيلية تمثل حالة متقدمة في هذا السبيل . حيث يمكنها تقديم إسناد لأية طائرة تكتيكية . وللعديد من الطائرات الاستراتيجيةالتي تمتلكها الولايات المتحدة . ويضاف الى ذلك أن « الموانيء الإسرائيلية » . قادرة تماماً على تقديم الخدمات وعمليات المساندة لجميع سفن الأسطول السادس الأميركي المرابط في البحر الأبيض المتوسط . بما في ذلك حاملات الطائرات !

ثالثا – ان سلاح المدرعات الإسرائيلي – كما يزعم تشوربا – هو أفضل سلاح مدرعات في العالم اطلاقاً !! .. كما أن السلاح الجوي الاسرائيلي . هو ندٌ لأي سلاح جوي آخر في العالم !! .. أما الأسطول الاسرائيلي . فهو – على حدّ ادعاء الصهيوني تشوربا – رائد في حرب الصواريخ سطح سطح أو بحر – بحر .

رابعا – ينتقل تشوربا بعد ذلك الى اضفاء هالة خاصة من الأهمية على جهاز الاستخبارات الاسرائيلي . فيقول ان هذا الجهاز . يقدم للولايات المتحدة . خدمة هي في أمسّ الحاجة اليها . وذلك لأن « اسرائيل » تبق أفضل مصدر للمعلومات السياسية والعسكرية الأساسية في المنطقة !!

وبعد عملية التضخيم لدور « اسرائيل » في الاستراتيجية الأمريكية بمنطقة الشرق الأوسط . ينتقل

جوزيف تشوربا

تضخيم الكيان الصهيوني.. والتحذير من العروبة

تشوربا الى مطالبة الولايات المتحدة بدعم عملية وخطط الاستيطان الصهيوني في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين . زاعماً أن واشنطن اتخذت موقفاً انهزامياً بالنسبة » للاستيطان الإسرائيلي في فلسطين الغربية وعند خطوط الدفاع الإسرائيلية « !! ثم يحاول أن يقدم تبريراته لعملية الإستيطان الصهيوني العدوانية ، في قالب منطقي أخرق ، لصالح » اسرائيل « والولايات المتحدة معاً . فيقول : » انه يجب ان يكون واضحاً ، ان الاستيطان الإسرائيلي ، أمرٌ أساسي ملحٌ بالنسبة للمنطقة الواقعة غربي قطاع غزة ، من أجل اقامة منطقة سكنية عازلة ، عند منافذ الطرق المصرية ، عبر مائة وخمسين ميلا من صحراء سيناء . وبالمثل ، فانه من الواضح ان قدرة » اسرائيل « على الحياة تتطلب وجوداً أمنياً دائماً في الجبال الواقعة شمال وجنوب القدس ، في منطقتي » يهودا والسامرة « اللتين لاتبعدان عن شاطىء البحر الأبيض المتوسط أكثر من عشرة أميال فقط . وبهذا ، فان الولايات المتحدة ، تحرم نفسها من قدرة » اسرائيل « على الحفاظ على طاقتها الكاملة ، في وقت هي أحوج ما تكون فيه إلى ذلك ، وما قد يكون أكثر إحراجاً هو وجود » اسرائيل « غير آمنه اعتمادا على الضمانات الخارجية .. وهذا لا يفقد » اسرائيل « أهميتها .. فحسب ، **بل ويجعل منها عبئاً عسكرياً على الولايات المتحدة** « !!

ويختصر الدكتور جوزيف تشوربا أفكاره حول الدور الإسرائيلي المزعوم في الشرق الأوسط وربما في العالم ، بالقول ان » اسرائيل « قوية ، تخدم أهداف السياسة الاميركية بطريقتين : الأولى كدولة حصينة في وجه ما يصفه ب » فيروس « العدوان العربي !! .. والثانية كقوة جاهزة دائما ، لردع أي انقضاض سوفيتي على المنطقة !! ..

تحريض ضد العروبة

يحاول تشوربا تركيز أنظار الولايات المتحدة على » اسرائيل « كقوة استراتيجية ، وكحليف قوي وفاعل ومخلص ، من خلال التحذير من قيام وحدة عربية ، ومن خلال تصوير أي تكتل عربي مهما كان شأنه ، على أنه يشكل خطراً على أميركا والغرب في منطقة الشرق الأوسط .

وفي نطاق هذا التنظير المضلل ، يقلل تشوربا من » خطر « السوفييت في المنطقة ، مركزاً هذا الخطر على العروبة ، فيقول : » ان العرب يشعرون بأنهم ضحايا الامبريالية الغربية ، التي سعت ، وما تزال تسعى ، لتقسيمهم واخضاعهم لسيطرتها . وان الأمة العربية الناشئة ، قد حرمها الغرب من ان تحتل موقعها الصحيح في قيادة العالم !! « . ثم يزعم تشوربا أن الولايات المتحدة بسياساتها القائمة على » عدم الاعتماد على دولة واحدة بعينها في المنطقة « ، وبسعيها نحو تحقيق تسوية شاملة للصراع العربي — الصهيوني ، انما تُقوي بذلك جانب القومية العربية ، اضافة الى ان هذه السياسة تفرض أعباء اضافية على » اسرائيل « ، تتمثل في » الضغوط الأميركية « على » اسرائيل « لكي تصبح أكثر اقتراباً من التسوية المنشودة . ويضيف ان سعي الإدارة الاميركية (إدارة جيمي كارتر) ، لتعميم » اتفاقية كامب ديفيد « ، ستنتهي الى الاخفاق في استخلاص الدروس والعبر المطلوبة ، وخاصة بالنسبة لدور » اسرائيل « الذي لايجارى ، في الاستراتيجية الاميركية في المنطقة . ومع كل هذا ، يهاجم تشوربا اتفاقية كامب ديفيد ، لأن السعي الأميركي المسعور لتحقيقها ، لم يأخذ في حسابه » خطورة اتخاذ موقف انهزامي بالنسبة لأمن اسرائيل « عن طريق دعوتها لوقف عملية الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة ، أو تفكيك المستوطنات القائمة ، ضمن صفقة الحل الذي تتصوره واشنطن .

وأكثر من ذلك ، يغالي تشوربا في تنظيره الذي يصبّ أخيراً في طاحونة المصالح الإسرائيلية فقط ، فيعرب عن اعتقاده بأن الإدارة الاميركية ، قد وقعت في خطأين فادحيْن ، أولها الاعتقاد بأن ماكان يوصف بخطة التحالف الاستراتيجي الجماعي أو الكلي في الشرق الأوسط هي سياسة صائبة ، والثاني ، الاعتقاد بأن الصراع العربي — الصهيوني ، والقضية الفلسطينية ، هما سبب أزمة الشرق الأوسط والتوتر الدائم في المنطقة . وقال تشوربا في مذكرة عرضها على الحزب الجمهوري الأميركي الذي يعتبر أحد أهم أعضائه الفاعلين والمؤثرين ، قال ان هذا الاعتقاد ، جعل الحكومات الأميركية المتعاقبة ، تتصور أن عليها أن تحاول حلّ هذا الصراع بما في ذلك وضع حل للقضية الفلسطينية ، بينما الحقيقة — كما تشير الى ذلك مذكرة تشوربا — هي أن حل القضية الفلسطينية ، ووضع نهاية للصراع العربي — الصهيوني ، لن يقضي على التطرف العربي ، ولن يؤمن استمرار وصول الغرب الى نفط الشرق الأوسط « !!

والبديل لكل ذلك ، كما يرى تشوربا ويدعي ، هو الاستجابة للمطامع الصهيونية في المنطقة ، وخلق » وقائع جديدة « تخدم الأهداف الإسرائيلية ، التي هي في نهاية المطاف أهداف اميركية . وتشير المذكرة بهذا الشأن ، الى ملامح يُستنتج منها بروغ » اسرائيل « كقوة عظمى في الشرق العربي ، وإيجاد لبنان محايد كمنطقة عازلة بين العرب والكيان الصهيوني ، عن طريق العمل لإبقاء وضعه على ما هو عليه من التوتر وإثارة الفتن الطائفية بين أبنائه ، ثم اعادة طرح نظرية حزب العمل الصهيوني بالدعوة الى اقامة دولة فلسطينية في الضفة الشرقية لنهر الأردن !! وتصفية منظمة التحرير الفلسطينية ، أو تفتيتها وإذابتها بشكل تتلاشى معه تلقائياً ، ثم السعي بعد ذلك الى خلق خمس أو ست دويلات عرقية أو طائفية ، لتغيير خارطة المنطقة ، وتقطيع أوصالها بشكل يحول دون ظهور أي وحدة عربية .

من هـــــو؟

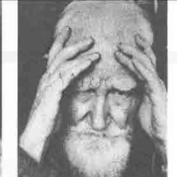
يشغل جوزيف تشوربا – اليهودي الأميركي . والصهيوني المتعصب – منصب مدير مركز الأمن الدولي بواشنطن . وقد عمل في عام ١٩٨٠ . مستشاراً للرئيس الأميركي رونالد ريغان عندما كان الأخير مرشحاً للرئاسة آنذاك . ويعتبر تشوربا باحثاً متخصصاً في شؤون العالم العربي ومنطقة الشرق الأوسط . حيث شغل منصب مستشار خاص لجهاز استخبارات سلاح الجو في البنتاغون . وخاصة لشؤون الاستخبارات المتعلقة بالشرق الأوسط . وذلك قبل ان يصطدم برئيس هيئة أركان الجيش الأميركي الأسبق الجنرال جورج براون . حيث اضطر تشوربا للاستقالة بسبب خلافه مع الجنرال براون اثر التصريحات التي أطلقها الأخير في أواخر عام ١٩٧٦ . والتي اكد فيها أن « اسرائيل » قد أصبحت عبئاً عسكرياً على الولايات المتحدة .

وكان تشوربا رفيقاً عزيزاً جداً للارهابي الصهيوني المعروف الحاخام مائير كهانا رئيس عصابة « كاخ » حالياً . ومؤسس مايسمى « برابطة الدفاع اليهودية » . ولم يفترق الرجلان إلا بعد أن قرر كهانا الانتقال من الولايات المتحدة الى الكيان الصهيوني للاستقرار هناك . وقد اشترك تشوربا مع الحاخام كهانا في تأسيس مكتب للاستشارات القانونية أطلقا عليه اسم « البحث الاستشاري المتحد » . وكان تشوربا آنذاك يعمل في جامعة ادلفي في غاردن سيتي ، وهي إحدى ضواحي مدينة نيويورك . ويُعد لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة كولومبيا . وفي عام ١٩٧٦ ، وأثناء عمله مستشاراً للجنرال جورج كيغان . رئيس جهاز الاستخبارات بسلاح الجو الأميركي ، ادلى تشوربا بتصريح لمراسل صحيفة النيويورك تايمز ادعى فيه . ان هناك عقدة معادية لاسرائيل في وزارة الدفاع الأميركية ! لكنه اعترف لنفس المراسل بأنه رسم حاخاماً . كما كشف النقاب عن اشتراكه مع الحاخام مائير كهانا في انشاء « حركة الرابع من تموز (يوليو) » في عام ١٩٦٥ . وقد قامت هذه الحركة بتنظيم خلايا في المناطق الجامعية . لكسب التأييد لحرب فيتنام ورفض انسحاب الولايات المتحدة من ذلك البلد . وفي عام ١٩٦٨ ، اشترك الحاخامان كهانا وتشوربا في تأليف كتاب بعنوان « شريحة اللحم اليهودي في فيتنام » . قالا فيه . انه اذا تخلّت الولايات المتحدة عن التزاماتها في فيتنام الجنوبية . فانها سوف تتخلى حتماً عن اسرائيل . ولهذا فقد اعتبر كهانا وتشوربا ، أن من الأهمية بمكان ، أن يؤيد اليهود الأميركيون حرب فيتنام والتورط الأميركي العسكري في تلك الحرب . علماً بأن الحاخامين ، لم يتطوعا للحرب في فيتنام

منطلقات تشوربا

أشرنا سابقاً . الى أن منطلقات جوزيف تشوربا – اليهودي الأميركي – لاتنبع من المصلحة الأميركية على الاطلاق . بل هي تتناقض مع هذه المصلحة . إنْ لم تكن مدمرة لها في النهاية . إذْ ليس في منطقة الشرق الأوسط . غير الكيان الصهيوني . وكيفية حماية هذا الكيان . وامداده بأسباب القوة والعدوان ، من أجل أن يمضي الصهاينة قدماً في سياستهم التوسعية في الأرض العربية . وقلنا ان تشوربا هو من العقول الصهيونية النادرة حاليا في تعصبها ونظرتها التوتاليتارية الأحادية ، التي لاتستطيع أن ترى من الألوان غير الأبيض والأسود . ومن هذه المنطلقات الراسخة في الذهنية الصهيونية . والمستقاة أصلاً من الأساطير الصهيونية المتحجرة حول ما يسمى « بالشعب المختار » وَ « أرض الميعاد » . رأينا كيف أن تشوربا ركّز جميع طاقاته الذهنية على زاوية واحدة . هي اعتبار اسرائيل ليس حجر الزاوية في السياسة الأميركية في الشرق الأوسط فحسب . وانما الشريك القوي للولايات المتحدة في المنطقة ، الذي يحق له أن يطالب بعائدات مقابل أتعابه وجهوده وفي اطار هذا التفكير والتنظير الصهيوني المتعصب والمحترق . رأينا أيضاً كيف حذف تشوربا العالم العربي من الوجود . وسخف أي دعوة للتعاون مع أي دولة عربية . وأكثر من ذلك فقد جعل تشوربا من العروبة والقومية العربية خطراً حقيقياً يتهدد المصالح الأميركية والحضارة الغربية . وعلى أية حال . فاننا كنا ننتظر مثل هذه الأفكار من صهيوني ذميم كجوزيف تشوربا ، لأن الصهيونية . صاحبة النظرة الشمولية والأحادية الجانب ، هي حركة عمياء ، وستبقى تصارع حتى النهاية ، حتى لو منيت بأكثر من هزيمة ، كما سيبقى داء جنون العظمة ، محوراً أساسياً من محاورها .. وهذه الحقيقة يجب أن تظل ماثلة في أذهان العرب . في تقديري ، حتى ولو ظهرت الصهيونية في موقف المتراجع . كما يبدو ذلك في المرحلة الراهنة من خلال طروحات حزب العمل . وبعض الشخصيات الصهيونية .

عصام شريح







شكبير

برناردشو

حسد برنارد شو وليم شكسبير وتمنى لو أخرجه من قبره ورجمه بالحجارة

بقلم: الدكتور علي الراعي

أظن ان شيئا من الحسد قد مازج الموقف المركب الذي وقفه برنارد شو من وليم شكسبير . في احدى المناسبات كتب شو يقول : « ليس بين الكتاب البارزين من احتقره الاحتقار الذي اكنه لشكسبير حين اروح اقيس عقلي بعقله ... ولو قيض لي ان استخرجه من قبره لرجمته بالحجارة لأستريح . » !

وراء هذا القول الفظيع المبالغ في حذقه ، كان يستخفي اعجاب برنارد شو بالكاتب المسرحي وليم شكسبير . كتب الايرلندي الكبير في مقدمته لمجلد : « ثلاث مسرحيات للمتطهرين » يقول : « ما في امكان احد ان يكتب تراجيديا تفوق الملك لير . » فدلل بهذا على سلامة حكمه كناقد للدراما والمسرح . فان الملك لير هي في عرف الكثيرين . ليس فقط اروع تراجيديات شكسبير ، بل هي اعظم ما اخرج العقل الدرامي الانساني من تراجيديا . انها العمل الذي فجر - بجسارة - حدود العمل الدرامي وخرج للناس في شكل اصطلحنا على ان نسميه : «فوق الدراما» . او : «دراما وزيادة» . والنتيجة ان احدا من المخرجين الكثيرين الذين تصدوا لاخراج «الملك لير» ، لم يستطع ان يلم بموضوعها في شموله . فاكتفى بان اقترب منها اقترابا جزئيا ، تناول نواحي بعينها من العمل الكبير .

واذن . فما دام هذا التقدير الموفور هو ما يكنه شو للدرامي الانساني الاول . ففيم احتقاره له ، ولماذا يود لو استطاع ان يخرجه من قبره ليرجمه بالحجارة ؟ الجواب وارد في عبارة : «حين اروح اقيس عقلي بعقله» . فان شو كان يقدر شكسبير ، الكاتب المسرحي ، ويحتقر شكسبير المفكر وصاحب العاطفة . فكر شكسبير لديه هو فكر العصور الوسطى وعصر النهضة ، وهذا فكر بائد في نظر شو ، من الواجب التخلص منه فورا ، حتم ان يقوم فكر جديد في المسرح ينتج مسرحيات جديدة ، ستكون بحكم الضرورة مغايرة لمسرحيات شكسبير ومنافية لها . وبغير هذا الفكر الجديد لن تقوم الدراما الجديدة التي كان شو يتطلع اليها .

ولكن : لماذا ينبغي التخلص من شكسبير ، قبل ان تقوم الدراما الجديدة ؟ يجيب شو : ان من المستحيل ان يقوم شكسبيران اثنان في حقبة فلسفية واحدة . ان اول من يظهر على الساحة من عباقرة يضم حصاد الحقل الدرامي ويأخذه كله لنفسه تاركا لمن يأتون بعده مهمة التقاط البقايا هنا وهناك . ومن ثم تكون مهمة هؤلاء اما الانشغال بالفتات ، أو التظاهر بانهم يحصدون ويضمون ما لا وجود له في الواقع .

لقد عبر شكسبير تمام التعبير عن عصره ، واستنفد في هذا التعبير العصر ووسائل التعبير معا ، وبات حتما ان تمضي عربة الدراما قدما وتتحرك الى موقع اخر ، حاملة بضاعة جديدة تعرضها على زبائن جدد . ولأن هذا التحرك لم يتم ، سقط المسرح البريطاني - والغربي عامة - في بئر سحيقة ، وتوزع الاهتمام بشكسبير بين سوء استخدام مسرحياته وسوء فهمها من جهة ، وبين تقديسها وعبادة منشئها عبادة لا عقل فيها ولا فهم ولا تقدير ، من جهة اخرى .

أورد برنارد شو الكلمات والمعاني سالفة الذكر في أحد اجزاء مقدمته لمجلد : « ثلاث مسرحيات للمتطهرين » - الجزء المعنون : «انا افضل من شكسبير ؟ » وفيه يعقد مقارنة بين مسرحية : «انطونيو وكليوباترا» لشكسبير ومسرحيته هو : « قيصر وكليوبترا . » يقول شو : في الاساطير اليونانية قامت الساحرة « سيرسي » بتحويل الابطال الى خنازير . ويبدو ان المزاج الرومانسي المعاصر يميل الى ان تحول « سيرسي » الخنازير الى ابطال . ان شكسبير يعطينا صورة صادقة لجندي كسرته الشهوة ، وامراة لعوب يموت بين ذراعيها امثال هذا الجندي ، ثم يروح يجهد قدرته الهائلة على الخطابة الدرامية ، واستدرار العطف المسرحي . كي يقنع

الحمقى بين متفرجيه بان بطليه قد كسبا الحب وان خسرا العالم ، وان الحب هو التعويض العدل لهذه الخسارة . فاية اكذوبة هذه ، ومن يصدقها منا إلا بنات الحان (وهن كليوباترات عصرنا الحالي) - اذا ما وجدن شاعراً يحولهن الى حبيبات خالدات ؟

ثم يمضي برنارد شو الى القول بان شكسبير كان يرى الحياة على حقيقتها ثم يروح يصورها تصويرا رومانسيا . ومال من يفعل هذا هو الياس ، والانصراف عن الحياة ، بدعوى انها هباء وقبض الريح . الم يجعل ماكبث يقول : « انطفئي ، انطفئي ايتها الذبالة القصيرة » لانه اصر على ان يجعل بطله ، وهو اديب معاصر في جوهره مجرماً يستشير الساحرات ؟ (١)

ويحدد برنارد شو اعتراضه على مسرحية : « انطونيو وكليوباترا » ، وعلى مسرح شكسبير بعامة قائلا : ان لي اعتراضا تقنيا على اتخاذ الولوع الجنسي موضوعا للتراجيديا . ان هذا امر لا يؤتي ثمارا ذات بال الا في حقل الكوميديا . فلتتعرض الواقعية للولوع الجنسي - فلتنقده الكوميديا ، فليسخر منه كاتب الادب المكشوف . اما ان يطلب البذا ان نعرض أرواحنا لخطر الافتتان بسحره - ان نعبده ، ونتحداه ونزعم انه هو وحده ما يجعل الحياة جديرة بان نحياها فشيء لايمكن وصفه الا بانه خبل اسلم الى الجنون الحسي .

لهذا راى شو ان انطونيو شكسبير هو فشل واضح ، بينما وجد الملك لير رائعة درامية محققة . وسبب التفاوت في رايه ان شكسبير قد خبر الضعف الانساني خبرة كبرى ، بينما لم يعرف القوة الانسانية في كثير .

وهنا ناتي الى نقطة هامة في مفهوم برنارد شو للدراما ، هي التي حددت شكل ومضمون هذه الدراما ، وهي التي حددت وتحدد مصير مسرحه . لقد نفى شو من مسرحه اشياء كثيرة هي التي تكون دم الحياة في الدراما . نفى الحب المفتون لما تقدم ذكره من اسباب واستبعد الجريمة لانها في رايه لا تثير الاهتمام . بل استهان كثيرا بالعواطف اصلا ، مصرحا بانه لا يامن لها ، ولا يثق بالعاطفة تخرج من «فرن» النفس حمراء متوهجة ، فانها سرعان ما تنطفىء . ووضع شو في مقابل هذا كله العقل البشري . هو وحده الجدير بالاعتبار هو وحده البوصلة الهادية ، والارض الراسخة والمستقبل الواعد . ثم مضى يكتب مسرحياته بوحي من هذا كله ، فجاءت هذه المسرحيات امثلة متالقة للفكر البشري المستنير ، وللحماس العقلي الدفاق ، وللقدرة الفائقة على تحريك الافكار على المسرح ، والباسها ثوب البشر . وقد انتج هذا القدر البارز من المواهب الكوميديا الانسانية الذكية ، الطيبة القلب ، التي لا تتشفى في ضعف الافراد ، وانما تصب جام غضبها على ضعف المجتمعات . وكان هذا انجازا كبيرا لا شك فيه ، دفع الناقد والدارس المسرحي المرموق ايريك بنتلي الى القول بان شو قد حول مسار الكوميديا العالمية من نقد افراد مختارين كلهم معايب الى نقد الناس كلهم ، من منطلق اننا كلنا خطاة وكلنا نستحق العقاب ، وكلنا قادرون - بفضل العقل - على ان نقوم ماضينا من اعوجاج .

وهذه هي القوة الانسانية التي قال شو ان شكسبير لم يعاينها فجهلها ، بينما عرفها هو فكتب من واقعها . غير ان شو لم يحسب حسابا لاحتمال ان يضعف العقل البشري ، او يضل طريقه او تهبط عليه كارثة تصيبه بالشلل التام . وقد جاءت هذه الكارثة في شكل دمار فظيع شامل ، جلبته الحرب العالمية الاولى فهز ايمان شو بالعقل من القواعد . هذا هو «الانسان العاقل» قد فقد عقله ، فاي امل بقي لشو ، المفكر ، والانسان وكاتب دراما الافكار الذكية ؟

كان شو يحس بمقدمات هذه الكارثة الوشيكة . فكتب لصديقته الممثلة مسز باتريك كامبل في عام ١٩١٣ ، قبل شهور قليلة من هبوب الاعصار المدمر يقول : «قد تركت الحياة تهرب مني .. وانا الآن جهاز هضمي فارغ ليس له إلا عقل يدق فليدق ما شاء ، ان كانت روحي قد ماتت ، فاني قادر على ان اظل ادق حتى يموت عقلي بدوره» .

وقبل هذا - في عام ١٩١٢ - كتب شو لصديقته هذه يحذرها من نفسه : « صمي اذنيك عن هذا الكذاب الايرلندي الدعي الممثل .. انه كتلة من الخيال بلا قلب . آلة تكتب وتتحدث . لقد انفق قرابة اربعين عاما مع هذه الآلة حتى اصبحت شيطانية القدرة» .

غير ان مسز كامبل لم تكن في حاجة الى تحذيراته هذه . كتبت تنقد في صراحة موجعة احدى مسرحياته : «ان قلمك يدفعك الى النشوة فتسكر . انت تنظر من ثقب الباب بقبعتك وليس بعينك . وسرعان ما تهزأ بشخصياتك فتصبح مجرد ابواق في خدمة التصميم العام للمسرحية ، بلا لحم ولا دم . وبينما اشعر انا بالفوضى في مواضع بذاتها تقول انت لنفسك : هنا كنت ملهما .

ثم تنقد مسز كامبل شخص شو وحياته معا . تقول وهي تلفت نظره الى انه قد جهل عاطفة الابوة : هؤلاء الابناء العشرة الذين لم تنجبهم قد كانوا جديرين ان يعلموك شيئا . وتقول في مكان اخر : ان دور المحامي الذي تحب دائما ان تلبس مسوحه يتسرب الى كل ما تقول وتكتب وتفعل .. انه الدور الذي امض عيشي سنوات طويلة ، وحال بينك وبين ان تصبح شكسبيراً - شاعرا » .

وضع شو اذن في مسرحه العقل بدلا من العاطفة ، واحل اليقين محل الشك ، فسلب مسرحياته بهذا قدرا كبيراً من حيويتها . اما شكسبير فقد علمه السير في الطرقات ، وشظف العيش ، وخداع الاصدقاء ، وفقدان الحبيب ، وانحسار ود المؤيدين ان حياة الانسان شيء هش حقا - ان ابناء الانسان في نظر القدر لا يعدون ان يكونوا مجموعة من الذباب تتلهى الكوارث بقتلها - ان الشر في الكون اصيل وعميق وممتد ، وان صراع الخير معه قليل الانتصارات وان اسمى ما يحققه الانسان لنفسه من شرف هو ان يدخل مع الشر في عراك يعلم سلفا انه مهزوم فيه .

ابطال شكسبير جرحى ، مكسورون ، محيرون ، وهذا يجعلهم اكثر انسانية بكثير من ابطال شو ، الذين يصل بهم الوثوق حد الصلف الفكري احيانا ، وان عرف بعضهم الهزيمة والانكسار - على المستوى الفكري وحسب ! هكذا تنكسر جان دارك ، وبربارا ، انكسار العقيدة وليس انكسار القلب . اما شكسبير ففي ابطاله من يرتكب جريمة لم يكن يقصدها فيدمر بحمقه اعز ما يملك (عطيل) او من يخدع نفسه بان جريمة واحدة تكسب له العرش وتؤمن حياته (ماكبث) ، او من يتامل الشر والخير والموت والحياة والانتقام والتسامح ، بينما ايام الحياة تنفلت من بين اصابعه ، حتى يدفعه تيار الحياة ذاتها الى العمل (هاملت) . او من يحمله الكبر والعجب والجوع الى الملق على ان يلقي بنفسه وباعز من احب في اتون حرب الخير والشر على المستويين الفردي والكوني (الملك لير) . ليس بين هؤلاء من علم شيئا علم اليقين ، وإنما كلهم ضائع ، مشرد ينطبق عليه قول المعلم الكبير شكسبير في رثاء الانسان : « اه ايها الحيوان المسكين المفلوق (٢) الجسد » .. !

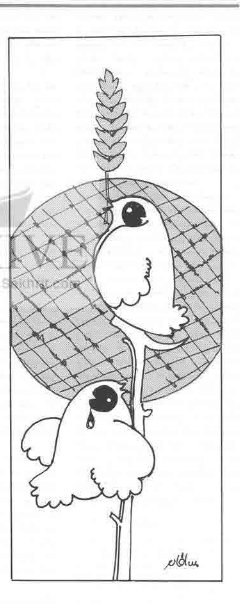
هوامش

(١) يشير شو هنا الى ما يراه النقاد الشكسبيريون من ان ماكبث فنان وشاعر مرهف الحس ، قبل ان يكون جنديا ، ويستشهدون بكثرة المقاطع الشعرية العذبة التي يرددها خلال المسرحية .

(٢) إشارة الى انه الحيوان الوحيد الذي يسير قائما على رجلين .

حنين إلى غـزّة ...

شعر: هـارون هاشم رشـيد



(١)

نعمْ « غزةُ » فَلْتَفْرَعْ بها ... ظَهْرَ الأُلى كَذَبوا
نعـمْ « غزةٌ » مـا مِـنا ... لغير تُرابها نَسَبُ
طلعنا من نواحيها ... كمـا تتلألأُ الشُهبُ
وكُنـا مِثْلمَا الصُبار ... منهُ الشوكُ ، والغضبُ

(٢)

مدينتنا يُصلي المجدُ ... في أبوابهـا يثبُ
مـدينتنا وللتاريخ ... مِنْ أخبارهـا كُتبُ
فكم غـازٍ تحـداها ... فـذَلَّ ، وراحَ ينسحبُ
وكم عـادٍ بساحتِها ... تهاوى ، وهو ينتحبُ
مدينتنا زهـا « عمرو » ... بهـا ورفَاقُهُ النُجُبُ
تـلقَّـاهُ أهـاليهـا ... وقـالـوا : إننا عَربُ
وشـدّوا أزره حُبّـاً ... وصـانوه ، ومـا غُلبوا
مـدينتنا التي يسخـو ... بها الزيتـونُ والعِنبُ
بشطٍ لا مثيـل لـهُ ... يضيءُ كـأنه الذهبُ
بـأسراب البلابل وهي ... في أغصـانهـا تَثِبُ
تُـغنينا ، وتُسْعدُنا ... ويدفقُ شدوها العَجَبُ
« بحـاراتٍ » تـرعرعنا ... بـها نَلْهُو ، ونَصْطخِبُ
نـدُور كمـا فراشاتٍ ... وفي الأنحاء ننسربُ

* * *

لغزة يحفظُ التاريخُ ... مـن هَبّوا ومـن وثبوا
ومَـنْ بـالدّم خطُّوهـا ... سطورَ المجد كَمْ كَتبوا

[المدينة العظيمة التي ضربت أروع الأمثلة في الصمود والفداء]

« فدائيون » ماحادوا   عن التحرير أو تعبوا
همو أولُ مَنْ لَبى   هُمو النيرانُ والحطبُ
همُ الرايةُ شامخةً   تُطأطئُ دونها السُحبُ
همُ ما في صُفوفهمو   دَعِيٌّ . عابثٌ خَرِبُ

* * *

تعالي .. يا مدينتنا   نعيدُ الأمسَ نقتربُ
تعالى نقرأ الأسماء   مَنْ شدوا وَمَنْ ضربوا
وَمَنْ كانوا كما الإعصار   يَهدُرُ حين يصطخبُ
تعالي نقرأ الصفحاتِ   نُرجعُ بعضَ ما وَهبوا
ألستِ السُورةَ الأُولى   لمن قَرأوا ومن كَتبوا
ألستِ الجبهةَ العليا   لمنْ تاقوا ومَنْ رغبوا

* * *

« فدائيون » يا غزةُ   أهْلُكِ أينما ذَهَبوا
« فدائيون » تدري الأرضُ   كيف لأجلها غضبوا
وكيف فداءها بَذلوا   دَماً كالنهرِ يَنْسَكِبُ
فقي « الزيتونِ » كمْ صمدوا   وفي « التُفاحِ » كم ضربوا
وفي « شجاعيةِ » الأبطالِ   كم مِنْ أجلها وَثبوا
وفي « السوباط » كم ألقوا   لظى يَعْلُو ويلتهبُ
هُمو مَنْ أبدعوا بالبذلِ   مَا لَمْ تعرفِ الكُتبُ
ومَا لَمْ يحفظِ التاريخُ   مَا لم تحفظ الحقبُ
مدينةُ « هاشم » أبداً   كَحَدِّ السيفِ تَنْتَصِبُ
يضيءُ « الشافعيُ » بها   فيزهرُ عُمْرها الخَصِبُ

* * *

تعالي يا مدينتنا   فيومُ النصرِ يَقْتَرِبُ
أراكِ الآن يحدونى   اليكِ الشوقُ أنجذبُ
فيا « غزةُ » يا أمُي   التي أرجو وأرتقبُ
ويادارى التي يرتاحُ   في أعتابها التَعَبُ
بغيركِ ها أنا لا شيء   لا إسمٌ ولا نَسَبُ
بغيركِ تنطوي الأيامُ   جرداءً . وتغتربُ

* * *

أنا طفلُكِ يا « غزةُ »   ذاكَ العابثُ الطَرِب
أنا كَمْ مِنْ « سَنُونوةٍ »   حفلْتُ بما به تهَبُ
وَكَمْ من « بلبل » غَنَّى   معى فانزاحت الكُربُ
وكم من مَرةٍ بادرتُ   ليلكِ . وهو ينْسَحِبُ
وطالعتُ السنا الوَرْدي   من خديكِ يَنْسَكِبُ
مُعَذِّبتي أنا أدري   بأني حينَ أغتربُ
أظلُ كطائرِ الدُّوري   في الآفاقِ أضطَرِبُ
وأعلمُ أنني ما عشتُ   دَونكِ مُجْهَدٌ تَعِبُ

تونس ١٠/٦/١٩٨٤

هوامش

« الزيتون » و « التفاح » و « الشجاعيه » و « السوباط » حارات مدينة غزة
و « هاشم » هو هاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه وسلم المدفون في مدينة غزه . و « الشافعي » هو الامام الشافعي أعظم من أنجبت مدينة غزة .



بقلم : محمود السعدني

لم تكن قهوة عبدالله قهوة مصرية فحسب ، ولكنها كانت قهوة عربية ايضا ، وقد شهدها وحضر مجالسها ادباء وشعراء وفنانون عرب من كل الاقطار ، عدنان الراوي وشفيق الكمالي من العراق ، ونزار قباني واديب نحوي من سوريا ، وعبدالهادي الهوني من ليبيا ، ومعين بسيسو وابو سلمى من فلسطين ، والفيتوري من السودان !

كان عدنان الراوي عضوا اصيلا في ندوة القهوة ، وكان يقضي اغلب اوقاته فيها عقب لجوئه الى القاهرة هاربا من طغيان نوري السعيد وعبد الكريم قاسم ، وغوغائية من سموا انفسهم بالتقدميين العراقيين الذين اعتبروا العروبة والقومية رجسا من عمل الشيطان .

وكان عدنان الراوي شاعرا يرى ان للشعر وظيفة واحدة هي القتال ضد اعداء العروبة ، ولذلك كان اول من اضطهده نظام عبدالكريم قاسم .ونظام نوري السعيد من قبله فاضطر الى الهرب عبر الحدود السورية ومن هناك جاء الى القاهرة هاربا من جحيم بغداد ، ولما كانت له علاقات سابقة بانور المعداوي ، فقد اختار السكن في حي الدقي وجعل من قهوة «عبدالله» مكانا مختارا لتدبيج قصائد من نار ضد العصبة التي استولت على بغداد في غفلة من الزمن ،

كان من عادته ان يحضر الى المقهى في الضحى ، فيجلس ساهما يرقب حركة الميدان ، ويظل على هذا الوضع ساعات ثم ينصرف في الساعة الثانية بعد الظهر ليذهب الى شقته فيستريح بعض الوقت قبل ان يعود الى المقهى في السادسة مساء فيجلس صامتا نحو ساعتين قبل ان يندمج في حوار ساخن حول العروبة والشعوبية والوحدة وانصار التجزئة والانقسام ! وكان يبدو في تلك الاوقات بالرغم من ضآلة حجمه كانه بركان تغلي في اعماقه الحمم ، ولكنه كان يعود الى هدوئه وصمته بعد نهاية الجلسة ويعود الى الحملقة في الميدان حتى تغلق المقهى ابوابها ، فيذهب متخذا طريقه الى شقته سيرا على الاقدام . وكان يسلك طريقا واحدا لا يغيره عبر شارع المدارس حيث تقع جامعة القاهرة ، ومن هناك الى شارع الدقي حيث يقيم . ولقد حاولت مرارا وفي المرات القليلة التي شاركته فيها رحلة السير على الاقدام ان اسلك طريقا اخر عبر شارع «مراد» او شارع «النيل» ، ولكنه كان يرفض بشدة ، فقد كان يشم في شارع المدارس رائحة شوارع مشابهة احبها في احياء الاعظمية وصدر القناة والسبع ابكار في بغداد .

وكان عدنان الراوي يعشق بغداد بجنون ، كان يتوقف احيانا كثيرة عند منظر يصادفه في الطريق ويزفر في حسرة ويقول في هدوء وفي اسى : هذا المنظر له شبيه في سوق الغزل ببغداد ، اما شارع النيل فكان يذكره بشارع ابي نواس على شاطيء دجلة ، وكان يتردد كثيرا على شارع الموسكي لانه كان يشبه شارع الرشيد .

وكان يرى ان العراق هو اهم جزء في الوطن العربي واخطره ايضا ، إنه اخطر من فلسطين ، لان فلسطين تقع في قلب الامة . وقد ضاعت من قبل ولكن العرب استردوها ، لان العرب حولها من كل مكان ، اما العراق فهو نتوء خارج من جسم الوطن العربي ويحيطه اغراب من كل جانب ، ولذلك فالخطر عليه اكبر ، لان الاعداء يمكنهم لو تمكنوا ان يقضموا منه قطعة وراء قطعة ، ولو ضاعت قطعة ، فمن المستحيل ان تعود ، وكان حزينا ومهموما لان عبدالكريم قاسم وبطانته ليسوا امناء على تراب العراق ، لان التراب ليس له قداسة في نظرهم ، انما القداسة والفداء للطبقة ، بغض النظر عن اللون والجنس والدين ، وعندما سالته ذات مساء ببراءة متحمس لم تنضجه الاحداث بعد عن السبب في مجيئه الى القاهرة ، ولماذا لم يستقر في بيروت مثلا وهي اقرب الى بغداد قال ، هذا سؤال وجيه وان كانت الاجابة عليه ينبغي ان تكون معلومة لديك . ولما بدا على ملامحي انني لم افهم ، قال صحيح بيروت اقرب ، ولكن في السياسة القرب والبعد ليس له فضل ، ولكن الفضل كله للتاثير ، ولهذا السبب جئت الى القاهرة ، لانها اكثر تاثيرا على بغداد من بيروت او غيرها من العواصم ، ولان مصر هي القطر القاعدة ، وعلى كل المقاتلين من اجل العروبة والحالمين بدولة الوحدة ان يحتشدوا جميعا في القاهرة وليس في اي ارض سواها ، لان الاحتشاد في مكان اخر هو مضيعة للوقت ولعل هذا هو السبب الذي اوقع عدنان في تناقض حاد مع بعض فصائل الثورة العربية التي لم تكن تؤمن بما يؤمن به عدنان ، ولم تكن ترى ما يراه .

والحق اقول انني من خلال صداقتي لعدنان الراوي التي امتدت عدة سنوات ، كنت اتصور – ولا ادري لماذا – انه يعيش

سعيدا في القاهرة ، فهو لا يؤدي اي عمل وهو يقضي نهاره كله على المقهى مع الاحبة والاصدقاء ، وهو حر يقرض الشعر ويتغنى ببغداد ويكافح وهو في مأمن من الخطر . الى ان اكتشفت العكس ! ففي ذات مرة من المرات التي انفردت فيها بعدنان في المقهى ، راح يحكي لي عن القلق الذي يأكله ، والالم الذي يعتصر قلبه ، وعن الضياع الذي يشعر به غالبا ، وعن الاهانات التي تلحق به احيانا ، من بعض صغار الموظفين الهلافيت الذين يعملون في اجهزة الدولة . وقال وهو يزفر بشدة ، لولا المبادىء التي اعتنقها والهدف الذي اسعى اليه ، لاثرت العيش في بغداد في اي وضع وتحت ظل اي نظام ، ولكنه قدري ، ولم يولد بعد من يستطيع تغيير مسار الاقدار !

ولم أصدق عدنان ، او بمعنى أصح لم اقتنع بما قال ، فظننته يبالغ في وصف مشاعره ، ولكني وبعد مرور عشرين عاما على كلمات عدنان الراوي التي قالها لي في قهوة عبدالله ذات مساء ، تذكرته عندما كنت مقيما في المنفى والغربة وقد سارت بي الاقدار الى موقعه السابق واصبحت لاجئا وقضيت تسع سنوات طويلة في هذه الغربة ، وتمنيت في بعض الاوقات لو كان عدنان الراوي على قيد الحياة ، لقلت له صدقت يا عم عدنان ، فما ابشع ان يشعر الانسان انه مثل ريشة في مهب الريح وما اتعس لحظات الحيرة والضياع ، ومـا افظع ان يتحكم في الحر الهارب بعض هلافيت الموظفين الذين هم لكثرتهم ووجودهم في كل الاقطار ، دليل على اننا أمة واحدة دون جدال !!

وكلما رجعت الآن الى تلك الأيام في اواخر حقبة الخمسينات واوائل حقبـة الستينات ، اتذكر كيف كان وجه عدنان مرآة لما يحدث في بغداد ، عندما اندلعت ثورة الشواف في الموصل ، كاد يرقص طربا وتخلى في تلك الليلة عن وقاره المعهود ، وعندما انتكست الثورة ، بدا عدنان كأنه ميت خارج من قبره وبعدها صار يائسا من تغيير الاحوال ، وعندما تطورت الاحوال في بغداد الى الاسوأ ، وانطلق المهداوي خلف أحرار العراق ، وأسرف فيهم قتلا وتشريدا . اصبح عدنان يختفي من المقهى بالأيام كان يلزم شقته فلا يغادرها ، ويبتعد عن الاصدقاء ، فلا يذهب لاحد ولا يستقبل احدا واعتدنا نحن رواد القهوة هذا الغياب ، فلم نعد نلح في السؤال عندما يبتعد عن اعيننا ، ولكن غيابه الاخير طال ، فذهبنا نسأل عنه ، واكتشفنا انه في



عدنان الراوي

المستشفى ، وحكى لنا وهو على سرير المرض ، كيف انه يعاني من كحة شديدة لم يستطع التخلص منها ، وقال ان الاطباء نصحوه بالاقلاع عن التدخين ، وضحك في مرارة وقال ، لقد اقلعت عن الوطن ، و الآن جاء دور الاقلاع عن الهوايات ! وقال بعد صمت قصير ، ماذا يبقى من الانسان ؟ وخرج عدنان من المستشفى ولكنه سرعان ما عاد اليه ، واصبح يتردد على المستشفى بين الحين والحين ، ولكنه ازداد نحولا ، وضربت الصفرة في وجنتيه ، وذبلت عيناه وعللنا مرضه الى شدة حنينه لبغداد .

واصبح عدنان شديد الخوف ، ليس من المرض او الموت ، ولكن خوفا من ان يموت وهو بعيد عن مسقط الرأس ، ودون ان تكتحل عيناه برؤيته من جديد .

وتهدمت جدران قهوة محمد عبدالله ، وزالت كلها قبل ان ينهار النظام الذي كان قائما في بغداد ، واضطر الى مغادرة قهوة عبدالله الى قهوة انديانا التي كانت مقعدا لكل اللاجئين القادمين من بغداد ، ولكنه كان يؤثر الوحدة والصمت . وذات صباح جاءه الفرج ، فقد سقط النظام الذي كان قائما في بغداد ، وطار عدنان الى بغداد ، ولكنه سرعان ما عاد ليواصل علاجه في القاهرة .

في تلك الاثناء كان الأطباء قد اكتشفوا مرضه الحقيقي ، كان داء السرطان قد انتشر في صدره وكبده وتوغل في امعائه وعندما عاد الى القاهرة كان قد فقد نصف وزنه ، وافتقد حماسه وحيويته ، وعندما سألته عن الأحوال في بغداد ، اجاب في ابتسامة باهتة : تغيرت بغداد وتغيرت أنا الآخر . ودخل المستشفى في القاهرة لعدة شهور ، ولكنه ظل متمسكا بعادة قديمة لديه ، فقد كان يكتب خطابات يومية لعدد من اصدقائه يشرح لهم مرضه وتطوراته ويضمنها ابياتا من شعره كتبها حديثا ، وكان شعره في تلك الفترة غاية في العذوبة والصفاء وكأنما تحول عدنان فجأة الى صوفي يحلق في ملكوت الله . واقترح عدنان في احد خطاباته لانور المعداوي ان يبحث له عن ناشر في القاهرة بنشر ديوان شعره . وفي خطاب آخر كتب يقول لانور المعداوي : إذا قدر لي الشفاء فسابادر باستكمال بناء داري التي تقع بمنطقة ساحرة على صدر القناة في بغداد . ولكن المرض اللعين كان قد انشب اظافره في لحمه وفي عظامه ، ويبدو انه مل طول الرقدة ومرارة الوحدة ، فترك المستشفى وغادر القاهرة عائدا الى بغداد .

وعندما زرت بغداد بعد ثورة ١٤ رمضان ذهبت لزيارة عدنان الراوي في منزله بصدر القناة ، ولكني كرهت اليوم الذي ذهبت فيه اليه ، لانني لم اتعرف عليه إلا بصعوبة ، وعندما رأيته انكرته ، لم يكن هذا عدنان الذي عرفته ، اين الأمل ؟ والحيوية ؟ اين البركان الذي كان في داخله ؟ والتصميم الذي كان في عينيه ؟ لقد انطفأ كل شيء فجأة واصبح الرجل حطاما وشبحا ، وهو بعد على مشارف الخامسة والاربعين ، وبالرغم من ضعفه وذبوله إلا انه استقبلني بحفاوة شديدة واصر على ان ينهض من فراشه ، وتمنى لو استرد عافيته ساعة من الزمان ليقضيها معي في حديقة منزله ، وليطلعني على طريقة طهي السمك المسجوف والذي كان يحبه وطالما حكى لنا في قهوة عبدالله عن السمك المسجوف ، وسألني عن اخبار القاهرة واخبار الاصدقاء واستفسر عن مرض انور المعداوي ، وعن احوال زكريا الحجاوي وعندما نهضت مودعا إياه تعلقت يده بيدي دقائق . وقال ، لقد افتقدت القاهرة ولياليها ومقاهيها ، ولكني ساعود اليها قريبا لاعرض نفسي على الطبيب واقضي اياما مع الاصدقاء . وعندما خرجت من بيته ادركت انها آخر مرة اراه فيها ، وانه على وشك الانطفاء روحا كما انطفأ جسداً . ولقد حدث ما توقعته ، فبعد وصولي الى القاهرة ، جاء عدنان إلى القاهرة ليدخل المستشفى مرة اخرى واخيرة ، وبعد اسابيع قليلة مات في القاهرة ، واقيمت له جنازة كبرى ، ونقل جثمانه إلى بغداد ليدفن في ارضها كما تمنى دائماً ، ومضى واحد من جيل المثقفين العرب الذين اقلقهم مصير الوطن وارعبهم ما يلوح على الطريق من نذر ، وسقطوا وهم يحاربون في الداخل وفي الخارج معاً اعداء اغرابا في الخارج واعداء محليين في الداخل ، ولشدة ما قاتلوا في المعارك سقطوا صرعى قبل الاوان !

الوسيّة

عمل أدبي كبير أغفله النقد ظلماً !

بقلم : فتحي رضوان

لقد عرفت الدكتور خليل حسن خليل منذ سنوات . استاذاً في جامعة القاهرة . في الاقتصاد السياسي . وكان كل مايصدر عنه . يدل على أنه صنع نفسه . وكابد في الحياة . مكابدة كلفته الكثير من الالم والحرمان . بل من الشقاء والعذاب . فخرج من التجربة الطويلة المضنية . صلب العود . تلميذا باراً لسنوات الكفاح . وللطريق الصعب . الذى شقه في الصخر . بأظافره . صابراً صامداً . لا ينثني له عزم . ولا تلين له قناة . عرفت ذلك من قسمات وجهه . ونبرات صوته . وقامته المشوقة . واستعداده المتجدد . لاسماع صوته . وفرض وجوده . ولكن كل هذا . من قبيل الاستنتاج والاحساس اللا شعورى . من مخالطة غير صميمة . في فترة غير طويلة . ومن كلمة ألقاها في اجتماع انتخابي في مصر الجديدة الضاحية الأنيقة – أو التي كانت أنيقة – والتي تقع غير بعيد من القاهرة . فقد تنافس على هذه الدائرة خمسة من المرشحين . وكنت عضواً في اللجنة العليا للانتخابات . ومشرفاً على مصر الجديدة وما حولها . واقترحت على المرشحين ان يقدموا أنفسهم للناخبين في اجتماع واحد . فلما جاء دوره للكلام . قال كلاماً . هز الحاضرين . وأنا في مقدمتهم . لقد انفعلت له من الاعماق لأنه قال مالم يكن في وسع أحد سواه ان يقوله . فقد قال . اذا كان مجتمع الثورة يتكون من العمال والفلاحين والجنود والمثقفين . فانا أمثل هذه الطوائف جميعا . فقد كنت عاملا زراعيا . لم يزد أجرى عن قروش . وعشت عيشة الفلاح الفقير الصغير المحروم والتحقت بالجيش جنديا متطوعا . وفي كل يوم خميس كنت أقف في ميدان الجامع بمصر الجديدة . لأنتظر الترام الأبيض لأذهب الى القاهرة . التماسا للراحة والترفيه بعد اسبوع عمل شاق . ثم إني قد علمت نفس فحصلت على الشهادات من الابتدائية حتى ليسانس كلية الحقوق . منتسباً . وبالمجان .

ولكن مهما كان تأثرى بهذا الكلام . واعجابي بشجاعة الذى قاله . فقد كان انفعالاً عابراً . لأنه قيل مع كلام كثير غيره . ولأنه قيل دون أن نعرف ما وراءه من أهوال المكابدة . ولا المآسي التي عبرت عنها هذه الكلمات القصار . ومدى اختلاط سني تلك التجربة بالدم المسفوك . والعرق المتصبب . والاحساس الجريح . والكرامة المطعونة . حيث اتصل بي الدكتور خليل حسن خليل منذ أسابيع قليلة . وطلب ان يزورني . فلما جاء لزيارتي . لمحت في يده كتابا . وهمت أنه أحد كتبه في شئون الاقتصاد أو السياسة . ولكني فوجئت بانه رواية تحمل اسم الوسية . وأنها صدرت منذ سنوات . فاغفلها الجميع . ثم ترت منسية ومتروكة . وقد تصورت بادئ الأمر أنها محاولة وحيدة . لرجل علم . اراد ان يرفه عن نفسه بعمل أدبي . فجاء كالعادة في مثل هذه الظروف . أشبه شئ بالتقرير . الذى ينطوى على طرائف مرت بكاتبه . وقد يتسم بالمذاق الأدبي . وبطلاوة الاسلوب . وبحرارة العبارة . وبصدق الكاتب . ولكنها تبقى في آخر الأمر . منقطعة الصلة بروح العمل الأدبي . الذى يحتاج مع كل تلك العناصر . الى خيال . يستخرج من الوقائع . بواطن حقائقها . ويحس بتناقض الحياة . الذى يحيل المآسي الى مهازل تضحك . والمهازل الى مآس تبكى . ويروى الفواجع وهو يسخر منها . ويعلو عليها . ويطل على تتابعها واتصالها . كمصور يجلس على مقعد عال . يراها . وحدة لا تنفصل اجزاؤها بعضها عن بعض . ثم يرى ماوراءها . مما لا تدركه العيون ولا تهتدى اليه الأبصار . ويبقى حقا خالصا لذوى البصيرة النفاذة فلما قرأت



الوسية . رايت أن المجتمع الأدبي . قد ظلم مؤلف الوسية ظلما بيّنا . وظلم نفسه في الوقت نفسه . (فالوسيه) وثيقة أدبية من الطراز الاول . رسمت بريشة فنان مرهف الحس قوى النفس . له في الحياة اهداف تجعل تجارب الألم والفجيعة . والاهمال والسقوط . والتطلع الى التقدم والنجاح . المحفوف بالمكاره . والمصاحب للفشل الموجع . وخيبة الأمل الطاغية . عناصر لا مفر منها . ولا مندوحة عنها . بل لعلها هى الدم الذى تعجن به فطيرة الحياة . في اسمى درجاتها . والتي لا تخرج هذه الفطيرة من فرن الأمتحان الرهيب . الا اذا عجنت . وأصبحت جزءا منها .

قرات ثم قرات . واخذت اطوى الصفحات . وأنا أقلب في الوقت نفسه . وقائع مساحة من الزمن . بلغت نحو ربع قرن . تزاحمت فيها الأحداث . وتشابكت . كما لم تتزاحم وتتشابك في اية فترة أخرى .

فالفترة التي تصورها . وتعبر عنها . وتصف مقدماتها . وخلفياتها رواية الوسيه هى الفترة التي شهدت الحرب العالمية الثانية . ونشوب حرب فلسطين وتجمع ارهاصات ثورة سنة ١٩٥٢ . وتهاوى العهد القديم . وتشبثه العنيد بالبقاء . وحرصه على الا يترك المسرح . وعجز قوى التجديد والعهد الجديد عن رفع قبضة الاستعمار والظلم الاجتماعى . عن عنقه الضعيفة والنحيفة التي تكاد تنفصل في يده عن الصدر والراس . ليسلم صاحبه انفاسه الأخيرة للموت الأبدى .

فترة ليس في غناها وضخامة آثارها . وتعقد مقدماتها وتنوع مصادرها ومواردها غيرها في تاريخ مصر الحديث . وفي تاريخ المنطقة العربية كلها خلال القرنين الحاسمين : التاسع عشر والعشرين . وهى فترة للأسف المحض . لم تظفر من أدب المصريين أو أدب العرب أجمعين . ماتستحقه من التصوير والتحليل . فاذا استحضرنا اسماء الروايات والقصص والمسرحيات والقصائد . لم نجد فيها كلها في الاغلب الأعم الا صورا من الظاهر . تروى الوقائع وتقدم الشخصيات . ولا تغوص الى الباطن . ولعل مرد ذلك الى أن اكثر الذين كتبوا عنها . كانوا ممن يشاهدون أحداثها من موقع المتفرج وقد يكون المتفرج حساسا . وشديد الاتصال بمن يرى . ثائرا على مايجرى راغبا في التغير . ناقما على تفريط بعض القادة والمسئولين أو تباطئهم أو تهاونهم الذى يبلغ حد الخيانة . ولكن ليس في هؤلاء جميعا واحد اكتوى بنار تلك الأيام . وبات على الطوى ليالى . والتحف السماء . وافترش الغبراء . وكان واحدا من المحرومين بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة الحارقة والكاوية . ولكن خليل حسن خليل عرف شب الجحيم . وهو يتلظى في أعماقه . وعاش في الخلاء . واتخذ من اكياس القطن فرشا وغطاء . وأكل الخبز الردئ المخلوط بالتراب . ولم يكن أدامه الا (المخلل) الذى يشوى الأمعاء . فيتركه . وهو يتلوى من المواد الكاوية . التي كان يتبلغ بها باعتبارها طعاما . وكان في الوقت نفسه في ذيل المجتمع . لايعرفه أحد . حتى ولا الشرطى الذى لايملك حتى لنفسه ضرا ولا نفعا . فهو يواجه المجتمع بكل سلطاته . وبكل طبقات أغنيائه وأشباه الأغنياء . واتباع الاغنياء وصنائعهم . وهو وحده شبه عار . يخوض في الوحل . ويترك في العراء ويتكلم معه صاحب الضيعة . كما يتحدث الى أحد حميره أو خيله . لمجرد أنه يقضي حاجته وينفذ أمره . ولم يكن خليل حسن خليل العامل الزراعى . في ضيعة الخواجه اليوناني أيا كان اسمه (يني) أو (منجا ليدى) . أو (كوستا) . مجرد عامل زراعى يتقاضى في الشهر الواحد ٤٥قرشا صاغا – لا

الوسيّة

عمل أدبي كبير أغفله النقد ظلما!

في اليوم – ولا في الاسبوع – وانما في الشهر. الذى عدة أيامه كما نعرف كلنا ثلاثون يوما، ثلاثون يوما ينفق فيها ٤٥ قرشاً لا على نفسه فقط. وانما على نفسه وعلى أمه وعلى اخواته البنات. ولا تسألني كيف استطاع ان يعيش هو وعائلته بهذا المبلغ الحقير. ويباليته كان فلاحا ورث الفقر عن أبيه وجده. وأصبح يؤمن بأن ما يجرى له. ليس سوى الامر الطبيعي. الذى يشبه شروق الشمس وغروبها. وامتلاء الشوارع بالطين. ووجود الناموس والقمل والضفادع. وباقي الضربات التي ضرب بها الله فرعون وقومه.

فقد كان خليل حسن خليل طالباً متفوقا في المدرسة الابتدائية بقرية كفر صقر، وحصل على شهادة الابتدائية بتفوق عظيم. وذهب الى المدرسة الثانوية. ولكنه طرد لا لأنه رسب، ولا لأنه ارتكب خطأ خلقيا ولكن لأنه ارتكب أكبر جرائم ذلك العهد: فقره المدقع الذى حال بينه وبين ان يدفع القسط الثاني من مصروفات المدرسة لأن وزارة التعليم في ذلك العهد ضنت عليه بمجانية كاملة مع تفوقه العظيم فطرد ليعمل في مزرعة الخواجه اليوناني الذى وفد الى مصر ليعمل خادماً في مقهى (جرسون) كان الأجانب في ذلك العهد: يجدون في خدمتهم جيش احتلال بريطاني. فقد كان ممكناً ان يتحول الخادم اليوناني الأمي الجاهل، والجشع، والذى لا يتورع عن ارتكاب أية جريمة. مع الفظاظة والغلظة والتعالى على المصريين واستغلال فقرائهم. يستطيع ان يتحول الى ثرى كبير، ويملك في ناصية واحدة خمسمائة فدان ويكون الفلاح الصغير الذى يبلغ الخامسة عشر. موظفاً عنده يقوم باكثر من وظيفة هامة: كتابية وادارية، مقابل مرتب حينما بلغ أقصى الغاية كان جنيهاواحدا.

كان الأدب المصرى في أشد الحاجة الى كاتب خاض هذه التجربة. ليصفها بصدق، وبراعة حقيقية. فقد عرف خاصية العمل الأدبي الناجح. وهى الاقتصاد الشديد في الالفاظ. حتى تصبح الجملة وحدة متماسكة. كأنها رصاصة تقتل، أو تبعث في نفس القارئ جيشاناً واضطرابا وانفعالا. يهدأ ليتجدد. ويتوارى ليظهر.

فرواية الدكتور حسن خليل حسن، خلت من الرنين الخطابي، والنبرة الوعظية والاسلوب التقريرى. وهذه كلها عيوب، تجرد الرواية من مذاقها الروائي الذى هو جوهر العمل الأدبي الذى يتخذ الرواية شكلا، وقالبا. وللرواية ميزة أخرى. ذلك هو تجرد الرواية من المرارة التي تضعف السمة التلقائية للقص والسرد. وتميل بها الى صيغة القص، أو الوعظ. فحياة الصبي في ضيعة (الخواجا اليوناني). والتناقض الهائل بين بذخ حياة هذا الدخيل الذى يكاد يكون لصا متلبساً بسرقته، بين جموع الفلاحين الذين يشقون طوال العام، في أشد الظروف قسوة، مقابل كسرة خبز لاتسد رمقهم ولا تقيم أودهم، تروى، في طيبة وسذاجة. وكان الذى يرويها صبي شقي. يسخر من هذا الاسلوب المضحك المخزى من شئ لايصح تسميته حياة الاعلى سبيل التزييف او التلطف وهو اذ يروى هذه الحياة، ويصورها لك. لا يقف أمامك بالفرشاة وبذلة الفنان فيفسد عليك تمتعك بالصورة التي تنتفض حياة، وتتألق فيها الالوان المتباينة، مع تناسق تام بجو المأساة التي بلغت القمة واستحالت مهزلة. وهو قادر على ان يصور الشخصيات العديدة التي تتكون منها الصورة الرائعة التي يقدمها لك، بدقة تاخذ بلبك: رئيسه المباشر (سليم) الذى يكاد يتضور من الجوع ومع ذلك يرضى بقسمته ويدعو الله مخلصا (اللهم أدمها نعمة) ويجعل شعاره قولة (رضا) والخير. والكاتب الذى يسرق الخواجة صاحب الضيعة. والفلاحون الفقراء الذين يطحنهم الفقر طحنا بقسوة بالغة. وهم أعجز من أن يتصوروا هناك مخرجاً من هذا الجحيم الذى يصطلون بناره.

ولا تفارق الكاتب قدرته حين يتنقل من حياة الريف، الى دنيا المحبين التي تحس معها بنسمات رقيقة، ولطيفة تخفف من قسوة جو الرواية. وهى تقدم لنا أهل الريف. أشبه شئ بالمحكوم عليهم بالموت. وهم يساقون الى مشنقة خفية. يعلقون في حبالها. ومع ذلك لا يموتون. وحينما يصل بطل الرواية الى القمة. فيحصل على ليسانس الحقوق. لا تحس ان الازمة انتهت. وانما تحس أن أزمة البطل، طوال فصول الرواية هى في الواقع أزمة مجتمع. فالشقاء الذى يعانيه البطل، هو شقاء المجتمع الذى ولد فيه، وانتسب اليه. وهو شقاء يطارد الفقراء فيه وميسورى الحال معاً. وان كان وقعه عند هؤلاء يختلف عن وقعه عند اولئك.

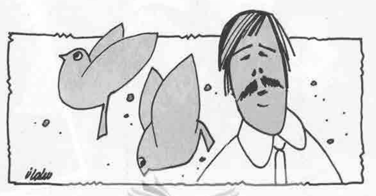
وآخر الأمر أنا أزعم أن (رواية الوسيه). هى وثيقة اجتماعية وسياسية، ناطقة وموحية ودافعة، بقدر ماهى وثيقة، تقف وستقف في تاريخنا الأدبي في مكان خاص: سيلفت إليها الانظار وسيوقف الاقلام، ولو اننا اغمضنا العين عنها وتجاهلناها، ربما لأننا ألفنا أن نعايش التوافه، والسطحيات، واعمالا تتسم بالغلظة والفراغ.

فتحي رضوان

ضريح المليكة

« إلى أمي »

شعر: علي جعفر العلاق



تظلّلني وأنا أدخلُ المقبرةْ
سماءٌ من اليتمِ ،
والعشب ،
والحسراتْ ،
رمادٌ يحاصرني من جميعِ الجهاتْ
سُحُبٌ مقفرةْ ،
تظلّلني وأنا أدخلُ المقبرةْ ..
سريرُ المليكةِ مملكة
من أنينٍ وأتربةٍ ،
قمرٌ ضائعٌ فوقَ صمتِ المياهْ ،
أرائكُ منذورةٌ
لطيور الصباح
ضريحُ المليكةِ أدعيةٌ ،
تعبٌ لا يجدُ مداهُ ..
وتتسعُ المقبرةْ
ترتّب أحجارَها
وتنادمُ آبارها المقفره
توسّعها تارةً ،
وتضيّقها تارةً
على بعضها البعض تتكيءُ
ومن آخرِ العمرِ تبتدئُ
تلمّستُ حزني .. لا العشب يعرفُ
أين خباءُ المليكة ، لا الرملُ يعرفُ
أين أرائكها ،

مَنْ يشمُّ حرائقَ روحي ؟
مَن يحرّرني
مَنْ دخانِ ثيابي ؟
حنيني مشتبكٌ
ودمي شركٌ
لا صطيادِ الأسى
والذئاب ..

وأخرجُ من طرفِ المقبرةْ
يرافقني قبرُها الواسعُ
ويهمسُ لي السورُ ، والقمرُ الضائعُ :
— ضريحُ المليكةِ في أوّلِ المقبرةْ .
— ضريحُ المليكةِ في آخرِ المقبرةْ .
— ضريحُ المليكةِ ، كالافقِ ، يحتضن ، المقبرةْ ..



الشاعر صلاح عبد الصبور مع زوجته الأديبة سميحة غالب وابنتيه الوحيدتين : مي ومعتزة

كيف انتهت حياة شاعر كبير؟

تفاصيل الليلة الأخيرة في حياة الشاعر صلاح عبد الصبور

الأديبة سميحة غالب زوجة الشاعر :

- زوجي قتلته كلمة تشبه طعنة السكين .
- النقاد ظلموا صلاح عبد الصبور عندما طالبوه بالتفاؤل في شعره .
- «الحديقة الموحشة» اخر ما كتب ، عن عالم أبي العلاء المعري .
- «احلام الفارس القديم» احب قصائده إلى نفسي ، و «ليلي والمجنون» احب مسرحياته إلي .

أجرى الحوار : محمد يوسف

في هذا الحوار مع السيدة سميحة غالب (زوجة الشاعر الراحل صلاح عبد الصبور) تميط ، رفيقة دربه ، اللثام عن تفاصيل الليلة الأخيرة التي شهدت سقوط الفارس ، وتلم شظايا المشهد الأخير الفاجع قبل إسدال الستار .

من جانب أخر ، تستدعي السيدة سميحة غالب ذاكرتها المضيئة لتتحدث عن الكتب والأوراق الأخيرة التي تركها صلاح عبد الصبور ، وتجيب على بعض الأسئلة التي تتناول العصر الذي عاشه وعايشه ، وهل انصفه أم ظلمه ، ولماذا كانت رؤيته الشعرية مبطنة برائحة اليأس الوجودي ، ولماذا لم يتفرغ الفارس الراحل للابداع والكتابة ، وهل خذل صاحب (الناس في بلادي) الشعر والموقف ام لا ، وما هي احب اشعاره ومسرحياته إلى نفسها ؛ وماذا علم ابنتيه : «مي» ، و«معتزة» ؛ إلى جانب بعض ذكرياتها معه .

وفيما يلي نص الحوار .

● الأوراق الأخيرة التي تركها صلاح عبد الصبور .. ماذا كانت تحتوي ؟ وهل اكملها .. ؟

–الأوراق الأخيرة التي كتبها صلاح عبد الصبور اتت مشتتة ، متفرقة .. تفرق وتشتت الايام نفسها .

كانت الأيام بالنسبة لصلاح قاسية موحشة ، لم يعرف فيها إلا بسمات قليلة وجلة ومترددة ، تاتي على استحياء وتنعكس على محيا ابنتيه «مي» ، و «معتزة» ؛ فهما كانتا البسمة الوحيدة في حياته ، اضيف انهما كانتا السبب الوحيد ايضا الذي جعله يحرص على بعض الاشياء التي لم يكن هو شخصيا بحاجة إليها .

وانا ادين نفسي ، بصفتي زوجة لصلاح عبد الصبور ، لانني وضعت امومتي في المرتبة الأولى ، ولم اسمح لاي ظرف من الظروف ان يهز كيان اسرتي الصغيرة .

اعود إلى الاوراق التي تركها صلاح فاقول لك إنه انتهى من كتابه «الحديقة الموحشة» وهو عبارة عن نصوص مختارة من شعر ابي العلاء المعري مع تقديم وتحليل ونظرة نقدية .

كتب ايضا ، قبل رحيله ، بدايات مسرحيتين ، الاولى عن (عنترة) والاخرى عن (الزير سالم) ، إلى جانب كتابة بداية لمسرحية نثرية ، وبداية مشروع قاموس عربي كان قد اتفق على إعداده وكتابته ، مع سهيل إدريس لنشره في دار الآداب .

● الليلة الأخيرة التي شهدت رحيل صلاح عبد الصبور : ما هي تفاصيلها ؟

ماذا حدث ؟ .. وكيف سقط الفارس ؟

ـ بداية اقول لك إن صلاح عبد الصبور لم يكن يقبل أن ينتمي إلى اي نظام سياسي .

ببساطة : لانه لم يقتنع باي نظام سياسي ، ولم يكتب كلمة تأييد او مهادنة لاي نظام من الانظمة .

صلاح عبد الصبور كان يحمل هموم المثقفين على كتفيه ، وفي قلبه ، لقد كرس حياته لها ، ومات بها أو بسببها .

وفي الليلة الاخيرة قتلته .. كلمة !

وهذا يؤيده تقرير الاطباء ، فالتقرير الموجود عندي يقول بان صلاح داهمته (جلطة في الشريان التاجي نتيجة انفعال داخلي اتى بعد فترة (إجهاد) .

والكلمة القاتلة قالها رسام مصري معروف الاسم في الجلسة التعسة في اليوم الاخير من حياة صلاح .

قال الرسام لصلاح بالحرف الواحد ، في منزل احمد عبد المعطي حجازي الذي كنا نحتفل معه بعيد ميلاد ابنته : «لقد بعت نفسك بمليم» .

كانت الكلمة طعنة غادرة في ظهر صلاح .. طمست كل الحقائق .

وقبل هذه الطعنة .. كانت الجلسة تضيق الخناق على صلاح بشكل ملتوٍ ، يحوم حول توجيه اتهامات باطلة له .

وتمالك صلاح نفسه ورد على الرسام: كيف بعت نفسي ؟ ولمن ؟ وباي ثمن بعت نفسي ؟

ولما لم يرد عليه بجواب مقنع اضاف صلاح قائلا : انتم لا تجيدون إلا كلام الطرطشة العاطفية .

وهب واقفا وهو يضع يده على قلبه ، يطلب هواء نقيا لأن جو المكان تسمم بالغدر والكذب وتلفيق اسباب الاتهام .

● كيف واجهت هذا الموقف .. وكيف تصرفت إزاءه ؟

ـ في بداية الكلام المريب ، وقبل ان يصاب صلاح بالازمة القلبية احسست انا بضيق في التنفس ، واخذتني زوجة عبد المعطي حجازي لاغسل وجهي وامسح دموعي ، ولكني شعرت بان روحي على وشك ان تصعد إلى بارئها .

وقلت لزوجة حجازي : إنني اشعر بانني اموت فعلا .

ولكنني تماسكت ، وعدت لاكون إلى جوار صلاح .

بعدها سمعت الكلمة القاتلة ، أو الطعنة الغادرة توجه إلى قلب صلاح في حضور ابنتيه (وابنتي) : «مي» ، و «معتزة» .. !

ولم اتمالك نفسي ، ولم يشف غليلي رد صلاح ، فصحت في وجوه الحاضرين متهمة الجلسة كلها بطابع السوقية .

وطلبت ، من الرسام في ذروة الانفعال ، أن يعطيني ورقة مكتوبة في ثلاثة اسطر ، لا غير ، يذكر فيها بعضا من مواقفه الوطنية الشريفة ..

.. ولكن صلاح وضع يده على كتفي قائلا : كوني قوية يا ام «مي» .

وردد هذه العبارة اكثر من مرة ، وكانت هذه هي اخر كلماته لي .

● هل تسمحين لذاكرتك باعادة المشهد الاخير .. بتفاصيله المفجعة ؟

ـ نسيت ان اذكر انه بعد ان ثرت اذا في وجوه الحاضرين انحنى الرسام على حذاء

تفاصيل الليلة الأخيرة

في حياة الشاعر صلاح عبد الصبور

صلاح طالباً منه الصفح والتسامح .

وسحب صلاح قدمه إلى الخلف قائلا : انا اكره مثل هذا التصرف .

وخرج إلى الطريق طلباً للهواء النقي عله يشفيه من الطعنة الغادرة .

وخرج خلفه احمد حجازي وجابر عصفور .. وعندما كنت اهرول للحاق بصلاح اعترض طريقي امل دنقل قائلا : دعيه يذهب معهم وحده ، ليتمشى قليلا ويعود متناسياً ما قيل .

وبعد اكثر من ساعة ، ولا ادري بالتحديد الوقت الذي عاد فيه احمد حجازي وجابر عصفور ليقولا لي إن صلاح فى غرفة الانعاش بالمستشفى .

ولم يصارحاني او يكاشفاني بان قلبه المطعون بغدر الاصدقاء لم يحتمل اكثر من دقائق ففارق الحياة غير آسف عليها .

ولكنني سمعت أمل دنقل يتحدث بالتليفون مع الرسام الذي كان قد غادر الجلسة إلى منزله ويقول له : لقد قتلت صلاح عبد الصبور !

وعندئذ عرفت ان صلاح قد مات فعلا ، ولكني كنت احاول الا اصدق عيني ولا سمعي ، واتشبث باي امل ، ولو كان واهيا جداً ، خاصة وان «مي» و «معتزة» كانتا معنا ، وشهدتا وسمعتا كل شيء .

واوصلت بنتي إلى منزل امي ، وصممت على الذهاب إلى المستشفى .. وذهب معي جابر عصفور واحمد حجازي ثم لحق بنا امل دنقل بعد وقت قليل ، وبعض الاصدقاء الآخرين ..

وانا الآن .. لا اذكر كل الوجوه التي كانت موجودة في ساحة المستشفى فقد كان المشهد فاجعاً إلى اقصى درجة .

لكنني اذكر كلمات امل دنقل الذي كان ممسكاً بذراعي لمساعدتي على الوقوف ومغادرة المستشفى .

قال امل : حزننا على صلاح لا نهاية له .. إننا جميعاً سنتشرد من بعده .

وهنا انتبهت لكلمات الصديق امل وقلت له : الم يكن في استطاعتك ان تقول هذا الكلام لصلاح نفسه قبل ان يموت حتى تثلج صدره وهو يواجه هذه الافتراءات الكاذبة .

و ... كان قد فات الأوان ... !

المحور الثاني :

● العصر ، الذي عاشه وعايشه ، صلاح عبد الصبور باشراقاته وظلماته ، بانتصاراته وانكساراته ، ببياضه وسواده .. هل انصف صلاح عبد الصبور ام ظلمه ؟

اقول لك الآن ، بمنتهى الوضوح ، ان الايام ظلمت صلاح عبد الصبور كثيراً ، وحتى الاصدقاء الذين كانوا يحيطون به في الصباح وهو في مكتبه (وكان كل منهم يطلب عوناً في عمل او في نشر كتاب ، ولم يرد صلاح لهم طلبا ابدا .. حتى هؤلاء الأصدقاء طعنوه طعنة غادرة .

والاقسى والامر ان صلاح كان يعرف طبائع الأشياء ، وجوهر الامور ، وفضائل البشر ، وغدر الاصدقاء ومرارة الايام ، ويشعر بها ، ويعيشها . لذلك ظلمه النقاد عندما طلبوا منه ان يسبغ بعض التفاؤل على شعره .

من اين ياتي الفرح وهذا هو الواقع المر الذي يواجهه ويجابهه على المستويين السياسي والاجتماعي ، بل حتى مستوى واقع الصحاب .

هذا زمن الحق الضائع
لا يعرف فيه مقتول من قاتله ومتى قتله
ورؤوس الناس على جثث الحيوانات
ورؤوس الحيوانات على جثث الناس
فتحسس راسك
فتحسس راسك

(المقطع الرابع من قصيدة «الظل والصليب» ديوان «اقول لكم») .

ها انا سائر في الفصول ، عليل صحيح ، كئيب ، واخشى الكآبةَ حينا ، وتمضي الحياة تعيدُ مداراتها والشموس النجوم تعيدُ استداراتها ، وروحي تعيد ولادتها واحتضاراتها :

والشموس النجوم الأهلة ، يا زمنا فاترا ، يا حياة تجرب كيف تقلدُ صورتها في الزمان البعيد القديمِ
ها انا استدير بوجهي إليك ، ايا زمنا ليس يوجد بعد ، ايا زمنا قادما من وراء الغيومْ

لقد ظلم العصر كله صلاح عبد الصبور، فلقد كان لصلاح فلسفته الخاصة في رؤية الاشياء ، وتقليب الامور ، وكانت رؤيته تنطوي على اشراقات وتكهنات مستقبلية ثاقبة :

كهان الكلمات الكتبة
جهال الاروقة الكذبة
وفلاسفة الطلسمات
والبلداء الشعراء

جرذان الأحياء
وتماسيح الاموات

.

حكوا اقفيتهم ، وتلاغوا كذباب الحانات
لا يعرف احدهمو من امر الكلمات
إلا غمغمة او همهمة او هسهسة او تاتاة
او فافاة او شقشقة او سفسفه او ما شابه ذلك من اصوات
وتسلوا بترامي تلك الفقاعات
لما سكروا سكر الضفدع بالطين
طربوا بنعيق الأصوات المجنون
حتى ثقلت اجفانهمو ، واجتاحتهم شهوة عربدة فظة
فانطلقوا في نبرات مكتظة

وتلوك الأشداق الفارغة القذرة
لحم الكلمات المطعون
حتى القوا ببقايا قيئهم الملعون
في رحم الحق
في رحم الخير
في رحم الحرية .

(مسرحية «ليلى والمجنون») .

● اختار كل ايامي معه إلا يوماً واحداً هو يوم رحيله .

● لم يتفرغ صلاح للكتابة لانه لم يكن يملك غير راتبه .

● عندما كتب «ماساة الحلاج» كان يائسا من وجود العدل بين البشر ، وعندما كتب «بعد أن يموت الملك» قدم رؤية درامية للشاعر المهزوم الذي لا يملك غير كلماته .

● يرى بعض النقاد الذين يربطون مفهوم الالتزام (شعريا وإنسانيا) بمفهوم إعلان الموقف الواضح إزاء السلطة الهرمية الفردية بانه خذل الشعر ، وخذل الموقف .. فما رايك ؟

– في رايي .. إن وظيفة الشاعر ان يقدم الواقع من خلال رموزه المتمثلة في شعره ، فهو يحمل قلما ولا يحمل سيفا ، علما بان السيف احيانا تكون له ضربات طائشة وغير واعية ، اما القلم ، خاصة اذا كان في يد واعية مبصرة ، فانه يقدم كلمات لا تفسد فنه ولكنها تجسد الحقيقة وتبلورها في صياغة إبداعية يفهمها ويهضمها القارئ والمتلقي .

واضرب لك مثلا بما حدث عام ١٩٧٢ .. اي قبل حرب اكتوبر ، وهي الفترة التي عانى فيها الشعب والجيش المصري من عقدة اللاسلم واللاحرب ...

وخرج طلاب جامعة القاهرة في مظاهرات عاتية مطالبين بوضع حد لهذه الحالة ، وكانت المظاهرات تحمل لافتات كتبت عليها بعض اشعار صلاح عبدالصبور : (انفجروا او موتوا) ، و (رعب اكبر من هذا سوف يجيء) و (إنا ننتظر نبيا يحمل سيفا) .

الم تكن هذه المقتطفات من اشعار صلاح عبدالصبور تجسد موقفا ملتزما واضحا ؟

فكيف يقول هؤلاء النقاد ، بعد ذلك ، إن صلاح خذل الشعر وخذل الموقف ؟

إنني اطالبهم بالاحتكام إلى شعره ، وتفاصيل رؤيته الشعرية .

● ... الجانب الاخر من السؤال ، والخاص بالموقف .. في حاجة إلى بعض الاضاءة .. ؟

– لاباس .

ساذكر لك شيئا عن الملابسات التي اقترنت ، بطبيعة الحال ، بالظروف السياسية الاخيرة التي عاشها وواجهها صلاح عبد الصبور في الهند .

لقد ترك صلاح القاهرة على كره منه وشد الرحال إلى الهند حيث عمل هناك لمدة ثلاثة اعوام .

وهناك تضاعف حزن صلاح ، وكآبته ، وتفاقم إحساسه بالغربة .

وكانت الشمس الحزينة
تصب نارها الحزينة
في الأعين الحزينة لكتابائه
لامراة حزينة ، ورجل حزين
في بلدة حزينة

(المقطع رقم (١٢) من قصيدة «شذرات من حكاية متكررة وحزينة» / ديوان (الابحار في الذاكرة))

وعاد صلاح عبد الصبور إلى القاهرة وهو يعرف انه سيواجه ازمات نفسية واوضاعا غير مرضية ، ولكنه قال لي :

– فليكن .. ساقضي بقية ايامي في وطني .

وعاد ليشغل نفس الوظيفة التي كان يشغلها قبل ان يغادر الوطن .

والوظيفة ، بغض النظر عن طبيعتها ، قيد على الفنان .. لكن كان يخفف من وطاتها على صلاح انها كانت في هيئة الكتاب مما اتاح له الفرصة لخدمة الادباء الشبان على اختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم ، فطبع لهم الدواوين والمجموعات القصصية والدراسات وغيرها بشكل موسع لم يحدث قبل ذلك ولا بعد ذلك وكان مكتبه في هيئة الكتاب يشكل تجمعا او صالونا ادبيا لا ينفض إطلاقا ، تلتقي فيه كل الاتجاهات وكل الانتماءات ؛ وكان الحوار فيه مفتوحا ومتنوعا ولا قيد عليه .

لقد اعطى صلاح معظم وقته للشباب والشيوخ من المثقفين ؛ وكان يشارك بالراي والحوار في هذه الجلسات التي كانت تضم رموزا ثقافية على امتداد الرقعة السياسية .. من اليمين واليسار والوسط .. على اختلاف مشاربهم واعمارهم .. من مصر او من العالم العربي .

ما كان احد المثقفين او المبدعين يزور القاهرة إلا ويجعل مزاره : مكتب صلاح عبد الصبور صباحا ، او بيته عندما ياتي المساء .

ربما .. لهذا السبب بالذات لم يستطع صلاح في الايام الاخيرة ان يتفرغ لكتاباته ؛ وعندما قرر ترك الوظيفة للتفرغ للكتابة لم تمهله الايام .

● هل تسمحين ان اعترض تداعيات الذاكرة واسال : لماذا لم يفكر صلاح عبد الصبور في التفرغ للكتابة منذ وقت طويل سابق ؟

إن صلاح عبد الصبور لم يكن يملك إلا راتبه . وبالطبع فان التفرغ للكتابة وهجر الوظيفة كانا يتطلبان ويقتضيان ترتيب الامور المالية التي كان ينفق منها على بيته وبنتيه .

وكما اشرت فان صلاح كان لا يملك إلا راتبه الوظيفي .. وذلك منذ ان تخرج من الجامعة وعمل مدرسا ثم صحفيا ثم موظفا بهيئة الكتاب .. لكن الوظيفة اكلت ايامه ، وقتلت وقته ، ومن اجلها او بسببها طعنته كلمات مسمومة قاتلة .

ومن اراد ان يعرف صلاح عبد الصبور فليقرا اشعاره في دواوينه او مسرحياته .. لقد كان اسلوب صلاح عبد الصبور في النضال بالكلمة واعيا وموضوعيا ، ولم يكن يندفع وراء الكلمات البراقة التي تخاطب العواطف فحسب ؛ فقد كان يخاطب العقل قبل القلب ليصل إلى قلب الحقيقة .

● قصائد صلاح عبد الصبور الاخيرة كانت تفوح منها رائحة «الياس الوجودي» .. كيف تفسرين ذلك ؟

– عندما كتب صلاح مسرحيته الشعرية (ماساة الحلاج) كان يائسا من وجود العدل بين البشر ، وعندما كتب مسرحية (ليلى والمجنون) كان يائسا من تمثل الحقيقة

تفاصيل الليلة الأخيرة

في حياة الشاعر صلاح عبد الصبور

ووضوحها ، وتعرف البشر عليها ؛ وعندما كتب مسرحية (مسافر ليل) قدم رؤية جديدة لعبثية الكلمات ، وكيف تتخفى كلمات الظلم والكذب في ثوب الحقيقة ، وعندما كتب مسرحية (الأميرة تنتظر) قدم شكلا دراميا للصراع بين المثقف والسلطة الطاغية في شخصيتي القرندل والسمندل ، وعندما كتب مسرحية (بعد ان يموت الملك) قدم رؤية درامية للشاعر المهزوم الذي لا يملك غير كلماته واشعاره في صراعه من اجل الوطن الامثل .

لقد وضع صلاح نفسه وفكره في خيوط وخطوط درامياته الشعرية الخمس التي مكنته من التوثب الدرامي حيث تكون مساحة الكلمة اوسع واعمق وارحب .

● ما هي احب قصائد صلاح عبد الصبور ، واحب مسرحياته إليك ؟

ـ احب قصائده إلى قصيدة (احلام الفارس القديم) ، اما احب مسرحياته إلى نفسي فهي مسرحية (ليلى والمجنون) ، خاصة المونولوج الذي اجراه على لسان سعيد الشاعر والذي حمل عنوانا طويلا هو : (يوميات نبي مهزوم يحمل قلما ، ينتظر نبيا يحمل سيفا) .

● ذكرياتكما ... حياتكما .. ايامكما ..

ما هو مقدار ما كان فيها من عطر الشعر ، وندى الاشراق الشعري ؟

ـ هانذا افتقد ايامي مع صلاح عبد الصبور ..

افتقدها مع حفيف الأوراق البيضاء والمحبرة التي مازالت على مكتبه .

افتقد اياما كنت فيها معه اميرة بيته ، والتي تنتظر غدواته وروحاته .. فكنت دائما ، الاميرة التي تنتظر .

والآن ...

إذا جلست على الكرسي المقابل لمكتبه افتقد بشدة حديثنا الليلي ، وحول النافذة اشجار الليل الهامسة تشاركنا الحديث ..

افتقده وهو يحدثني عن احلامه .. احلام الفارس .. فارس الكلمة الصادقة .

كانت يسافر ليلا مع الكلمات المشوقة الذكية .

كانت اوراقه تناديه فيلبي نداءها ليلا ، ويخط عليها كلمات قلبه السرية .

وكنت اجلس قبالته ساعات طوالا ، انشغل بقراءة ما يختاره لي حتى يفرغ من الكتابة فيقرأ لي ما كتب .

فرحت باول مولود لنا ، وكان مسرحية «ماساة الحلاج» ، ثم فرحت بقدوم ابنتنا الاولى «مي» ؛ وبعدها عشت فرحة مسرحية «الاميرة تنتظر» ومسرحية «مسافر ليل» ، ثم .. فرحة قدوم ابنتنا الثانية «معتزة» ؛ وميلاد مسرحية «ليلي والمجنون» ، ثم مرحية «بعد أن يموت الملك» .

● «مي» و«معتزة» .. ماذا غرس فيهما صلاح عبدالصبور من شعر وشاعرية ؟

ـ كما كان صلاح عبدالصبور يعتني بكل كلمة يكتبها كان يعتني كذلك بكل كلمة يقولها لـ « مي » او « معتزة » .

علمهما أن أسعد الأيام هي التي يقضيانها مع كتاب مختار بمنتهى العناية ، يضيف لهما شيئا جديدا وجيدا .

وعلمهما ايضا كيف يكون اختيار الطريق الى الحق والعدل والشرف . لذلك كانت مهمتي معهما ميسورة وهادئة .

لقد ورثت « مي » ومعتزة » عن ابيهما الحياة المليئة بالكلمات الصادقة المحملة بكل النوايا الطيبة تجاه البشر .

وانا اتنبا للصغيرة « معتزة » ان تكون شاعرة متميزة .

لقد كان صلاح فارسا نبيلا يحلم باصلاح العالم ، وجعله يقف على قدميه بدلا من ان يقف على راسه فتنقلب كل الأشياء الحقة والصحيحة .

كان صلاح عبد الصبور يبغي ترتيب الاشياء ، واعادة البسمة الصادقة للبشرية .. بعد ان ضاعت منه ومنها .

كانت تتجاذبه نزعة نحو الاصلاح ، رغبة في احداث التوازن بين البشر ، وامنية لتحقيق عدالة إنسانية ظلت مفقودة وغائبة لقرون طويلة إلا في فردوس (اليوتوبيا) حيث المدينة الفاضلة مثال تجريدي ، لا واقع حي تجسيدي .

● صلاح عبدالصبور .. كصوت شعري ريادي .. ماذا اضاف للقصيدة العربية الحديثة ؟

ـ لقد اضاف صلاح عبدالصبور الكثير الى شكل القصيدة ومضمونها .. وانا اترك تفاصيل هذه المسالة للنقاد للاستفاضة فيها ، والاستشهاد بنماذج من اشعاره التي تمثل الاضافة الشكلية والمضمونية التي اشرت اليها .

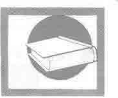
اما من جانبي .. فانا اقول إن صلاح اضاف قاموسا من الالفاظ والمفردات الجديدة ، المخالفة والمجازفة الى القصيدة الحديثة .

لقد كان يعشق استنباط اللفظ الجديد ، ساعده على ذلك معرفته الجيدة واللصيقة بالادب العربي القديم وتراث الشعر العربي فكان يهوى تحليل اللفظ القديم ، واستنباط اللفظ الجديد والمفردة الجديدة .

لهذه الاسباب ، ولاسباب اخرى عديدة .. تزوجت صلاح عبدالصبور عن عمد وسبق اصرار .. فانا لا ارى احدا غيره في الكون يناسب عقلي ووجداني .

ولو عاد الزمن ثانية الى الوراء .. حيث بداية علاقتنا وتواصلنا وحياتنا لاخترته واخترت حياتي على ما كانت عليه مع اسقاط يوم واحد منها هو يوم موت ورحيل صلاح عبدالصبور .

محمد يوسف



الإنفــــــاق

بقلم : الدكتور محمد البهي

جاءت السورة الاولى في الوحي المدني وهي سورة البقرة ، في اية منها تدعو الى الاعطاء غير المحدود لاصحاب الحاجة ، الا بحاجة المالك للمال نفسه . فتقول :

« ويسالونك : ماذا ينفقون ؟ (اي اي مقدار ينفقونه في سبيل الله ، لصاحب الحاجة او الخير العام ؟) .

« قل العفو » (وما يجيب به عن هذا السؤال : هو ان ينفقوا الزائد عن حاجاتهم هم) البقرة : ٢١٩

ومعنى ذلك : ان المؤمنين ـ كقاعدة كليـة ـ مطالبون بالانفاق على اصحاب الحاجة من اموالهم .. الى ان لا يبقى في هذه الاموال إلا ما يسد حـــاجتهم هم . وما جاء من تحديد الانفاق في احاديث الزكاة ، كشرح لاية الصدقات في اخر سورة مدنية ، وهي سورة التوبة لا يمس هذه القاعدة الكلية . فالزكاة هي ادنى مستويات الانفاق ، كظاهرة للمجتمع الانساني ـ وهو ما يريد الاسلام ان يحققه ـ تقابل ظاهرة الشح في المجتمع المادي الوثني ، او المجتمع الجاهلي ، اذ بدون هذه المستويات لا يكون المجتمع قد تحول بعد . والمجتمع المؤمن مطالب بعد ذلك : بالسعة في الانفاق لخير اصحاب الحاجة فيه ، ان كانت هناك ضرورة للتوسع فيه .. أو هو مطالب بان يكون على استعداد نفسي على الاقل : لانفاق ما زاد عن انصبة الزكاة ، مما يدخل في نطاق : « الزائد او العفو » عن حاجة المالك الخاصة .

واذا كانت اية البقرة هذه : تدعو بصفة عامة الى إنفاق الزائد عن الحاجة الخاصة في سبيل الله ، او في سبيل الخير العام ، والمصلحة العامة في المجتمع ، اي في مصلحة المحرومين واصحاب الحاجة فيه .. فان منهج القران لم يدع المؤمنين يشعرون بعبء إذا هم قاموا بانفاق الزائد كله على هؤلاء الضعفاء في المجتمع ، فذكرهم بان ملكيتهم للمال ليست ملكية أصلية . وانما يدهم عليه : يد خلافة وإنابة . فهم مستخلفون فقط على المال اما ملكيته فهي لله وحده . وعلى من يستخلف على امر ما : ان يسير وفق الطريق الذي يرسمه صاحب الشان الاول . وصاحب الشان الاول هذا في المال ، هو الله تعالى .. وطريقه لانفاقه : ان تغطى بمنفعته حاجة المسلمين جميعا ، حاجة من يدهم على المال .. وحاجة الاخرين الذين لا يد لهم على شيء منه .

وجاء هذا التذكير في السورة الثانية في الوحي المدني وهي سورة الحديد ، في قول الله تعالى :

« امنوا بالله ورسوله (اي كونوا مؤمنين حقا بالله وبرسوله وامارة ايمانكم بالله ان تتبعوا ما انزل في كتابه ، وهو القران . وامارة ايمانكم برسوله ، عليه السلام ، ان تقتدوا به في تطبيق ما اوحي اليه ، وهذا الطلب مقدمة ضرورية لاتباع ما يقال لهم الان في شان الانفاق) .

« وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه (ومما يجب ان تطيعوا فيه : ان تنفقوا مما استخلفكم الله عليه من مال . ومن السهل عليكم طاعته في ذلك ؛ لان وضعكم مع المال لا يعدو ان يكون وضع الوكيل او المفوض في التصرف فيه . ولذا : لا ينبغي لكم ان تتراخوا في الاستجابة لما يطلب منكم الان ، في امره) .

« فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير » (ومع كون الانفاق من المال على اصحاب الحاجة ، طاعة لامر الله فيه ، وهو مالكه الحقيقي .. فان المؤمن منكم اذا كان مؤمنا حقا ، واتخذ من الانفاق العام امارة على ايمانه : فله جزاؤه العظيم عند الله ، في دنياه وفي اخرته . ويلاحظ هنا في هذه الاية ـ وفي غيرها من ايات اخرى ـ ان القران في منهجه يضع ايمان المؤمنين في مواضع خاصة ، في بعض الاحيان ، بعد اعلانهم قبوله وفي اثناء تحول مجتمعهم موضع التساؤل ، فيقول هنا : « فالذين امنوا منكم » وكانه يشير الى ان قضية الايمان في تحول المجتمع ليست شعارا يتلى ، وليس انفعال عاطفة ، ولا حماسة مؤقتة ، انما هي سلوك معين ، في ظل توجيه معين ، يختلف تماما عما كان للمجتمع من توجيه سابق . والايمان الحقيقي هنا يجب ان يقترن بالانفاق في سبيل الله ، فيكون الانفاق عنوانا له ، وليس التعبير بالقول وحده . وهذه الملاحظة تعطي : ان المجتمع في تحوله من مجتمع مشرك بالله وجاهلي مادي الى مجتمع يؤمن بالله وحده ، وانساني في علاقة افراده بعضهم ببعض .. يحتاج الى خطوات في حركة انتقاله .. ويحتاج الى مثابرة على تثبيته على الايمان ، وعلى دفعه من خطوة الى التي تليها ، حتى يكتمل تحوله) الحديد : ٧

ولا ينسى القران مرة بعد الاخرى ان يعيد تذكير المؤمنين بالمال : في ملكيته وفي تحديد مصرفه ، حتى لا يترك لهم فرصة للتراخي في التطبيق ، بعد ان امنوا ورغبوا في التحول عن مجتمعهم السابق ، فيقول الله تعالى في نفس السورة :

« وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ، ولله ميراث السماوات والارض (اي اي حاجز نفسي او مادي بقي لديكم الآن ، ويحول دون ان تنفقوا مما تضعون ايديكم عليه من اموال : في سبيل الله بعد ان علمتم ـ وبعد ان تعلموا ـ ان الله وحده هو الذي يرث السموات ، والارض وما عليها فهو المالك لكل ما فيها ، والمال الذي بايديكم هو ماله .. والامر بانفاقه في سبيل اللـــه هو امـــره) .

« ثلاث خطوات الان في منهج القران لتغيير موقف المؤمنين ـ أي الذين اعلنوا ايمانهم ـ من المحرومين والضعفاء في المجتمع :

طلب بانفاق العفو في سبيلهم : « قل : العفو »

وتبرير لما طلب : بملكية المال لله ، وباستخلاف المالكين عليه فحسب : «وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» .. «ومالكم الا تنفقوا في سبيل الله . ولله ميراث السموات والارض » .

وترغيب في العدول عن الشح الى الانفاق ، يجعل المنفق مقرضا لله ، بما ينفقه في سبيل هؤلاء المحرومين : « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ، فيضاعفه له ، وله اجر كريم »

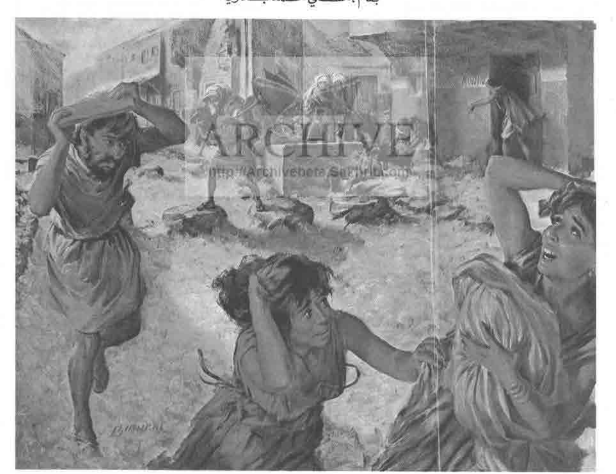
في حيـــاة العـــالم القــــديم مدينـــة تشـــبه "هـــيروشـــيما"

اللحظات الأخيرة

في حياة أهل مدينة "بومبى" الرومانية الضائعة

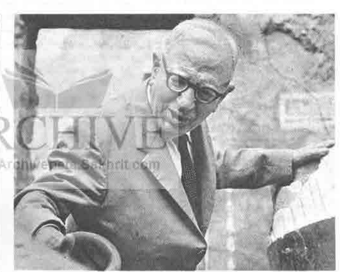
● فصـــول جديدة ترويها الاكتشافات الحديثـة في المدينـة الضائعـــة ●● بعـــد ١٩٠٠ ســنة تم العثـور على ثـلاث عائـلات هاربـة من الجحـيم! ●●● مازالـت أبخـرة الأحمـاض الكربونيـة تمنـع علمـاء الآثـار من الكشـف والتـنقيب بـدون أجهـزة تـنفس

بقلم: حسـني محمد بـدوي





اتضح للعلماء ان اجساد الضحايا حافظت على تفاصيل ملامحها بسبب قشرة من الرماد التصقت بها وحفظتها على مر الزمن



عالم الآثار « اميديو مايوري » الذي ظل يشرف على التنقيب لمدة ٣٧ سنة ، وهو هنا يروي التفاصيل الجديدة للماساة

عالم يسكب الجص في القالب بحيث يتخذ هيئة جسم الضحية ، وبعد ان يجف يقشر الرماد ويكشف عن القالب الجصي

كارثة تاريخية : كيف طمرت « بومبي » ؟ : في يوم قديم مشئوم ، يوم ٢٤ اغسطس عام ٧٩ (في القرن الأول الميلادي) ـ لاح لأهل مدينة « بومبي » بايطاليا ، ان بركان « فيزوف » سيقضي على العالم . انتابهم ذعر وهلع ، فالبركان كان يشرف على مدينتهم صباحا في هدوء وسلام ، ثم ما لبث في لمحة البصر أن صار له هزيم يدوي في عنان السماء وارتفعت من قمته سحابة كثيفة مخيفة حجبت الشمس ، ثم اعقب ذلك انفجار مروع وفغر الجبل فوهته وبدا وابل الموت ! انقضت قنابل من الاحجار البركانية ـ التي تشكلت في ذلك التنور ـ على المدينة المنكوبة فهدمت الجدران ونسفت الأسطح وغطت الشوارع وفر الاهالي صارخين في هذه الرمضاء يتشبثون ببلاط السقوف والأوسدة لتقيهم وابل الحصى البركاني . ورفض كثير من اهالي بومبي ـ لا سيما الموسرون منهم ـ ان يهجروا بيوتهم الانيقة وممتلكاتهم الثمينة . فاحتموا بها حتى تنجلي المحنة . وقد كلفهم ذلك القرار حياتهم ! إذ ظلت الصخور والرماد ، تتراكم وترتفع حتى بلغت أبواب البيوت ونوافذها ودفنت سكانها احياء وهم يتزاحمون في الدهاليز والاقبية . وتسربت الغازات البركانية السامة فاصابت من التجا منهم الى الطوابق العلوية . وما لبث بحر طام من الصخور والرماد ان اغار على افاريز الاسطح ثم تطاول الى ما هو اعلى من ذلك . وهكذا طمرت « بومبي » !

ولم يقنع بركان « فيزوف » باغتيال المدينة ، فاهال على قبرها اطنانا من الرماد وكانه يروم محو ذكرها . وخلال ثلاثة ايام ، تحولت المدينة من ميناء عامر الى « قرافة » ضخمة موحشة ، يعلوها عشرون قدما من الاحجار والرماد حيث دفن تحتها ١٦٫٠٠٠ نسمة من اهلها أي ٨٠٪ من سكانها .

وقصة فاجعة « بومبي » ليست جديدة .

اللحظات الأخيرة

في حياة أهل مدينة "بومبي" الرومانية الضائعة

وقد يتساءل الكثيرون : إذن ، لماذا نكرر سردها ؟ ! يقول لنا (امديو مايوري) - مدير الآثار بمنطقة « كامبانيا » بايطاليا : إن اجابتي على ذلك ان سبعة وثلاثين عاماً من اشتغالي مديراً لاعمال الحفريات والاطلال الاثرية قد علمتني ان القصة الكاملة بومبي لم ترو بعد ! وان فصولا جديدة لم تزل قيد التسجيل . وتفسير ذلك بسيط ، فاهالي بومبي - بخلاف كثيرين من ضحايا الانفجارات البركانية - لم يموتوا حرقاً ، لكنهم سقطوا اختناقا ! كانت الاحجار والرماد اشبه بتابوت احتوى المدينة فحفظها بدقة وامانة اكثر مما كان سيحافظ عليها مدير متحف ماهر ! وهذا هو السبب في اننا نزداد معرفة كل يوم بمدينة « بومبي » لاننا في الواقع لا ننقب عن اطلال ، بل ندرس متحفا جاهزا لم تمسسه يد .

ويستطرد عالم الآثار (اميديو) قائلا : مثال ذلك ،مما وجدناه : ١٣ شخصا ممن اكتشفناهم اخيرا مطمورين ، وما تنطوي عليه قصتهم المؤثرة من اهوال على الشدائد . وقد استنتجنا كما سترى ، انهم يمثلون ثلاث عائلات . وقد تكون عائلتان منها من اهل الزراعة اما العائلة الثالثة فكانت من ارباب التجارة . وكانوا جميعا يعيشون على الجانب الجنوبي من بومبي وهي ابعد الجهات عن البركان ، بالقرب من بوابة « نيوتشريان » . وكان يربطهم حسن الجوار ، شانهم في ذلك شان كل من يعيش بعيداً عن وسط المدينة ولا يستغني بعضهم عن بعض . ولعلهم - عندما ظهرت بوادر الخطر - تجمعواوتشاوروا في الامر سريعا وعقدوا عزمهم على الالتجاء الى اقوى الديار ، الىاكثر المساكن متانة في البنيان، ريثما يكف البركان عن قذف وابل احجاره . وتستطيع ان تتخيلهم وقد اقعوا يائسين وراء جدران البيت الذي كان لا شك يرتج بهم تحت ضربات الصخور وقذائف الاحجار ! ثم وقعت واقعة رهيبة ، فحين هدا تدفق المقذوفات . ظهر خطر افدح لا قبل لهم به ، في شكل سحابة سوداء كثيفة من الرماد مختلطة ببخار كثيف اقتحم العيون فاعماها وتسرب الى الرئات سريعا فتعلق بها وخنقها ! ولم يكن لهم خيار في ذلك ، فخرج هذا الرهط هاربا من ذلك البيت ، خرجوا متشابكي الايدي تربطهم روابط القربى والحنان والدفء العائلي . تلك الروابط الحميمة التي لم يستطع الخطر الداهم ان يفصم عراها .

خرج الهاربون يخبطون في الظلام خبط عشواء فوق الرمل والحصى الذي كان قد طمر الحدائق والدروب والمسالك ، بل وجدران البيوت ، واثناء هروبهم ، لابد انهم كانوا ينادون بعضهم البعض مشجعين ، يرومون الوصول الى بر الأمان . ولكن هيهات ! فلم يكن هناك امان . فقد غطتهم سحـــابة الرمـــاد الندي وخنقتهم خنقا وصرعتهم وخمدت انفاسهم وتحولت جثثهم الملقاة الى كثبان لا شكل لها ولا هيئة في مهاد الرماد ، حــيث انمحت معــالمهم وملامحهم . والرماد لا يزال يتساقط وسواهم بالارض ... » وهناك ، عثرنا عليهم بعد الف وتسعمائة سنة على مبعدة ٣٠ قدما من ملاذهم الاخير . ولكن الشيء الغريب حقا ، ان الهيئة التي اكتشفناهم عليها ، لم تكن مجرد رفات نخرة ولم تكن قطعا من قماش « شائطة » تخدع عالم الآثار وتطلق خياله للعنان - (ولهذا السبب اطلق على بومبي اسم « متحف ») - ، بل ما وجدناه هو جثثهم المتحجرة ، جيف الثلاثة عشر شخصا الذين ذكرناهم آنفا . تلك صورة امينة للضحايا .. وجدناهم بما كانوا عليه من تعبيرات وجوههم و « تسريحة » شعرهم ، لحظة الموت .. عثرنا عليهم بمعالمهم التفصيلية الدقيقة وبملابسهم وممتلكاتهم التي كانوا يحملونها ساعة الفرار . ذلك كله يساعدنا على التكهن - بكل دقة - ، بنوعية اعمالهم وحرفهم وباحوالهم الصحية في يوم الكارثة المشئوم .

ويضيف عالم الآثار (امديو مايوري) : ووجدت أن البقايا البشرية في بومبي تنقسم الى نموذجين كما توحي بذلك روايتي للفاجعة :

١ - النموذج الأول يمثل اغنياء بومبي الذين لاذوا ببيوتهم حتى اللحظة الاخيرة . وهم الذين عثرنا عليهم محبوسين وراء جدران بيوتهم وكانهم في سجن ، وقد اجتمعوا في الاركان او عند الابواب في محاولة عقيمة اخيرة للفرار . وجدنا هؤلاء الضحايا ، هياكل عظمية لأن الذي قتلهم



عائلة مكونة من ١٣ فردا ، سقطوا اثناء هروبهم بسبب الابخرة الفتاكة والدخان الكاتم للانفس - وايضا - بسبب .. وابل الاحجار !

هو الحصى البركاني الجاف . وقد عثرنا على ممتلكاتهم ، على حالها ، مثل : الأساور والاقراط الذهبية والأثاث المعدني والصور الحائطية والتماثيل الخ .. ، ثم تسرب الماء والهواء بمضي الوقت فاتلف المواد الهشة كالاقمشة والخشب والانسجة البشرية .

٢ ـ النموذج الثاني : اما الذين دفنوا في الطبقة العليا من الرماد وهم يحاولون الفرار من المدينة ، فامرهم مختلف ـ إذ اكتنفهم الرماد الندي والتصق بجثثهم كقالب الجص ، فحافظ على تفاصيل ملامحهم وعضلات اجسامهم ، بل وعلى طيات ملابسهم . وكانما شاءت الطبيعة ان تكافئهم على ما بذلوه من جهود مضنية بتخليد اجسامهم على هذا النحو كالتماثيل نعم ، إن جثث هؤلاء الضحايا قد تحللت بمضي الزمن ، ولكن بعد ان تصلبت هذه القشرة أو هذا القالب من الرماد ، فحفظت معالمهم على مر الزمان ، منذ سنة ٧٩ ميلادية .

ويرجع فضل اكتشاف هذه القوالب عام ١٨٦٠ م ، الى احد علماء الآثار في بومبي هو « جوسبي فيوريللي » .. ونحن ندين له بتطوير العملية التي نحول بها هذه القوالب ـ ويمكن أن نسميها « صورا طينيـــة » سلبيـــة ـ إلى تمـاثيل من الجص . وبطريقة بسيطة ، فنحن كنا ننقب بحرص ،نبحث في الطبقات العليا . وعندما نعثر على الكثبان او القوالب المطمورة ، نقوم بفصلها عن المهاد اللاصقة بها ثم نعمد الى ثقبها باداة طويلة تشبه الملعقة ثم نسكب في الثقوب سائل الجص الذي يجف بعد ثلاثة ايام فنقوم بكسر قشرة الرماد المتصلبة . وكانت النتائج باهرة إذ اننا واجهنا فجاة مخلوقات بشرية من الماضي البعيد في لحظة غمار الاحتضار !وجدنا بعضهم يتخذ هيئة المواجهة العنيفة لمصيره ، وبعضهم يتساند في سكون وكانه في سبات عميق .

ورغم ان هذه القوالب معروفة منذ زمن بعيد فاننا لم نعثر ـ والحديث هنا لعالم الآثار « اميدو » ـ على اعداد كبيرة منها في مثل هذه الحالة الجيدة (كما حدث عند عثورنا على الثلاثة عشر شخصا) ، وهذا هو الأمر المثير حقا ، بل كان ذلك سبب اهتمامنا بدراستها ، إذ اننا بعد ان خلعنا عن الجثث قوالبها ، استطعنا ان نستعيد اللحظات الاخيرة في حياة الضحايا بادق تفصيلاتها !



تاجر هارب ، لقى حتفه وهو يحاول النهوض دون جدوى ، وقد حافظ الجص على هيئته التي صبها الطين البركاني قبل ١٩٠٠ سنة

مشاهد من الفاجعة

عندما قرر ذلك الرهط الفرار من الوابل البركاني ، تولى قيادتهم احد المزارعين ، وتقدمهم خادم يحمل على كاهله كيسا ممتلئا بالزاد . وقد عثرنا عليه حيث سقط بالقرب من احد حقول « الكرنب » ، وهو من الخضر التي تشتهر بزراعتها بومباى . وكان الرجل ـ الخادم منحنيا مقرفصا ، ليس مما ينوء به من حمل ولكن لما يواجهه من الظلام الحالك الكثيف ولما يقاومه من الريح البركانية العاصفة . وتلاه ولدا المزارع وهما في سن تتراوح بين الرابعة والخامسة . ولعلهما قبل ساعات قليلة ، يلهوان في الحقل الاخضر تحت الشمس !. اما « الآن » وفي هذا الجحيم والظلام ، لعلهما يستجيران حتى لا يتركا وحدهما . ولم نعثر في عنق احد هذين الطفلين على التميمة التي جرت العادة في بومباى على تعليقها حول العنق دفعا للشر ! ووجدنا على مقربة منهما قطعة من البلاط وانية فجة الصنع . لا شك أن الطفلين قد اتخذا من هذه الآنية وقتذاك ، دريئة لحماية راسيهما .

واخيرا ، كان والد الطفلين . فالاب المزارع كان يساند زوجته المرتعدة وقد انكبا على الأرض وكانهما يخفيان سكرات الموت . اما الطفلان فقد لقيا حتفهما وكان وجهاهما الى السماء ، وقد سكنت اساريرهما كانهما بعد أن ذرفا الدموع قد استسلما للموت !

وفي اعقاب اسرة المزارع ، جاء زوجان شابان وابنتهما : الزوج متشبث بوسادة وكان يحمي بها راسه (كما يستنتج ذلك من بصمته على معطف حريري) ـ وقد لقيت زوجته حتفها بالقرب منه فخرت جاثية على ركبتيها وقد امسكت بجلبابها على فمها في محاولة يائسة ، لعل ذلك ينقي الرماد ويقيها من شره . اما حالة الابنة فقد خذلنا السائل الجصي ، فلم نعرف عن حالتها لحظة الموت شيئا يذكر سوى انها كانت صبية نحيلة مهزولة .

وعثرنا ـ كما يروى (اميدو) ـ على اسرة « التاجر » ، وهي مكونة من غلامين ، تتبعهما امهما وشقيقتهما الصغرى وقد تشابكت اطراف الغلامين مما يقطع بانهما كانا يسيران متماسكي الايدي وانهما سقطا معا .. اما الام التي اوهنها وضعها ، فجاءت بعدهما حاملة وليدتها ـ ولعلها كانت تحاول أن تخفف من الامها في لحظتها الاخيرة . وجاء الاب في ذيل موكب الموت هذا .. ! وكان مشهد ذلك الاب اكثر حزنا وترويعا من بقية شخصيات هذا الرهط الصريع ! فلم يكن مطروحا على الأرض بل كان جالسا على كثيب من التراب ، وقد انحنى ظهره وهو يهم بالنهوض ليدفع عن نفسه هذا الشيطان الاسود : رماد الموت الكثيف ! وقد بدا الاب وهو يمسك بتلابيبه بغية ان يساعد افراد اسرته . وكان في



بومبي المدمرة: نافذة تطل منها اليوم على الماضي البعيد

اللحظات الأخيرة

في حياة أهل مدينة "بومبى" الرومانية الضائعة

ام وابنتها من ضحايا البركان .. ويرى الفنان الايطالي الشهير « فيتوريو أكورنيرو» وهو يرسم المشهد

وضعه هذا لا يشبه القوالب المتجمدة المتجردة ، بل كان في هيئة إنسان حي من لحم ودم .

هؤلاء ، إذن ، هم الشهود العيان على الكارثة .. الفاجعة التي حلت ببومبي ، ولكنهم لم يكونوا وحدهم في ذلك ، فقبل سنوات خلت ، كشف النقاب عن عدد اخر من الضحايا الهاربين في النصف الجذوبي من المدينة . فقد كان الجانب الاقرب الى البحر ، السبيل الرئيسي للهروب .. » وهناك عثرنا على أربعة قوالب لأولئك الضحايا الذين نجوا من الجدران المتصدعة والسقوف المنهارة والبلاط المتطاير كالمقذوفات بفعل الريح البركاني . ولكنهم لقوا حتفهم اخيرا بالقرب من المرفا ! كان أول الضحايا رجلا متين الجسم ، مفتول العضلات ، يبدو انه ناضل الموت بشجاعة حتى النهاية . وجدناه منكبا على وجهه ، منفرج الساقين فذكرنا ببطل هزمه خصم عنيد . وعثرنا على شخصين اخرين كانا ابدع من التماثيل ، ثبت لنا انهما : شاب وحسناء ، هربا معا وظلا متشابكي الايدي حتى اللحظة الاخيرة ، حتى فرقتهما دوامة أو مقذوف طائر من البلاط فخرا على وجهيهما وهما يحاولان أن يتلامسا ! اما اخر أولئك الاربعة ، فهو رجل مسن ، شحاذ - كما نستدل على ذلك من لباسه . ولعله كان يولي الادبار وقد تشبث بما انعم به عليه من لحم وخبز . وكان هذا الشحاذ - عابر السبيل - ، ينتعل « صندلا » يحسده عليه اكثر سكان المدينة اناقة !

إن هذه الجثث .. هذه « التماثيل البشرية » تفصح عن تعبير قوي ، عن الحياة والموت في بومبي .والبقايا المتناثرة هناك ، تنطوي بدورها على « دراما » مفجعة .

ويذكر « أمديو مايوري » الذي يروي لنا هذه الماساة ، اكتشافا تم سنة ١٩٣٦ ، في البيت المعروف بـ « فيلا الاسرار » التي تعلق على جدرانها صور رائعة تمثل « طقوس ديونيزوس » الممنوعة . فقد عثر فيها بجناح الخدم ، على عظام احد العاملين في تلك الدار ، ولعله الخفير ، وقد انكب على وجهه حريصا على اداء واجبات وظيفته حتى اللحظه الاخيرة بالرغم من غياب صاحب البيت ! كما عثر تحت مدخل ذلك البيت المسقوف على هياكل عمال كانوا يقومون باصلاح خزانات المياه لحظة



ممر في مدينة بومبي ، ويرى في الصورة قوس «كاليجولا»



خوذة الرية ، عثر عليها ضمن ممتلكات اهالي بومبي (المتحف الاهلي ـ نابولي)



« البولدوزر » يكشط الارض ، استطاع العلماء ان يعثروا على القوالب الطينية التي جفت فوق اجساد الضحايا

انفجار البركان وقد حبسوا في القبو ، ثم ماتوا بتاثير ابخرة الاحماض الكربونية التي منعت علماء الآثار ـ بالرغم من مضي تسعة عشر قرنا على وقوع الكارثة ـ ، منعتهم من اعمال الكشف والتنقيب بدون اجهزة للتنفس ! وقد لاذ كثير من اهالي بومبي انذاك ، بملعب المدينة «الباليسترا» .

ومن بين مكتشفات علماء الآثار في ذلك الملعب ـ من سنة ١٩٣٢ الى ١٩٣٥ م ـ بقايا عمال كانوا يقومون باصلاح الاتلاف التي سببها زلزال وقع قبل سبع عشرة سنة من نكبة بومبي ! وعندما ثار بركان «فيزوف» ، هربت جموع اولئك العمال الى مرحاض واحكموا إغلاقه عليهم ، مرتقبين زوال الخطر ، وقد تركوا « المكاري » المسكين وحده مع حماره . فلما وجد نفسه في الخلاء ، راح يدق على الابواب . ولما لم يجد مغيثا استسلم للموت بعد ان لف جسمه بعطاف ، كما تلتف الدودة في الشرنقة ، واتكا على حائط بناية ومات مختنقا بالدوامة النارية . وعثر علماء الآثار بالقرب منه على رمة حماره الذي كان لا يزال عنقه مطوقا بطوق من الزجاج الملون ، ما يزال يستعمله حوذية مدينة « نابولي » في تزيين دوابهم الى ايامنا هذه . وعاش رفاق ذلك المكان مدة اطول قليلا من المكاري وقد انقذهم محبسهم من وابل الأحجار ، ولكن سحابة الرماد التي اعقبته تسربت من النوافذ فخنقتهم !

وبالرغم من كل قرائن الموت هذه ، إلا ان بومبي تبدو احيانا مدينة حية . فانت إذا سرت في شوارعها امام الحوانيت والبيوت التي كشف عنها النقاب ، والتي تتالق جدرانها باوجه الحياة ، فانك تكاد تسمع هدير الجمهور يتناهى من ساحة الملعب البعيد او ربما تسمع عجيج او قضقضة عجلات العربات يتردد صداها في احد الشوارع الجانبية . ولكن الهدير لا ياتيك ولا العجيج يوافيك ! لم يبق في بومبي إلا الجمال والسماء الصحو الصافية ، وها هو بركان « فيزوف » قائم في هدوء وسلام ، يشرف على المدينة تماما كما كان يشرف عليها بنفس الهدوء والسلام في باكورة صباح ذلك اليوم المشئوم منذ الف وتسعمائة عام مضت !!

حسني محمد بدوي

● مازالت القرون السبعة الأخيرة التي شهدت تفكك العالم الإسلامي وتراجعه في حاجة لإعادة الكتابة!

الشعوب وتدوين التاريخ

بقلم: أحمد العناني

تمهيد :

بعد ان عرضت في مقال سابق في الدوحة ، كيف تراوح موقف الناس من التاريخ بين اعتباره احيانا علما تنطبق عليه شروط البحث العلمي المنهجي الدقيق ، او ادبا قصصيا ممتعا يعيد صورا من قطاعات من حياة شخص هام أو عصر محدد ، بينت ان الأهداف الموجهة لعمليات التدوين والرواية ونوع الاستخدام هي التي تقرر نوعية الاسلوب المطبق في التاريخ .

وفيما رفضت المدرسة الاغريقية القديمة في تدوين التاريخ اعتبار التراجم والسير جميعا تاريخا باي معنى ، فان المسلمين في تدوين سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم جعلوا من ترجمة الحياة عملية علمية لا غبار عليها .

وعلينا ان نبين من البداية ان هناك فرقا اساسيا بين موقف الحضارات الوثنية ، وموقف الحضارتين الاسلامية والمسيحية من التاريخ ... الا وهو اهتمام الحضارات ذوات الكتب السماوية باسترجاع الماضي ، فيما كان المؤرخون الوثنيون يفهمون التاريخ على انه تسجيل الأحداث التي يعاصرونها او هي قريبة من الحاضر قربا يجعلها ماثلة مثولا واضحا في ذاكرات الناس ، اما عملية البحث عن اصل الخليقة وتطور فروع نوح عليه السلام من ساميين وأريين وحاميين ، وانتشارهم في الارض فذلك ما لم يخطر للمؤرخين الوثنيين ببال . لقد تراكم التاريخ المصري الفرعوني نتيجة عناية ملوك الأسر المصرية المتعاقبة على تسجيل مدوناتهم وتركها لمن يخلفهم ثم يزيد عليها تابعوهم .. وفي هذا المجال كان جهد الرومان والاغريق لا يحسب شيئا إذا ما قيس بعمل الفراعنة ...

تاريخ التاريخ

سنجد انفسنا بحكم الضرورة مضطرين إلى توفير خلاصة عن تاريخ علم التاريخ إذا وجب تسمية التاريخ علما او تاريخ الادب التاريخي إذا اعتبر التاريخ ادبا ، ولما كان التسلسل التاريخي يقتضينا ان نبتدىء بعلم التاريخ عند الشعوب الوثنية التي سبقتنا على مسرح الحضارة العالمية فاننا سنحاول ان نجعل استعراضنا للانشطة التاريخية عند الشعوب بافضل إيجاز ممكن ، ولن نجانب هذا الايجاز إلا حيث تكون هناك نقطة تنطوي على مبدأ له وجوده في الهيكل النهائي لفهمنا التاريخ ورسالته ، وكيف يمكن ان يكون دوره في مرحلتنا الحضارية الراهنة ، واهم من ذلك كله النقاط التي يجب اعتبارها لاعادة كتابة تاريخنا ولاسيما ما يختص بفترة القرون السبعة الاخيرة التي شهدت تفكك العالم الاسلامي وتراجعه وخسران مراكزه التجارية واخيرا استقلاله السياسي ..

المولد الأرستقراطي للتاريخ

ولد التاريخ ارستقراطيا حيثما وجد في العالم القديم ، فالمدونات المصرية القديمة هي سجلات حوليات ملكية ، فهي تاريخ اسر حاكمة متسلسلة مدون على ورق البردى وعلى الاحجار والهياكل والمسلات ، وهو إذا خرج عن الموضوع المباشر لانتصارات واخبار الملوك فربما يتعرض لمجموعة معتقدات معظمها وثني اسطوري محض ، وبعضها الآخر ربما كان متاثرا بالدعوات الدينية السماوية بمنطقة الشرق الادنى ، والواقع إن ما يدعيه بعض المؤرخين المصريين المحدثين عن السبق المطلق لمصر على سائر الدنيا في موضوع التوحيد منذ خمسة الاف سنة هو إدعاء لا يدخل في حسابه ابدا سلسلة الانبياء الذين سبقوا موسى عليه السلام . إن سيدنا ابراهيم عليه السلام سابق لموسى والتوراة بفترة طويلة وليس بدعا ان تنتقل عقيدة التوحيد في عصر إبراهيم وابنائه بعد ان شادوا لها بيتا في مكة ، فضلا عما بشروا به حيثما اتجه بهم السير ، وكذلك شان سائر احواض الانهار التي ظهرت فيها الكتابة كحوض النهرين في العراق على مستوى ارستقراطي ، وكذلك احواض الانهار الصينية . وحسبك ان تعرف ان الغازي الآشوري اشور بنيبعل من القرن السابع قبل الميلاد ترك وراءه حوالي عشرين الف طوبة تحمل الكتابات التي تتحدث عن مجده وانتصاراته ، وهذا العدد هو الجزء الذي استطاع البقاء من عدة مجموعات من نفس النوع .

ولولا ان بعض الاباطرة والملوك كانوا يخضعون لمشاعر بدائية مفهومة من الحسد والغيرة فيدمرون ما خلف اسلافهم لابراز دورهم هم كما فعل بعض ملوك البابليين . ويؤكد المختصون في هذه الدراسات القديمة ، وجود تشابه غريب على مدى الف سنة بين مضامين تلك السجلات البدائية التي كانت تمجد الملوك في ظل إشادتها بالهة بلاده ، وكيف كان التوافق قائما بين الملك المنتصر وبين تلك الآلهة التي تعطى وضعا غير بعيد عن وضع البشر ولكن دون حديث عن صراع بينها وبين ملوك بلادها على غرار ما خالف به الاغريق الذين كان الصراع الطابع المميز لعلاقات شخصياتهم البشرية مع الهة جبل اوليمبوس .

وفي الصين ايضا نجد ولادة ارستقراطية للتاريخ الذي تعود اقدم نقوشه الباقية إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، حيث تقول الرواية التقليدية إن كونفوشيوس المتوفي عام ٤٧٩ قبل الميلاد كان اول من دون حوليات تصف احداث منطقة «لو» التي عاش بها ، لكن كل النقوش السابقة لاول توحيد لمناطق الصين في القرن الثالث قبل الميلاد ليس لها اهمية

تذكر في مجال النقد التاريخي . إن اول الآثار القيمة الباقية المسماة بالشيه تشي (الحوليات التاريخية) تبتدىء باحداث عام خمسة وثمانين قبل الميلاد ويعتبر كاتب تلك الحوليات وهو سواما تشيين اب التاريخ الصيني ، وقد واصل الصينيون كتابة الحوليات طالما ظل النظام الامبراطوري قائما عندهم إلى عام الف وتسعمئة واحد عشر للميلاد . وفي هذا المجال يعتبر إنجاز الصين أعظم إنجاز متواصل في التاريخ من ناحية الاستمرارية وغزارة المعلومات الداخلة في الحوليات . وبطبيعة الحال فان تواريخ وحوليات الأسر الفرعونية المصرية قد تكون اطول في مجملها الزمني واقدم من كل ما عداها بكل تاكيد .. لكن صفة الحداثة والاستمرار وتنويع المادة المدونة يجعل من الانجاز الصيني شيئاً متفرداً من وجهة نظر المؤرخ .. اما المدونات اليابانية فهي فرع من مدونات الصين .

مزايا الانجازات التاريخية القديمة

ولما كان اخر حديثنا عن الصين فيذبغي ان نقرر بالنسبة لمدوني التاريخ الصينيين ميزة كبيرة وهي اعتقادهم بان التاريخ إنما ينطوي على رسالة ذات فحوى وموضوع حين يستطيع ان يزودنا للحاضر بمجموعة ارشادات تعين في توجيه سلوكنا على صعيد الواقع الحي ، ومن هنا تجيء اهمية الصدق في المعلومات التاريخية حيث ان التزوير في الماضي هو اب الخطل في الحاضر . والواقع إن هذه الفكرة الاصيلة ، إنما يعود الفضل فيها لكونفوشيوس نفسه : فقد كان يشدد في التوصية على تحري الحقيقة في تدوين الاحداث . وقد تاصل هذا التقليد بحيث ان توحيد الصين في حكم امبراطوري لم يمكن للتوجهات الارستقراطية ان تطمس مفاهيم باقي الناس جميعا يستمسكون بها إلى حد التقديس ، ومايزال لدى الصينيين سجلات ضخمة منذ عهد اسرة تانج التي حكمت من بداية القرن السابع الميلادي إلى بداية القرن العاشر .

والواقع ان الامور خلال وبعد القرن العاشر الميلادي لم تشر على الكيفية التي جرت بها قبل ذلك القرن حيث تدخلت البيروقراطية لاحداث تغيير في التوجه التاريخي في التدوين ، وحادت به عن سبيل الموضوعية ، بحيث تتكرر موضوعات شخصية بليدة عن مولد ووفاة اعلام الحكم والقوة المادية وتتدنى بالتالي اهمية السجلات كلها .

ابن خلدون الصين

والحقيقة إن الصينيين على حق إذا هم فاخروا ببعض شخصيات مؤرخيهم في العصر الذهبي للتدوين السابق للقرن العاشر للميلاد كما ذكرنا انفا ، ولاسيما بالرجل الذي تبدو اهميته في تاريخهم مناظرة لاهمية ابن خلدون في التاريخ العربي الاسلامي ، وإن كان المفكر العربي لأسباب محقة اكتسب شخصية إنسانية عالمية لاسيما كمؤسس لعلم الاجتماع لم يحصل عليها لن تشيه ـ تشي (٦٦١ ـ ٧٢١ م) مؤلف ما يسمى (التشيه تونج) وهي اول مقالة عرف انها تعالج تاريخ علم التاريخ وتضع ملاحظات جوهرية حول النقد التاريخي .

والحقيقة إن امتياز الصين في مجال تدوين التاريخ وعلمه إنما يعود لامرين : اولهما التنوع النسبي للموضوعات المشمولة بمدوناتهم ومستواها المرتقي من الصحة ومطابقة الواقع ، وثانيهما تكرر ظهور المتفقين على موضوع التاريخ واساليب تدوينه .

ولست أريد من القارىء أن يتعجل اية مقارنة بين تاريخ علم التاريخ العربي الاسلامي وبين نظائره في الحضارات الأخرى قبل أن نعطي فكرة سريعة عن منجزات الآخرين الذين سبقونا في التسلسل التاريخي .



المؤرخون الاغريق والرومان

يعتبر الغربيون هيرودتس اب التاريخ الاغريقي قفزة نوعية في فهم التاريخ قياسا على مجمل الاراء التاريخية للسجلات الارستقراطية المتخشبة في الهياكل ومدافن الاباطرة والملوك ، وليس هيرودتس في الواقع قفزة من فراغ ولكنه ظهر قبيله وفي خلال حياته مدرسة من المؤرخين في غرب اسيا كانت لها جدة واضحة ، وتساؤلات مثيرة ، نزعة إلى نقد الروايات التاريخية ومناقشة اساليبها واهدافها . ولم يكن هؤلاء يقبلون المدونات الكلاسيكية على علاتها ، ولا كانوا يرتضون لانفسهم الوقوف عند حدودها الجامدة .. فنحن حين ندرس هيرودتس نرى رجلا فيه روح متلهفة إلى معرفة كل شيء عن عادات الشعوب الاخرى ونظمها بل وحتى ادواتها وملابسها . ولا شك في ان احتكاك الامبراطورية الفارسية باغريق اسيا الصغرى الغربية على ساحل بحر إيجه له الفضل الاساسي في تحريك خيال اولئك اليونانيين الذين كان موقعهم الطبيعي يعطيهم في مجال التخيل وحب الاستطلاع ابعادا كبيرة . ولما كان صدام المتناقضات على الصعيد الواحد يؤجج حركة الفكر والخيال ، فان الفروق الكبيرة بين عادات الفرس الذين حكموا تلك المنطقة وعادات اليونانيين وعقلية الفرس وعقليتهم قد غذى التوجه إلى الروح الانتقادية والباحثة في تلك المنطقة .

كذلك فانه توجد ادلة على الأثر المصري في عقلية تلك الفئة الممتازة من اليونانيين ما بين القرن السابع إلى القرن الرابع قبل الميلاد . وعلى سبيل المثال فان هيرودتس في تاريخه يقول إن هيكتايوس الاغريقي اراد ان يفاخر بعض المصريين بانه يعرف اسماء اجداده إلى الجد السادس عشر وهو يعتقد ان ذلك اقصى غايات القدرة العارفة فاذا هو يفاجا بان لدى المصري سجلا يدون تاريخ ثلاثمئة وستة واربعين جداً من اجداده ... عند ذلك اسقط في يد هيكتايوس وادرك ان للمعرفة ابعاداً اكبر مما يتصور وان للدخول في حياة الشعوب ، والسفر عبر العقول المختلفة مزايا في تحريك الذهن البشري لا تقدر بثمن ..

ولنا للموضوع مواصلة في الاعداد القادمة إن شاء الله تعالى .

محمد سالم الوضاحي:



لقطة للفنان نفسه

مصور البيئة العمانية

بقلم: يوسف الشاروني

شباب القرية مع تراثهم .. القلعة من خلال باب قديم

من قلب عمان ، ومن اعماق تربتها خرج مصورنا الشاب . فقد ولد عام ١٩٥٩ فى بلدة سمد الشان ، تلك المدينة العمانية التى كثيراً ما يذكرها المؤرخون العمانيون حيث شهدت كثيراً من معارك القبائل والغزوات الخارجية على مدى التاريخ العمانى الطويل ، فهى تقع بالداخل فى المنطقة الوسطى (الشرقية سابقاً) وتبعد عن مسقط بحوالى ١٥٠ كم .

وقد تردد الطفل محمد على الكتاب حيث تعلم القرآن وحفظه . وعندما يروى مشوار حياته فانه يقول :

.. وبعد ذلك انتقلت الى مدرسة اخرى تعلمت بها مبادىء الحساب واللغة العربية والشئون الدينية كالصلاة والزكاة وغيرهما كنا نحفظها حفظا وذلك لمدة اربع سنوات وكانت تلك المدرسة قد اقيمت باموال اهل البلد اى مدرسة غير حكومية بها حوالى سبعين طالباً . واذكر أن كل الكتب الدراسية وقتها كانت باقلام عمانية لكنها مطبوعة فى القاهرة . ومن بين هذه الكتب كتاب « الملحة » (بضم الميم وكسر اللام وفتح الحاء) وهو كتاب لغوى ، ثم « الفية ابن مالك » لحفظ قواعد اللغة شعراً ، وجوهر النظام وبه الاف الأبيات من الشعر فى جميع مسائل الفقه .

ولم اكن اخرج من قريتى الا مرة واحدة الى العاصمة وذلك لصحبة والدى ليبيع التمر والليمون ثم يعود بالارز والبن للتجارة فيهما وبتموين البيت .. وقد اكسبتنى رحلات الوالد خبرة . وكانت قد سبقت له التجارة مع ساحل افريقيا والهند وباكستان لمدة ٣٧ سنة . وكانت وقتها الطرق غير امنة ، ولهذا علمونا كيف نحمل السلاح ونستعمله ، وهو خنجر وعصا داخل البلدة وبندقية ورصاص احتياطى خارجها . والآن نحمل السلاح كزينة فى العرس والاعياد ، ولاصابة الاهـــداف كهواية .

شاطىء بالبحرين وقت الغروب .. عبرت اللقطة عن اعجابه بجمال موقع هذا البلد الخليجي الشقيق



قارع الطبول

الزهور في شتاء عمان

وفى احدى هذه الرحلات إلى العاصمة قرر والدى ادخالى المدرسة الابتدائية بها ،

وذلك عندما رايت بعض الصغار فى زيهم المدرسي يحملون كتبهم فاحببت ان اكون مثلهم . وكانت عندى رغبة فى الدراسة . وقام الوالد بالتغلب على الصعوبات حتى نجح فى ادخالى المدرسة الابتدائية فى اواخر الستينات والى عام ١٩٧٤ حين حصلت على الشهادة الابتدائية . وكنا ندرس اللغة الانجليزية من السنة الأولى الابتدائية مما جعلنا نجيد هذه اللغة .

وبعد ذلك التحقت بشركة تنمية نفط عمان كموظف ادارى فى فهود لمدة خمس سنوات ، وكان عمرى وقتها ١٥ سنة . ثم قررت تكملة الدراسة مسائيا فانتسبت الى مدرسة روى الاعدادية . كما انتسبت الى المعهد الثقافى البريطانى بمطرح حيث درست لمدة عامين اللغة الانجليزية وحصلت على شهادة الدراسة المتوسطة والشهادة الاولى فى اللغة الانجليزية .

وبعد انتقالى من فهود الى مسقط اشتغلت بوظيفة مصور . وفى هذه الاثناء حضرت دورة قصيرة فى لندن للاطلاع على كل ما هو جد يد فى التصوير ، والتفاعل مع بعض الأفكار الجديدة ، حيث ان التصوير مجال مفتوح يتغير وينمو باستمرار بل يتطور يوميا .

واثناء دراستى بالعاصمة بدات اقرا الصحف وارى ما بها من صور . واكتشفت ان الصور تشدنى اكثر من المقالات ، فاخذت اهتم بكيفية تصوير الناس وكيفية تحميض الصور ثم طبعها على الورق .

وشيئا فشيئا وجدتنى مشدودا لتصوير الاهل والاصدقاء والمعالم التاريخية بعد ان اشتريت الة تصوير بسيطة بما ادخرته من مصروفى خصيصا لذلك . فسلطنة عمان لها تراث عميق وعادات وتقاليد تشهد بذلك القلاع والحصون التى تملت ببطولات



طبيعة عمان : ماء .. شجر .. احجار

العمانيين وارتوت بدمائهم وهم يحررون البلاد من كل من حاول ان يحتلها . كل هذه المعالم شدتني وجعلتني احلم بنقلها وحفظها في صور معبرة . كذلك العادات العمانية في الاعياد والمناسبات كالاعراس والختان والحج تجذب من له هواية التصوير لانه يحب ان يسجل كل ذلك لاسيما وان هذه العادات بدات تختفي بسبب المد الحضاري الحديث . كما بدات بعض القلاع تنهار وان كانت وزارة الثقافة والتراث القومي تحاول جهدها الابقاء عليها ولكن يبقى هناك الكثير مما يحتاج إلى إنقاذ سريع . كل هذه الأشياء اردت روايتها بالعدسة للأجيال القادمة ، لأن العدسة قد تحفظ للتاريخ مالا تستطيعه الوسائل الاخرى .

وحول اسئلتي المتعددة كانت تلك اجاباته :

- اصور في الشهر حوالي مائة صورة خاصة كهواية تكلفني الكثير ، وحوالي الف صورة لجريدة الشركة التي تصدر مرة كل اسبوعين ومجلة اخبار شركتنا التي تصدر مرة كل ثلاثة شهور وبعض النشرات الاخرى ، وكذلك تزويد الجرائد المحلية لتغطية بعض الأحداث الصحفية الخاصة بوزارة النفط والمعادن وبشركة تنمية نفط عمان .

- فلسفتي من التصوير بكل بساطة هي الامتاع الفني ، وتصوير البيئة العمانية وتسجيلها كتراث خوفاً عليها من الضياع او التغيير او الانقراض .

- افضل تصوير جلالة السلطان ساعة وقوف الكل عند السلام السلطاني .

- افضل ان اصور القلاع من خلال نوافذ قديمة او مداخل رئيسية حتى تكتمل الصورة التراثية من ناحية وحتى تظهر القلعة وكانها من خلال إطار من ناحية اخرى كما احب ان اصور الناس وهم على طبيعتهم وليس بعد ان يتهيئوا تهيئا مصطنعا ، لانني بذلك اصورهم وهم يعبرون عن انفسهم تعبيراً صادقاً طبيعيا .

- تقول متى استخدم اللقطات القريبة ، طبعاً استخدمها للوجوه المعبرة ولكن من بعيد باستخدام عدسات مقربة حتى لا يشعر الشخص انى اقوم بتصويره ، واستخدم اللقطات الأبعد للمجموعات كما في احتفالات الاعياد والاعراس والتقاط مجموعات الأطفال والحيوان ..

وتختلف زاوية اللقطة باختلاف موضوع الصورة والمعنى الذى اريد ان اضيفه عليها فمثلا صور الشباب الذين يتناولون اكلة العيد اردت ان اقدم فيها للمشاهد صورة شاملة لهذه الأكلة العمانية او الخليجية الشعبية التي تؤكل قبل صلاة العيد ، فجعلت الكاميرا تشرف عليهم من مكان اعلى مما اتاح للمشاهد رؤية حركة تناول الطعام من جميع جوانب الصورة وفكرة التناول الجماعي لتلك الأكلة الشعبية المسماة « العرسية » دون تصوير وجوه اشخاص بعينهم .

اما اللقطة من اسفل فحين اريد ان اصور القلاع او النخيل للتعبير عن مدى عظمتها وجلالها وقيمتها ، فالقلعة كانت تحمي امن القرية ، والنخلة كانت المصدر الغذائي الاساسي والتجاري في عمان قبل ظهور النفط ، وكثيرا ما وقفت بجانب العماني وقت الشدة ، كما ان لها احترامها الديني إذ وردت في القران الكريم .

- تقول ولماذا لا اصور ابار النفط وحفاراته ولحظة تدفقه من البئر وقد اصبح اليوم الاساس التجاري للبلاد ، واقول لك انني اريد ان اصور اولا ما هو في طريقه الى الزوال ثم ما تتفرد به عمان ويقدم شخصيتها ، فالنفط مشترك بين دول كثيرة عربية وغير عربية ، ومع ذلك فان لي لقطات لاجهزة الحفر لها خلفيتها الجمالية التي احرص على ان ابرزها من خلالها ، وتعتبر هذه اللقطات ملكا للشركة التي اعمل بها وقد سبق ان نشرت في صحافتها . كما ان لدى مجموعة كبيرة من هذه اللقطات - ابيض واسود - سبق نشرها في جريدة « تايمز اف عمان » . ولكن هوايتي الحقيقية هي تصوير ما قبل النفط .

- اثناء الدورة التدريبية التي حضرتها في لندن تعرفت على مصورين بريطانيين محترفين لديهم شركات عالمية للتصوير مثل جون لورنس وجون ريثبون وبوب الكوك ، وقد عايشتهم فترة لاكتساب مهارات فن التصوير وان كنت اعتقد ان لي اسلوبي الخاص بي وانني لا اتبع منهجهم في التصوير . كما انى اشاهد معارض الصور كلما اتيح لى ذلك ومن بينها تلك المعارض

الخنجر : مفخرة العماني وجزء من شخصيته وزيه الرسمي

التى يقيمها جيم برلنسون وهو مصور هاو بشركة تنمية نفط عمان منذ الستينات ، ويعجبنى اختياره الجيد للقطاته وميله لتصوير التراث العمانى والبيئة العمانية .

ـ اول دولة عربية زرتها كانت مصر عام ١٩٧٦ حيث قمت بتصوير الاهرام و« ابو الهول » ، واعجبني ان خلفيتـــه كـانت الاهرام مما اضفى عليه العظمة ، واعتقد انه لو كان ابو الهول وحده بدون الاهرامات لاضعف ذلك من اهميته ، وهنا دور الفنان ان يحرص على هذا الترابط بين الاهرام و« ابو الهول » ويبرزه في لقطته مما يضيف رؤية جديدة ل « ابو الهول » لا يمكن الحصول عليها اذا صورته منفرداً . واعجبنى فى مصر طيبة شعبها وبساطتهم ومثابرتهم . كما قمت بزيارة بعض دول الخليج مثل دولة الامارات وقطر والبحرين ، ولم الاحظ اى فرق عن عمان فى هذه البلاد لتقارب عادات السكان الذين هم فى الواقع شعب واحد . وبعد ذلك سافرت الى بريطانيا لحضور دورة فى التصوير وكان ذلك فى بداية الشتاء ، وقمت فيها برحلات داخلية . كما زرت الشرق الاقصى : الهند وتايلاند والفليبين وهونج كونج وسنغافورة . والتقطت فى هذه الرحلة ١٠٨٠ صورة ملونة وحوالى ٢٠٠ شريحة و ٢٥٠ صورة ابيض واسود . وكان اهم ما يجذبنى فى هذه الرحلات هو المعالم التاريخية فى البلاد التى زرتها مرتبطة ببيئتها المحلية وطبيعتها الخلابة كالخضرة والشلالات والسحب والانهار التى تشتهر بها بعض هذه البلاد فمثلا فى الفليبين تتبعت بالصورة نهرا حتى منابعه التى يتساقط منها الماء فى انحدار عنيف مكونا شلالات ، وامضيت يوما كاملا فى رحلتي الذهاب والاياب والتصوير والاستجمام .

ـ وفى عام الشبيبة الماضى اعلنت وزارة التراث القومى والثقافة عن اقامة مسابقة فى التصوير ، فكرت فى الاشتراك فيها ولكنى كنت متردداً . وفى اخر يوم فى اخر ساعة تقدمت باثنتى عشرة صورة فازت منها احدى اللقطات التى تصور مجموعة من الطلبة فى مسيرة شعبية بمناسبة عام الشبيبة فى بلدتى سمد الشان .

ـ احب الالوان الى الالوان الهادئة ، لهذا فان أفضل أوقات التصوير عندى ساعات الشروق والغروب ، فانا ارتاح لألوان طبيعية في هذين الوقتين . كما انني لا أحب المساحات الفارغة الواسعة فى الصورة بل يعجبنى دائما ان يكون هناك تشكيل يملؤها مثل السحب بالنسبة للسماء وانعكاسات الاشجار او الجبال أو حتى تجعدات الموج بالنسبة للماء . واذا كان هناك فراغ فى الصورة فانه لا يكون فراغا جماليا اذا ظل ممتداً حتى نهاياتها بل افضل ان يوازنه ـ ولو فى ركن قصى ـ جماد او كائن حى مهما ضؤل حجمه .

● ●

ان محمد سالم على الوضاحي نموذج لجيل الشباب العمانى الذى يتكون الآن ، تمتد جذوره وطفولته الى عمان ما قبل النفط ، ولكنه عاش ويعيش شبابه فيما تلا ذلك من « انتفاضة » نقلت البلاد من القرون الوسطى الى القرن العشرين . ففنه بين تلقائية موهبته ومهارة اكتسبها حين ساد بلاده مناخ موات لتلقى مثل هذه المواهب والترحيب بها بمجرد ان شب عن سنوات الطفولة . وهذه المرحلة المتشابكة لسنوات التكوين أفضت به الى وضعه الفنى الذى يتلخص فى انه إذا كان الحاضر حرفته (تصوير النفط وآباره واجهزة حفره ..) فان الماضى ـ بكل ما فيه من جاذبية ورومانسية وعراقة ـ هوايته . لهذا فهو حريص على أن يكون مصور البيئة العمانية بكل جوانبها . إنه يصور الوجوه العمانية المعبرة : وجوه الكبار الذين ترك الزمن بصماته فوق جباههم ، ووجوه الأطفال والشباب بما فيها من براءة وحماسة وامل . كما يصور المجموعات العمانية وهى تتعامل فى حركتها اليومية أو وهى تمارس عاداتها او تلهو فى اوقات فراغها بالعابها الشعبية . كذلك تتبع عدسته معالم بلاده التاريخية وفى مقدمتها قلاعها وحصونها وطبيعة عمان الفريدة التى يتجاور فيها الجبل والماء ـ بحرا كان أو فلجاً ـ مع الخضرة . إنه حريص على أن تبلور عدسته روح عمان بوجه خاص والطابع الخليجى بوجه عام سواء فى البشر أو الشجر او الحجر .

يوسف الشارونى





حرارة الشمس هي التي تسبب تبخر الماء وصعوده إلى اعلى وتحوله إلى سحب

أســرار الرعـد والبـرق والسحب والثـلوج

لماذا تنشأ الظواهر الجوّية في السماء؟

بقلم الدكتور عز الدين فراج

يتبخر الماء وتتصاعد ابخرته في الجو فتبرد وتتكثف ، فان تم تكثف هذا البخار في منطقة قريبة من سطح الأرض تكون ما يعرف بالضباب . وما الضباب إلا قطيرات دقيقة جدا من الماء تبقى معلقة في الهواء ،

فتجعله غير شفاف ، فيتعذر رؤية الاجسام البعيدة . كما يتعذر السير في الطرقات . وإذا تعرضت هذه القطيرات الصغيرة إلى تاثير اشعة الشمس تبخرت تدريجيا وانقشع الضباب .

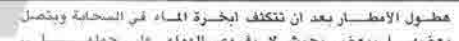
ومما يساعد على تكوين الضباب وجود الغبار ودقائق الاتربة الرفيعة في الجو ، لانها تعمل على تكثف بخار الماء عليها ، ولذا نشاهد الضباب بكثرة في جو المدن الصناعية حيث ترسل مداخن المصانع والافران كميات لا حد لها من الدخان وذرات الاتربة .

اما إذا برد بخار الماء بعيدا عن سطح الارض لملامسته لسطح بارد كقمم الجبال العالية ، او لملامسته لجزء اخر من الهواء اكثر منه برودة يتكثف مكونا سحابة يمكن رؤيتها بوضوح ،

وتختلف السحب في شكلها ولونها فمنها الصغير المتقطع ، وهذه هي اكثر السحب ارتفاعا ، ومنها الداكنة اللون ، وهذه ممطرة في الغالب .

وإذا استمر تكثف بخـــار المـــاء في السحابة وكان سريعا فان دقائق الماء المتكاثفة تزداد في حجمها ويتصل بعضها ببعض ، فاذا بها في النهاية قطرات كبيرة لا يقوى الهواء على حملها ، فتسقط في صورة مطر .





هطول الامطار بعد ان تتكثف ابخرة الماء في السحابة ويتصل بعضها ببعض بحيث لا يقوى الهواء على حملها ..

البرق .. شرارة كبيرة هائلة الخطر .. إذا لمست الانسان فانها تصعقه .



بلورات الثلج التي تتكون نتيجة انخفاض الحرارة إلى ماتحت الصفر

سحب تكثفت قطراتها ونزلت امطارا .

وإذا مرت هذه القطرات أثناء سقوطها بطبقة هوائية مشبعة بالبخار كان المطر غزيرا ، أما إذا مرت بطبقة هوائية غير مشبعة تناقص حجمها ونزل المطر رذاذا .

والثلج عبارة عن بللورات متطايرة على شكل شظايا رقيقة ، تشبه زغب الريش الابيض . ويتكون الثلج نتيجة انخفاض درجة الحرارة إلى ما تحت الصفر في طبقات الهواء المحتوية على سحاب . وتتساقط هذه البللورات التي يبلغ طولها قرابة بوصة على الارض فتكسوها كما تكسو النباتات وقمم الاشجار وسطوح المنازل .

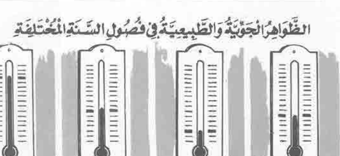
ويشترط لكي يبقى الثلج دون ذوبان بأن تكون درجة الحرارة على سطح الارض حوالي الصفر . أما إذا ارتفعت الحرارة فان الثلج يذوب ويتحول إلى ماء .

وقد يتراكم الثلج على قمم الجبال والهضاب . وفي الاقطار الباردة في صورة حقول ثلج واسعة . وقد يتكدس بعضه فوق بعض فيتصلب ويتحول إلى جليد وبحالته الصلبة المعروفة .

وقد شاهد كثير من السائحين الوانا متعددة للثلج ، ففي بعض جبال هنغاريا العالية شوهد الثلج الأسود ، وفي برنزويك شوهد الثلج الاصفر ، وفي بعض المناطق القريبة من المتجمدين شوهد الثلج الاخضر.

غير أن أكثر انواع الجليد الملون شيوعا هو الثلج الاحمر ، ويتفاوت لونه من لون وردي فاتح إلى لون احمر قاتم كلون الدم . ويشاهد هذا الثلج في قمة سانت برنارد وفي المناطق القطبية ، وفي جبال الانديز

لماذا تنشأ الظواهر الجوية في السماء ؟



رسم توضيحي يبين الظواهر الجوية والطبيعية في فصول السنة المختلفة .

بامريكا الجنوبية .

وفي بعض الاحيان يكون تلون الثلج بالألوان المختلفة سببه وجود شوائب أو اتربة معدنية في الثلج ، وقد يتكاثف في اعالي السحب قطرات صغيرة من الماء خصوصا في اثناء عواصف الرعد والبرق ، ولا يلبث أن تتخذ شكل كرات صغيرة من الجليد تبدا في النزول ، ولكن العاصفة تحمل هذه الكرات الصغيرة مرة اخرى داخل السحاب ، فيتكاثف حولها نطاق جديد من الثلج او من الماء الذي لا يلبث ان يتجمد بفعل ثقلها ، ولكن التيارات الصاعدة القوية تحملها إلى اعلا فتكسوها قشرة جديدة . وقد تبلغ عدد القشرات المتعاقبة نحو عشرين قشرة .

وعندما يصل قطر هذه الكرات نحو ٥ر١ سنتمتر تسقط على الارض . وقد يكون سقوط الكرات بكميات كبيرة وبسرعة هائلة فيحدث تلفا للمزروعات .

والبرد يسقط في جميع خطوط العرض ولكن يندر جدا عند خط الاستواء . نظرا لان حركة الهواء السفلى تذيبه قبل ان يصل إلى الأرض .

البرق والرعد

البرق هو شرارة كهربية . كتلك الشرارة التي تحدث حين يتلاقى سلكان مكهربان . ولكنها شرارة كبيرة عريضة هائلة الخطر ، لو لمست انسانا لصعقته او حرقته ، فلا يبقى منه إلا رماد . وتحدث هذه الشرارة حين تلتقي في السماء سحابتان مشحونتان بالكهرباء .

واخطر انواع البرق ، هو الذي يكون اتجاهه من فوق الى تحت . لانه يصعق كل ما يصادفه من انسان وحيوان ، كما يحرق الدور والمصانع ، ويبيد الزرع ، ويعطل القوى الكهربية التي نستخدمها في الاضاءة وإدارة المصانع .

ومن ثم كانت فائدة القضبان الحديدية (مانعة الصواعق) التي تثبت في اعلى الابنية ، فهي تعمل على توحيد الشرارات وانتقالها في مادة الحديد ، وهو موصل جيد، دون ان تضر بالبناء .

اما الرعد فهو صوت ضخم ينتج من تعاقب الحرارة والبرودة التي تحدثها شرارة البرق ، وذلك ان البرق حين يلمع ، يحدث في طبقات الجو العليا سخونة شديدة ، تعقبها برودة شديدة سريعة ، فينتج عن ذلك تمدد مفاجيء يعقبه تقلص الهواء في ممر شرارة البرق يتمخض عنه جلجلة هي الرعد الذي نسمعه .

وهذا الصوت الذي نسمعه هو قرقعة الشرارة الكهربية ، وقد يبدو ان الرعد جلجلة متواصلة ، إلا ان الرعد في الحقيقة انفجار واحد فقط ، ولكن طول الشرارة يبلغ عدة اميال ، ولهذا يصل الصوت في مختلف انحائها إلى الاذن في اوقات مختلفة ويزيد طول جلجلة الرعد الصدى الذي تعكسه الغيوم او الوديان او الجبال ويسمع صوت الرعد دائما بعد لمعان البرق بوقت قصير ، وذلك لان الضوء اسرع من الصوت ، فلو ان قذيفة اطلقت من بندقية ، لشاهدنا وهج القذيفة قبل ان نسمع صوت الطلق ، بالرغم من حدوث الاشتعال والصوت في وقت واحد .

ولو أن هذه الومضات الكهربية التي نراها في السماء ونسميها البرق ، تتولد بطريقة صناعية ، لكانت تكاليف البرق الواحد منها ، تعادل ما ينفقه الشخص العادي على اضاءة منزله بالكهرباء لمدة اربعين عاما تقريبا إذ تبلغ قوة اضاءة البرق الواحد نحو ٠٠٠ر٢٠ كيلو واط تبلغ نفقة توليدها مئات الجنيهات .. فاذا قدرنا ان معدل كمية البرق التي تحدث في وقت واحد هو ٢٠٠٠ ابراق ، فان هذه الكمية تعادل مقدار ما يولده العالم من الكهرباء ، مضروبا في الف .

الشهب في الفضاء

وكثيرا ما نشاهد في ارجاء الفضاء ونحن ننظر للسماء ، ما يشبه النجوم تتساقط ، ويبدو لنا انها تهوي إلى الارض .

والحقيقة ان هذه الاجرام المضيئة ليست نجوما ، بل هي كتل مادية تسبح في فضاء الكون ، وقد يقترب بعضها من الكرة الارضية ، فتشده إليها بتاثير قوة الجذب وعندما تصل إلى الجو تلتهب القطع الكبيرة منها نتيجة احتكاكها بالهواء ، فيظهر لها ضوء ساطع ، وتبدو كالنجوم الهاوية من السماء .

ويقرر علماء الفلك ان عدد الشهب التي تلتقطها الكرة الارضية في كل اسبوع ملايين ، ولكن لا نراها جميعها ، لان الجزء الاكبر منها قطع صغيرة جدا تتحول إلى دقائق ترابية بمجرد احتكاكها بالهواء .

وهناك راي يقول إن منشا اغلب الشهب من المادة التي تتركب منها بعض النجوم ذات الذنب ، قد يحدث أن تترك جزءا من ذيلها الذي يبقى متحركا في الفضاء ، ثم لا يلبث الذنب ان يتحطم تدريجيا إلى اجزاء متفرقة ، تتبعثر هنا وهناك .

عز الدين فراج

أحزان الشعراء ..

"عن شاعر الصعاليك عروة بن الورد"

شعر: أحمد سويلم

تأخذين برأسي كل مساءٍ .. تُجيدين هدْهدَةَ القلبِ ..
تحملين غبارَ المسافاتِ .. عصفَ الحكايات ..
عيناي تلتمان .. تحطّان فوق عذوبةِ صدرك .. أقضمُ
خبزى المندّى بصوتكِ .. يؤنسني في ليالي التوجسِ
والغزوِ .. يزرع في الصحراء نخيلاً .. إليه أفيء ..
وأغمض عينيّ .. أحلم أني بصدرى طفل التوهجِ ..
أنكرتْني القبيلةُ ..
لستَ الذى تستحق الولاء .. ولستَ الذى تتقلدُ
أوسمةَ الشعرِ ..
نعرفُ كم تقرضُ الشعرَ .. كم تتزاحمُ بالسيفِ
عند الملمّاتِ .. كم تملكُ القلبَ والعينَ ..
لكننا لا نريدُكَ صوتَ الجياع المهانين ..
هم يستحقون بؤسَ الحياةِ .. وجوعَ الصعاليك
في الصحراء ..
طاردتني القبيلةُ .. ضجَّ بيَ الشعرُ والشعراء .. رمتني
القبيلةُ بالشرك .. والإفك .. تطلبُ رأسي ..
تمنحُ أبهى القلائدِ للفائزين ..
ارتميتُ بصدركِ يارحبةَ الصدرِ ..
لذتُ بعينيكِ .. سيفي جفونُك .. شعريَ
من وجنتيك يضيءُ ..
جئتُ رثَّ الثيابِ فقيراً .. أُغنّي بشعرى لم هام مثلىَ
في الصحراء ..
جئتُ .. لاتنكرى الخطْوَ .. لا تسلميني لسيف القبيلةِ ..
حسبك .. أحلى القلائد – حين منحتُك بالأمس أعتى
الوحوش تطأطئ بين يديك الرءوسَ .. وتحرس بابك
حسبي – أُقَسِّمُ جسمى بين الجموع الكثيرة – أحسو برودةَ
مائي من أجل عينيكِ .. تشق جراحيَ من أجل عينيك ..
ينطلقُ الشعرُ .. يصرخُ بالليل حتى يقضُّ المضاجع ..
يخترقُ الشعرُ أعتى الحصونْ ..
وأنا لا أهونُ ..
لأني عاهدتُ عينيكِ ذاتَ صباح .. وهاجرتُ ..
يوماً أغيرُ على النجد .. يوماً أغير على السهل .. كلَّ
الليالي الكئيبة أسقطها تحت سيفيَ .. كل حكايا
الصعاليكِ .. كل الأساطيرِ تذكُرني في ليالى القبيلة ..
ليس لى الآن غير ملامح وجهكِ ..
شاهتْ وجوهُ القبيلةِ ..
شاهَ بها الشعراء يريقون وجه القصائد بين
دنانِ الشرابِ .. يُحيلون سقط الرجال كراماً على
الأرض .. شاهَ بها الشعراء ..
منذ هاجرتُ ..
سيفي أشرعُهُ في الوجوه الكئيبة – تدفن عينُ الطفولةِ
في الرملِ .. تفرق أشرعةُ الحبِ
سيفي أشرعُهُ .. منذ هاجرتُ ..
حرفي أنفذه في القلوب الغريبة .. علّ الحجارةَ
تسقطُ .. أبني سياجاً من الحبِّ .. أفتح باباً
من الدفء للأشقياء ..
اقبليني كما جئتُ ملتجئا ..
اجعلى الحب بيني وبينك مبتدءاً ..
ان شعريَ منذ سئمتُ القبيلةَ لا يقبلُ الزيْفَ
لا يقبلُ الأدعياء ..
لا تُطيلى التساؤل عن سفرى في ليالى الشتاء ..
إنَّ صوتَ المهانين مازال يصرخ عند الشواطئ .. في
طرق الصحراء
والقبيلةُ تطلبُ رأسي .. وسيفي مازال ملكَ
يميني .. والشعراء يريقون ماء الوجوه .. يكيدونَ
للوطن الخصبِ ..
كل مساءٍ يقيمون حفل احتضار القصائدِ تحت عروشِ
العتاةِ .. وصوت المهانين عند الشواطئ .. في الصحراء
القريبة مازال يصرخ كل مساءٍ .. يطالب بالقوتِ
والسيف .. كل صباح ..
أيقظى الآنَ عينيك .. ظَلىِّ لديَ .. اجعلى الحبَّ بيني
وبينك مبتدءًا ..
أيقظى الآنَ قلبك ..
لا تسلميني لسيفِ القبيلهْ !

الطاهر بنجلون : الولد يحكي القصة بالقلم الرصاص

تجربة فنية جديدة

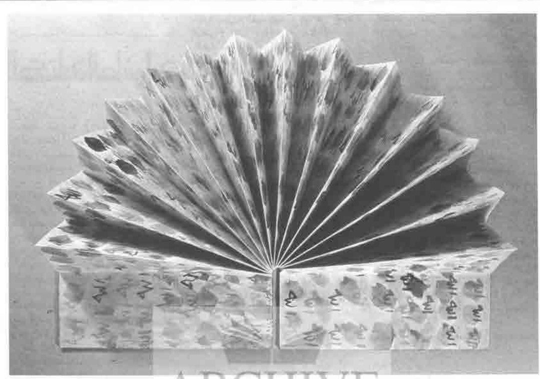
الكتابة الطفولية

قصائد وأعمال أهم الشعراء والروائيين العرب في دفاتر يابانية مطوية

بقلم : شربل داغر



إيتيل عدنان أمام طاولة الرسم



الدفتر الياباني المطوي

إنها ترسم على الدفاتر اليابانية المطوية قصائد واعمال اهم الروائيين العرب في تجربة جديدة ومتميزة ، لا تعتمد فيها على تلقي النص الشعري او الروائي ـ فقط ـ ولكنها تبرز سياقه التاريخي والحضاري .

وهي تخط العمل الأدبي بطريقتها الخاصة في معالجة الحرف العربي ، وبافكار تترجم معنى التغني بحب الأرض والتمسك بارثها العظيم .

وفي بعض اوراقها تستخدم أدوات الجراحة العربية القديمة : عيون ، وشم ، إمرأة ، يد ، نخلة ، قارب ، بندقية ..

واذا كانت شديدة الحرص على الابتعاد عن الترجمة الحرفية للنص ، فانها في كل دفاترها تطبق جملة « بودلير » الشهيرة : اكره الحركة التي تبدل وجهة السطور !

وفي هذه الدفاتر التي تؤكد فيها ـ دائماً ـ هويتها تقدم لنا باسلوبها الخاص ثلاثة دفاتر لبدر شاكر السياب هي مدينة السندباد والمعبد الغريق ، والأم والطفلة الضائعة .. وتقدم لنا ـ ايضاً ـ دفاتر أخرى لفاضل العزاوي ، وفؤاد غبريال ، وأدونيس ، والطاهر بنجلون ، ومحمود درويش ، وجورج شحادة ، وعبدالوهاب البياتي ، وابن الفارض ، وفايز المقدسي ، وغيرهم ..

إن « إيثيل عدنان » التي تكتب القصة القصيرة والرواية والقصيدة ، تقدم الآن تجربتها الابداعية الفريدة في دفاترها التي تمثل التعبير الناضج ، والتي تعتمد على ملامح الابجدية العربية في علاقة من التواصل الوجداني والايقاع اللوني الذي ياتي إلينا وكانه مقطوعة موسيقية لها إيقاع بديع وتثير في اعماقنا ارقى الخيالات والصور المتعددة !

ولكن ما هو محتوى وابعاد وفكرة هذه الدفاتر التي تقدمها لنا الفنانة الكاتبة ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عنه في هذه الدراسة التي تلقي الضوء على هذا العمل الفني والثقافي الجديد .

تجربـــــة فنـــــية جديـــــدة

الكتابة الطفولية

هذه الدراسة لا تعنى بمجمل نتاج «ايتيل عدنان» الكتابي ، ولا بمجمل نتاجها الفني ، بل بعدد محددمن اعمالها الفنية ، المعروفة باسم « الدفاتر » . هذا التحديد لازم مع كاتبة مثلها ، ذلك أن سيرتها الابداعية لا تتحقق في مسار واحد ، مهما تكاثرت او تباينت مراحله ، بل في مسارات عدة . فهي تكتب القصة القصيرة والرواية والقصيدة ، بالانكليزية والفرنسية ، مثلما تحفر وتنسج وترسم .

من اب سوري وام يونانية ، ولدت ايتيل عدنان في بيروت عام ١٩٢٥ ، لكنها قضت حياتها بين ١٩٥٥ و ١٩٧٢ في امريكا الشمالية دون توقف (كانت تعود احيانا لقضاء شهر العطلة الصيفية في بيروت) ، ومنذ ١٩٧٦ بين باريس وكاليفورنيا .

منذ الولادة عرفت ايتيل عدنان تعدد الأصول : والدها سوري ، لكنه كان ضابطا في الجيش العثماني ، وامها يونانية من ازمير ... التركية حاليا .

في الحياة كما في الفن عرفت التمزق ، اي البحث الدائب عن الهوية .

التعدد لا يناسبها وحسب ، بل يؤلفها ، في كيانها ، وفي تعبيرها الفني والأدبي .

وهذه الدراسة تعنى بـ « الدفاتر » ، لأنها تمثل التعبير الناضج والبين عن بحثها التشكيلي في اشكالية الهويـــة . هذا ما ندافع عنه ، وما سنعمل على بيانه : ننطلق من هذه الفرضية ، ونتوخى عبرالتحليل برهنة صمتها ، اي اننا نترك لنتائج الدراسة ان تبرهن صحة الانطلاق من هذه الفرضية ، ومن هذا التقدير لنتاج الفنانة ..

لماذا هذه الدفاتر ؟

انها دفاتر « ماكي موكو » اليابانية ، اي الدفاتر المطوية ، التي تصنع حرفيا ، بالايدي ، في مدينة كيتو اليابانية ، ذات العراقة الامبراطورية .

دفتر الـ « ماكي موكو » يشبه الكتاب ، بغلافين سميكين ، لكنه ، على خلاف الكتاب ، يفتح ويغلق على طريقة آلة «الاوكارديون» الموسيقية ، اي أن أوراق الدفتر لا تقلب صفحة تلو صفحة ، بل بكيفية حرة تماما . تصل الى فتح الدفتر تماما بحيث تؤلف اوراقه المتصلة ورقة واحدة .

إنه دفتر (اي متعدد الاوراق) (اوراقه متصلة ومفتوحة على بعضها البعض) في آن معا . كل دفتر يختلف عن الآخر ، وكل دفتر قابل لـ « التاليف » ، اي لأن يتخذ اشكالا متبدلة ومعقولة ، في كل لحظة ، ووفقا لمشيئتنا ، انه دفتر شخصي ، إذن ، كل نسخة منه فريدة في نوعها ، على خلاف الورق الطباعي (او القماشة الفنية ، وغيرها من الحوامل المادية للتعبير ، الكتابي او التشكيلي) ، العمومي والمشترك

« هل عرفت فنانا يرسم بقلم «بيك » (Bic) من الحبر الناشف ! ؟ ، سألتني ايتيل ذات مرة ، وهي تضحك ، للتأكيد على رغبة الفنان الدائمة في التوفق بحوامل مادية ومواد فنية ، تخصه دون غيره . فعند بعض الفنانين ، ومنهم ايتيل عدنان ، لا يقتصر البحث التشكيلي على صياغة «رؤيا» فنية ما ، بل يشتمل البحث ايضا على بناء مادي مميز لهذه الرؤيا ، فتستبد شهوة الابتكار فيهم لدرجة انهم يريدون أن يجعلوا من العمل الفني « شيئا » ، «جسما» ، «مادة» ، بالمعنى الفيزيائي الدقيق للكلمة .

احجام الدفاتر مختلفة : ٣٣ سم عامودياً x ١٢ر٦ م افقيا (القياس الافقي يشمل عدد الصفحات بشكل متصل ، كما لو ان الدفتر ورقة واحدة) ، ٢٤ سم x ٤٠ر٥ م ، ، ٢٧ سم x ٧٠ر٢ م ..

ولكن كيف تعرفت ايتيل عدنان على هذه الدفاتر ؟

« التقيت ذات مساء في ١٩٦٢ في مقهى بكاليفورنيا بالصديق الأمريكي ريك باردين . كان مجنونا بالرسم . ما كان يفارقه القلم بالحبر الصيني . اية ورقة ، حتى ورقة المطعم ، كانت صالحة عنده للرسم . لكنه دعاني في ذلك المساء الى الرسم فوق دفتر «ماكي موكو» بدل الحوار . وفي حزيران/يونيو ١٩٦٣ حاولت ، ولأول مرة بشكل جدي ، الرسم فوق دفتر ياباني ، ولكني ما لبثت ان انقطعت عن اكمال الدفتر عدة شهور ، حتى شباط/فبراير ١٩٦٤ ، حيث انتهيت من تخطيط قصيدة « مدينة السندباد » للسياب فوقه . وقد قمت بهذا العمل الاول ، على تقطعه ، حبا باكتشاف هذا الحامل المادي واختبار ممكناته الفنية ، وما حاولت تجربة ثانية إلا بعد ثلاث سنوات ونصف ، إثر النكسة العربية في صيف ١٩٦٧ . ارتعبت في حينها كثيرا (وقد كنت في امريكا) ، واختلت عزيمتي ، لدرجة انني ما وجدت غير الرسم الحروفي ليعيد لي ثقتي بنفسي ، وبهويتي » .

الصدفة (واللعب والاختبار) تفسر التجربة الاولى . الارتجاجة النفسية دفعتها الى القيام بمحاولة ثانية . والخيار الفني جعلها تقدم على المحاولة الثالثة ، وعلى عشرات المحاولات بعدها .

ولكن ، لماذا هذه الدفاتر اليابانية بالذات لماذا التوجه الى الحرف العربي ، الى القصيدة العربية الحديثة بالذات ؟ على اية حاجات ، فنية ، روحية ، يجيب مثل هذا البحث ؟ .. لن نجيب على هذه الاسئلة وغيرها ، إلا مع تقدم البحث وتطوره . ما يمكن ان نؤكده ، منذ الآن ، هو ان ما بدات به ايتيل عدنان ذات مساء في كاليفورنيا سيتخذ لاحقا وجهة المسار ، وسيجد لاحقا الاجابة البينة على الغموض الذي اكتنف اعتمادها على هذه الطريقة الفنية في ايام النكسة العربية العصيبة عليها ، خاصة في امريكا الغربة .

ما هي « دفاتر ايتيل عدنان » ، موضوع دراستنا ؟

- ● « مدينة السندباد » لبدر شاكر السياب (حزيران/يونيو ١٩٦٣ — شباط/فبراير ١٩٦٤) .
- ● « المعبد الغريق » لبدر شاكر السياب (حزيران/يونيو ١٩٦٧) .
- ● « الأم والطفلة الضائعة » لبدر شاكر السياب (١٩٦٨) .
- ● ٢٤ قصيدة لفؤاد غبريال نفاع ، مترجمة الى العربية عن الفرنسية (١٩٦٩)
- ● «بيوت العنكبوت» (جزءان) لتريز بصبوص (١٩٧٠) .
- ● «نزهة المحارب» لفاضل العزاوي (١٩٧١) .
- ● قصائدمن « اغاني مهيار الدمشقي » لادونيس (١٩٧٤).
- ● «حدودة» ، الترجمـــة العربيـــة من الفرنسية للفصل الأول من رواية الطاهر بنجلون التي تحمل هذا العنوان (١٩٧٨)
- ● «العصافير تموت في الجليل» لمحمود درويش (١٩٨٠) .
- ● ثلاث وعشرون قصيدة لجورج شحادة مترجمة الى العربية من الفرنسية (١٩٨١)
- ● «بابلو نيرودا» لعبدالوهاب البياتي ، دون تاريخ .
- ● «صقر قريش» لادونيس ، دون تاريخ .
- ● قصائد لابن الفارض ، دون تاريخ .
- ● قصيدة لفايز المقدسي ، دون تاريخ .

...

إلى هذا ، نضيف ثلاثة دفاتر « حرة » ، اي غير مقيدة باي نص شعري او روائي ،

تحت عنوان « الله » ، حيث ترد فوق كل دفتر كلمة واحدة : الله . مرة واحدة افردت عدنان احد دفاترها لشعرها ، إذ كرست دفترا لقصيدتها «خمس حواس لموت واحد»

«الدفاتر» : انها الرسم ـ الخط .

اليس الخط رسما ؟ اليس الرسم خطا ؟ كيف يخط الرسم ؟ كيف يرسم الخط ؟ لماذا نقول الخط ، لا التخطيط ؟ الا يعني الخط قيدا ونسقا مضبوطا بالضرورة ، فيما يعني الرسم اشكالا حرة بالضرورة ؟ كيف يتواكب الخط والرسم فوق ورقة الدفتر ؟ هل تؤلف الورقة عملا فنيا « مستقلا » ؟ ما هي البنية الفنية للدفتر ؟ ...

علاقتها باللغة العربية

تغسل « إيثيل يديها قبل الرسم . تماما مثل الخطاط (القديم) قبل ان يباشر تخطيطاته ، مثل طفلة « شاطرة » ، جدية ومواظبة ، قبل القيام بمعطيات الاستنساخ تغسل يديها باناة ، لا يعرف تشددها الرسام عادة . تقبل صوب طاولة الرسم نظيفة ، نقية ومستغرقة ، فكل خطا او اعتذار مستبعد باحكام في الطقس ، في الاحتفال .

تجلس ايثيل للرسم امـــام الطـــاولة . تجلس للرسم ، لا تقف ، ولا تتمشى (في المحترف او في الهواء الطلق) لتعود (امام حمالة اللوحات) . انها ثابتة فوق كرسي ، لا تحتاج لتحركات عديدة ، ولا لزوايا معينة تشترط التنقل ، لكي تنظر الى «موضعها» الى مثالها الخارجي ، ولكي تستعيده في قياسات واحجام والوان .تنكب ايثيل على الورقة دون ان ترفع راسها ابدا تماما مثل الطفلة التي تستنسخ الجملة نفسها ، مرارا وتكرارا ، بالوان عدة او نصا مثبتا في كتاب جرى وضعه لهذا الغرض فوق دفتر الاستنساخ ... هذه الطفلة لا تدفع راسها ، لأنها تنفذ عقوبة ، او لانها تجتاز امتحانا اخلاقيا وروحيا قاسيا ، يشترط منها التركيز والتهيب ، امام الاستاذ ـ الناظر او الأب ـ المراقب . تماما مثل الخطاط الذي لا يبحث عن المعنى في الخارج ، بل في نفسه ، لا في ما يحيط به بل في ما اعتمل في داخله ، انه يستغرق في حالته الداخلية بحيث يجده .

تتهيب وتخشى ما تقوم به لانها تقدره بشكل سام ومنزه عن اية اغراض شخصية او ضيقة الافق . إنها « لا تتردد ، بل تتهيب ذلك أن عليها أن تتدرج في ممارسة فنية ـ روحية عريقة ، وبالغة التقدير من جماعتها

احساسها يتجمع ، يتركز في يدها اليمنى . تميل براسها ايضا الى الجهة اليمنى ، الى اليد اليمنى التي تمسك بالقلم القلم يبلغ عنها ، يوصلها .

منذ ان تجلس ايثيلعدنان الى الطاولة لرسم دفاترها تدخل في حالة روحية ، تقبل عليه خاشعة ومتهيبة .

تستعيد ايثيل هذه الوضعية حين تجلس للرسم : « ما تعلمت العربية إلا في وقت متاخر جدا من عمري ، في بدايات السبعينات ، وبشكل اولي جدا . لما كنت طفلة ، ايام الانتداب الفرنسي للبنـــان ، ما كنا نتكلم العربية في بيتنا . اي لم نكن نعرفها ، ومدرستي لم تكن تعلمني اياها . والدي ـ وقد كان متقدما في السن ـ كان يريد مني ان اتعلمها ، لكنه ما كان له الصبر الكافي لتعليمي » .

منذ الطفولة كانت تشعر ايثيل بعلاقة «عاطفية» ما ، قائمة خاصة على الاحترام والتقدير ، مع العربية ، وذلك دون ان تتعرف على اشاراتها اللغوية . كانت تستطيع ، في ذلك الوقت ، تمييز العربية عن غيرها من اللغات (كالفرنسية مثلا التي كانت تتعلمها وتتكلمها في المدرسة والبيت) من ناحية « شكلية » فقط ، قائمة على ملامح الابجدية العربية كاشكال خطية ، طباعية او حرفية . وكانت تستطيع ايضا التمييز « الصوتي » لهذه اللغة عن غيرها « حتى اني ـ غير العربية ـ كانت ، حين تريد مدح شخص ما ، تشير الى انه يكتب العربية بخط انيق وواضح » .

منذ الطفولة نشأت بين إيثيل واللغة العربية علاقة خاصة ، قائمة على التعايش معا دون التعرف المقرب او المعمق لها . انها علاقة من التواصل الوجداني ، فيما يسبق الوعي والتعرف والاستيعاب للكلمات ومعانيها ، مفردة او مجتمعة في الجمل . كانت ، في البيت او المدرسة ، مع الاهل او الأصدقاء ، تستمع الى العربية . كانت «تعيش» العربية دون ان «تفكرها» بالضرورة ،ودون ان تحفظها غيبا . «لهذا كانت تاتيني ، وانا طفلة ، بعض العبارات العربية محملة بالاحاسيس التي ترافقها » .

ما كانت تعرف العربية ، لكنها كانت تخشاها ، تحترمها ، تقدرها وتعطيها هالة عظيمة «كنت اشعر بان هذه اللغة هي غير سائر اللغات ، بانها لغة مختلفة ، معتبرة ومحترمة » .

● منذ الطفولة كنت تشعرين بمثل هذه المكانة الكبيرة للعربية ؟

ـ ابي كان يفضل قلمه . كان يتعامل معه بفخر ، وبكيفية مخالفة لغيره من الأدوات . كان يعوض ابي عن عدم معرفتي بالعربية ودراستي لها بان يدعوني الى استنساخ بعض صفحات الكتب والجرائد . اتذكر بان المتعة والجدية كانتا تلازمانني في جلسات الاستنسخ هذه ، كان يروق لي هذا الامر ، فقد كنت اشعر انني انفذ رغبة غالية وثمينة عند والدي . وقد كان يحلو لي ايضا التخطيط بحد ذاته .

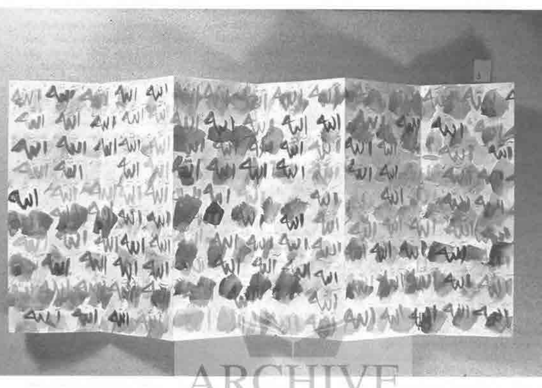
● كيف كان يحلو لك التخطيط ! ؟ .. الاولاد يتضايقون من ذلك عادة !

ـ الاولاد يتضايقون من التخطيط حين يكون عقوبة مدرسية ، اما عندي فقد كان نزهة ، وعطلة خارج الالتزامات المدرسية . لم اكن اعرف حروف العربية وحركاتها ، اي ان تخطيط العبارات كان بمثابة الرسم الخالص عندي . لم اكن اقلد او استنسخ حروفا وكلمات بقدر ما كنت اتبين اشخاصا ووجوها و ملامح وحركات واشارات رمزية في هذه الحروف .

ايثيل عدنان عرفت ، منذ الطفولة إذن الحرف العربي كرسم . ومن المعروف ان الاولاد يسمون الخط رسما في بداية تعرفهم على الخط ، وبعد ان تكون ايديهم قد تمرست بالرسم . في البداية يكتفي الولد بان يتعرف على شكل اللغة ، على طابعها «الرمزي» . انه يراها كوجه ، كامتداد ، كنمط ، ولا يتبينها بعد كمبنى ـ معنى .



صفحات بدر شاكر السياب مرسومة



لفظ الجلالة في حركة تكرارية في احد دفاترها

حين رسمت ايثيل عدنان دفترها الاول ، والثاني .. كانت قد عرفت بممارسات فنية اخرى ، من الحفر بانواعه حتى السجادة الفنية مرورا بالمائيات والزيتيات . وقبل أن تباشر ايثيل تشكيلاتها الحروفية - الفنية في دفاترها كانت قد عرفت التشكيلات التجريدية فقط ، دون اية علاقات تشخيصية . فما الذي جعلها ، في ليالي النكسة العربية في ١٩٦٧ ، تبدل طريقتها الفنية بصورة تامة ، فتنطلق في بحثها الحروفي التشكيلي وتنتقل الى لون تصويري يقترب من التشخيصية اكثر من التجريدية ، وتستبدل المحفورة والقماشة والورقة السميكة بالدفتر اليابانى ؟

يصعب علينا أن نجيب بشكل حاسم وقاطع على مثل هذا السؤال . ان هذا اللجوء ، كمثل العديد من العمليات النفسية المعقدة ، يبقى صعب التفسير ، لأنه يصدر عن العقل الباطن ، محمولا فوق تدافعات الغريزة والرغبات ومواجهتها العميقة .

ايثيل تستطيع تفسير هذا بعد وقت : «ارتعبت حينها كثيراً ، وتبلبلت عزيمتي لدرجة انني ما وجدت غير الرسم الحروفي فوق الدفتر الياباني ما يعيد الطمانينة الى نفسي . اللغة العربية حضرت في غرفتي مثل حبل النجاة ، او مثل حبل الرجاء . حضرت مثل العلاقة الاكيدة والحاسمة لعربيتي ، في وقت كانت تتداعى فيه الارض من تحتي» . يمكننا ، دون شك ، ان نجد في هذا اللجوء الى الحرف محاولة الذات في الدفاع عن نفسها ، في التاكد من هويتها ، وذلك في الشان غير المهدد بالهزائم . اي في اللغة .

وبمجرد ان جلست ايثيل للرسم فوق الدفتر الياباني استعادت وضعيتها الطفولية في الاستنساخ ، وبمجرد ان باشرت بـ «تصوير» (حتى لا نقول : «بتخطيط» الكلمات العربية استعادت ايضا تلك العلاقة الخاصة ، العاطفية والمتهيبة ، التي تربطها بالعربية . تستعيد هذه الوضعية بعد ان اخذت الحياة ، مثل ممارستها الفنية او الكتابية ، مسارات اخرى ، مخالفة ، بكيفية ما للجذور التي عرفتها ايثيل ، ولو بشكل ملتبس ومشوش ، في طفولتها . كانها « الابن الضال » ، تعود الى قيم الجماعة ، الى البيت الابوي ، الى بيت المعاني والاشكال ، الى اللغة .. الأم ، بعد أن «تغربت» طويلا بين البلدان والفنون والكتابات .

استعادت طريق البيت الأبوي، ولم يعد الرسم ممارسة او طريقة ، بل طقســـا احتفاليا ، بدلالات روحية .

دراسة الدفاتر

سننطلق لدراسة «الدفاتر» من عينة مختارة ، هي دفتر «الام والطفلة الضائعة» وستعيننا هذه الدراسة العينية على بناء عدة مفهومية واستعمالية ، نستطيع توظيفها وتشغيلها لدراسة سائر « الدفاتر » ذلك ان هذه «الدفاتر» تؤلف نسقا واحدا في بنيانها العميق : هذا ما نفترض وجوده ، هذا ما سنبينه .

دفتر « الأم والطفلة الضائعة » يمتلك القياسات التالية : ٣٣ سم (عاموديا) X ١٢ر٦ م . (افقيا) ، وهو يتالف من ٢٤



صفحات من دفاتر الفنانة التي ترسمها مثلما يكتب الروائي روايته

ورقة . يتألف الدفتر ، بناء لنظرة أولى من خطوط ومن الوان مائية ، ذات علاقات ورموز تشخيصية واضحة في غالب الأحيان .

لا يمكننا ، في المستوى الأول من القراءة التحليلية ، وهي عملية الوصف المنهجية للدفتر المقصود ، إلا أن نقيم الفصل بين نسقين تعبيريين في بنية كل دفتر : نسق الخط ونسق الرسم .

نسق الخط

ايثيل عدنان تخط قصيدة السياب برمتها ، دون ان تحذف اي بيت ، واية علامة تنقيط ، كما خرجت القصيدة في صورة طباعية بمجلة «شعر» اللبنانية . ابثيل تخط القصيدة دون ان تبدل ابد آ من هياتها الطباعية ، فلا تقدم ولا تؤخر اي بيت ، وتحتفظ بالسطر الطباعي (وبيباضه) فوق دفترها مثلما ورد في المجلة . لكن بعض الاوراق تاتي خالية من اي تخطيط ، مكتفية بالرسوم الخط مستو ، كما لو انها تخط فوق دفتر مسطر ومخطط ، كما انها تحافظ على وجهة سير الخط العربي من اليمين إلى الشمال . إنها لا تخط بل تستنسخ ، ذلك انها تتقيد تماما وتنضبط بالصورة الطباعية الاصلية ، دون ان تخرج عليها ابدآ ، على الاقل في هذا الدفتر .

إنها تستنسخ ، اي انها تورد الخط ، دون ان تجمله ، دون ان تكتشف او ان تجرب إمكاناته التشكيلية . لكن خطها ياتي دون اي «تاسلب» او «تزويق» يعرفه الاولاد عادة في فروض الاستنساخ . يد ايثيل تبدو طليقة ، متحررة من هذا الارث المدرسي . لحسن حظها لم تعرف ايثيل عدنان مدرسا (او مدرسة) يعلمها اصول الاستنساخ وقواعده ، ولا يعاقبها إذا لم تتقيد تماما بهذه الاشتراطات والقيود . إن خطها «المفركش» و «المخربط» والمتعثر يعطي لتخطيطها «شخصية» تميزه ، فياتي غير مثقل ابدا بارث التخطيط المدرسي ، ولا باسلوبية الخاطاطين العرب المحترفين.

ايثيل عدنان تكتب القصيدة (او الفصل الروائي) سطرا مسطرا ، مقطعا مقطعا ، دون ان تتنازل عن اي حرف ، عن اية نقطة، دون ان تبدل ابدا تتابع النص وسيرورته .

تناسب ايثيل في هذا الدفتر جملة بودلير الشهيرة «اكره الحركة التي تبدل وجهة السطور» ، لكنها ، في الدفاتر الاخرى «تبدل وجهة السطور» . ففي اكثر من دفتر لا لا تحتفظ ايثيل بمظهر الصورة الطباعية للقصيدة حين تستنسخها فوق الدفتر ؛ اي انها ما عادت تحتفظ بالبياض الطباعي ، بل صارت تصل السطور او الابيات الشعرية ببعضها البعض . هذا ما نلاحظه في «دفتر بابلو نيرودا» ، او في «دفتر حدوده» ... بحيث يمكننا القول : التقيد بالصورة الطباعية ، الذي لاحظناه في دفتر «الام والطفلة الضائعة» ، ظاهرة محدودة ، تتسم بها دفاتر ايثيل الاولى («مدينة السندباد» ، «المعبد الغريق») ، ولا تلبث ان تبتعد عنها في الدفاتر اللاحقة . ايثيل تتخلص من هذا التهيب ، ومن هذا التقيد ولكن بشكل محدود ، فهي تكتفي بالغاء مساحة البياض الطباعي ، اي ان النص يتتابع دون اي تبديل يعاكس حركة المبنى ـ المعنى مطلقا . النص يبقى متتابعا ،

وعباراته «مقروءة» تماما .

يحتفظ نسق الخط بتتابعه «المقروء» لانه يحترم اساسا الوجهة المستوية للخط ، ومن اليمين إلى الشمال . نسق الخط يتبع القصيدة تماما ، والفنانة تتقيد به . هذه هي القاعدة الاساسية لهذا النسق . وكل تبديل يطرا عليه لا يخل ابدا باساس القاعدة : ففي «دفتر بابلونيرودا» لا تخط ايتيل القصيدة في عدد من الورقات بشكل مستو ومستقيم ، بل يتخذ ، احيانا ، نسق الخط شكلا مائلا ومنحنيا ومدورا قليلا : في «دفتر حدودة» تخط الفنانة احيانا وفق الاتجاه العامودي ، لا وفق الاتجاه الافقي المعتاد في دفتر «ثلاث وعشرون قصيدة لجورج شحادة «تخط القصائد كلها ، وبشكل متصل . نقطة مميزة هي التي تفصل بين نهاية قصيدة وبداية اخرى ...

وللتاكيد على ما نقوله وندافع عنه ، نتوقف ايضا عند «دفاتر الله» : في هذه الدفاتر الثلاثة تكتب ايتيل كلمة «الله» بالحجم نفسه، بشكل متتابع ، وفق وجهة مستقيمة ، افقية ، من اليمين إلى الشمال ، كما لو انها الة طباعة مضبوطة ...

الفنانة تستنسخ ، إذن ، ولا تخط ، رغم ان خطها يخلو من اي تاسلب او اي تزويق، هي معنية باعادة كتابة النص ، لا باستلهامه او التاثر به . الخط هنا ، ملكة يدوية ، لا حرفة فنية ، ، ولا طريقة تشكيلية – حروفية . إنها لا تزوق الحرف لاغراض زخرفية او تصميمية او تزيينية ، ولا تكتبه وفق قواعده ومدارسه المعروفة ، وهي ايضا ، لا تصوغه كعنصر تشكيلي فى اللوحة ، كما يفعل اكثر من فنان عربي حروفي . إنها تورد النص ، تثبته ، وتتاكد بهذه الطريقة من تملكها له ، من وجودها فيه .

تتخذ ايتيل طريقة المدون او الناسخ : تورد النص المعني دون زيادة او نقصان ، حيث تتخذ الاشكال الخطية للكلمات الاحجام نفسها والبياضات نفسها فيما بينها ، وحيث تحضر الكلمات بطريقة جلية وبينة ، وذلك وفق خطوط مستقيمة ومتتابعة ، خاصة بكل ورقة . النص «مقروء» دوما في «الدفاتر» ، ونسق الخط ، اي الاستنساخ ، يحقق هذا الغرض .

الرسم والبنية العميقة

● نسق الرسم : ننطلق مجددا من دفتر «الام والطفلة الضائعة» . تخط ايتيل دفترها هذا بريشة الحبر ، وتستعمل الالوان المائية لرسومها . لون الورقات الابيض تحتفظ به كسطح تصويري . نَتَبَيَّنُهُ كلون في سائر الاوراق ، ونشعر بوجوده دوما : إنه الحامل الفني ، إنها رسوم فوق دفتر .

لا تخلو اية ورقة من الرسم (بعكس الخط ، إذن) ، ونتبين في هذه الرسوم علامات تشخيصية : ادوات للجراحة العربية القديمة ، عيون ، وشم ، امراة ، يد، نخلة ، قارب ، بندقية ... وفى الورقة الاخيرة نتبين رجلا جالسا ، كانه «الحكواتي» (إنه «التوقيع» : انتهى «الدفتر» ، وانتهى «الحكواتي» من سرد حكايته) ...

ولكن على ماذا يقوم هذا النسق ؟ هل هو نسق فعلا ، ام انه عبارة عن وحدات فنية مستقلة كاعمال ، ولكن متصلة بحكم التتابع في «الدفتر» ؟

تشترك اوراق «الدفتر» فيما بينها في انها تعتمد على مواد العمل الفني نفسها (الحبر للخط ، والالوان المائية للرسوم) ، وفي أنها تتابع وفق طريقة فنية متشابهة . فاللونان ، الازرق الغامق والاصفر يتتابعان على مدى الورقات ، دون اي انقطاع ، ويؤلفان ، بالتالي ، نسقا لونيا يجد «الدفتر» فيه قاعدة لانسجامه ولوحدته .

وهذا ما نتاكد من وجوده في سائر «الدفاتر» : ف «دفتر ٢٤ قصيدة لفؤاد غبريال نفاع «كتبته كله بالريشة» اما «دفترة حدودة» فقد كتبته كله بالقلم الرصاص ... هذا يصح في أداة الخط ، وفي ادوات الرسم ومواده ايضا : فاللونان المائيان ، الرمادي والبني الفاتح ، يتكرران في سائر أوراق «دفتر العصافير تموت فى الجليل» تعدد إيتيل في الادوات والمواد والطرق الفنية في «الدفتر» الواحد ، لكنها تعتمدها على امتداد «الدفتر» : ففي «دفتر نزهة المحارب» تخط الفنانة القصيدة بالحبر ، بالوان مختلفة (احمر ، ازرق ، اسود ...) ، ولكن على امتداد الورقات .

الفنانة ، إذن تعتمد في كل « دفتر على اداة مشتركة للخط (حتى لو تعددت) ، وعلى اداة مشتركة للرسم ، وعلى بعض الالوان المتكررة ، وعلى طريقة اسلوبية (تجريدية ، تشخيصية ، بين التجريدية والتشخيصية ...) .

منذ الورقة الاولى تقرر ايتيل جملة من الامور ، توحد بوظائفها المختلفة وتؤلف نسقا للرسم . تقرر هذه الامور قبل مباشرة الرسم : باية مواد تخط ؟ باية مواد ترسم ؟ هل تخط القصيدة بلون واحد ام بعدة الوان ؟ هل يكون الرسم تجريديا ام تضمنه إشارات ورموزا تشخيصية ؟ ... وهي ، في هذا ، تشبه المؤلف الموسيقى قبل مباشرة التاليف : اي سلم موسيقي ، واية مفاتيح ؟ كم الة موسيقية يستعمل ؟ ...

النسق موجود ، إذن ، على مستوى الاداة والمادة ، اي على مستوى القرار والقصد ، وموجود ايضا فيما تنتجه الاوراق وتتبادله على مستوى الرسم من علاقات وتجاوبات : ففي «دفتر العصافير تموت في الجليل» لا تكرر الفنانة اللونين الرمادي والبني الفاتح وحسب ، بل تكررهما كشكل ايضا ، في هيئة بقع مستطيلة مائلة. فالنسق لا يقوم ، هنا ، على الاداة والمادة وحسب ، بل على الايقاع المتناوب ايضا . في «دفتر ثلاث وعشرون قصيدة لجورج شحادة» نتبين الحبر في طبقة خلفية ، واللون الفضي في طبقة الكتابة فوقها ، وذلك فوق إيقاع متناوب على مدى الورقات.

● البنية العميقة : نستطيع بيسر ان نقيم تقابلا بين العلاقات التشكيلية ، ذات الطابع التشخيصي ، في دفتر «الام والطفلة الضائعة (قارب ، بندقية ، نخلة ، امراة ...) والعلامات اللغوية التي تتجاوب معها فى القصيدة المستنسخة . ونستطيع ، إذن ، ان نتبين التقاطعات والتعالقات بين علامات النسقين ، فعلامات الرسم تتجاوب مثل الصدى مع العلامات اللغوية المماثلة لها .

في «الدفاتر» الثلاثة الاولى نستطيع بيسر ان نضبط هذه العلاقات المعلنة والواضحة بين النسقين ، ذلك ان نسق الرسم يسهل العملية بتوفره على عدة علامات تشكيلية .

ايتيل عدنان لا تبحث عن نظام متطور ومعقد للتبادلات التعبيرية بين علامات النسقين ، حيت تلتقط من القصيدة علامة «النخلة» او «القارب» او «المراة» وترسمها في «الدفتر» .

لكنها تذهب بعيدا في البحث عن علاقات جديدة بين النسقين في « الدفاتر » الاخرى : لماذا تستعمل الفنانة في «دفتر نزهة المحارب» الالوان النباتية (قشر الرمان) التي تستعمل لصباغة الصوف

الخاص بنسيج السجاد في العالم العربي - الاسلامي ؟ نستطيع ان نجيب على هذا السؤال ، بنفس الطريقة التي نستطيع فيها الاجابة على هذا السؤال : ولماذا تستعمل ايضا الالوان الصارخة والمتعاكسة ، المعروفة باسم «الالوان البربرية» ، في «دفتر حدودة» ؟ ففي هذين الدفترين تقيم علاقة بين اختيار اللون وتاريخ استعماله ، وبين اختيار القصيدة (او الفصل الروائي) بمحمولاتها التعبيرية والتاريخية العديدة . في «دفتر حدودة» ايضا تستنسخ ايتيل الفصل الروائي بقلم الرصاص : قامت بمثل هذا الاختيار لان صوت المتكلم في الرواية يعود إلى الطفل ، اي ان القلم الرصاص يناسبه .

الفنانة ما عادت تتوقف امام النص مباشرة ، لتنغلق عليه ، بل باتت تتلقاه في سياقه العام ، في سياقه التاريخي والحضاري . إنها تبتعد عن «الترجمة» ، اي «الترجمة الحرفية» للنص عبر الرسم . هذا مستحيل . هذا ما تبينته ايتيل اصلا في ديوانها الشعري «قيامة عربية» . الترجمة المباشرة غير ممكنة ، وإذا ما تحققت عبر بعض العلامات (اي نظام التعالقات بين النسقين) ، فان هذه الترجمة تاسر التعبير ، وتسطحه بالتالي ؛ كذلك فان الفنانة ، في هذه الحالة ، لا تكون اكثر من منفذة ، واكثر من مزوقة للنص .

السؤال ، إذن ، هو كيف «تقرأ» ايتيل النص رسما ؟ تنطلق ايتيل في الرسم من وضعية ، قد «يحسدها» عليها سائر الفنانين العرب الحروفيين . غيرها من الفنانين يرسم حروفا ، جملا او قصائد ، يعاونهم وياسرهم في عملية الرسم فهمهم ، القاموسي على الاقل ، إن لم نقل ايضا الرمزي والتخيلي المتداول ، لهذه الحروف والجمل والقصائد . استيعابهم الواعي للنص (اي معرفتهم باللغة العربية) يشكل ، وبكيفية مسبقة ، معنى سياقيا يوجـــه ويضـــبط ، بقدر ما يفتـــح ويكشف ، سبل التعبير الفني عن هذا النص . اما هي فلا تعرف من الكلمات إلا اشباه معانيها ، إلا خيالاتها ، إلا مناخاتها ، او ما تستثيره في النفس من ردود فعل ، من تدافعات ، من موجات واندفاعات غريزية وحسية ، فيما يسبق الوعي ويحرر اليد الراسمة بشكل بدئي . إذا كانت تتقيد ايتيل في الخط بالاستنساخ ، فانها في مجال الرسم تفتح الابواب لكشوفات الحدس ومواقعات الجسد لمعاني العبارة

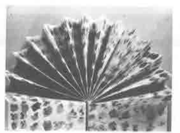
قراءتها للقصيدة والرواية

لندع الفنانة تشرح لنا طريقتها : «يحدث لي ان ارسم ، ان اخطط طوال عشر ساعات متصلة ، دون ان انتبه إلى ان الليل انقضى ، ودون ان افهم كلمات القصيدة بالضرورة . إنها موجة اثيرية . إنه التواصل العمقي . اتعامل مع القصيدة فيما يتعدى معناها ، بوصفها طاقة ، روحية ونفسية . حين اقرا القصيدة اعمل على التقاط ايقاعها ، اي دفقتها الباطنية .

والطاقة ، هنا ، ليست بدائية بل منظمة في تتابعها مثل إيقاع . قد لا التقط سائر المعاني في القصيدة ، لكن التقاطي للايقاع يكفيني . هذا يجعلني اصل إلى القصيدة بكيفية اسرع واعمق من طريقة القراءة القاموسية ، المتابعة والمتانية .

● تقدمين لنا «قراءة» خاصة بكل قصيدة ، غير قاموسية ، وشخصية جدا ، وغير بينة بالضرورة ؟

- النص سر خلف حجاب ، والوصول إليه لا يتحقق بسلوك الطريق المنطقي دوما .





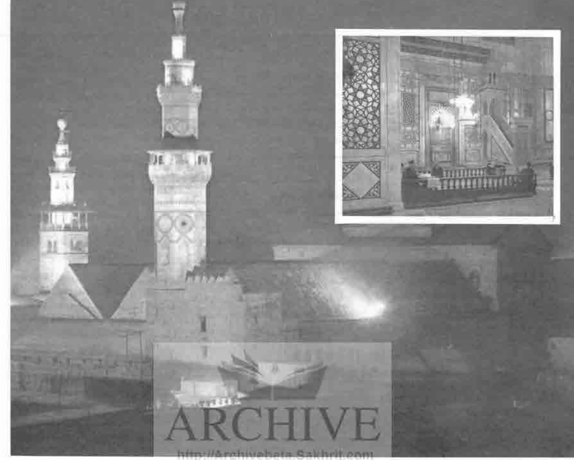
اعرف العربية بطريقة مغايرة عن الناس . ذلك كما لو ان الصم يسمعون والعمي يرون . هذا الشعور بسرية علاقتي مع العربية اتحقق منه حين اكتبها ، لا حين اسمعها . هذا الأمر لا القاه إلا مع العربية .

إيتيل عدنان ترسم دفترها مثلما يكتب الروائي روايته : تتوقف عن الرسم ثم تعود إليه ، والعودة اسهل ، طالما انها تحتفظ بالايقاع ، بمقام القصيدة . إنها ترسم ، اي تتبين المعنى الذي يتكشف من وراء الحجاب . جهلها (او معرفتها المحدودة بالاحرى) بالعربية ينقذها من القيود التي تكبل القارىء - الفنان حين يتفهم المعنى . جهلها يحررها ، يجعلها تتخلص من المعنى القصدي ، العمدي . لهذا تبدو في دفاترها هذه كمن يتعلم القراءة ، كمن يتكشف المعنى بطريقة غير منطقية وغير تقليدية ، بطريقة حدسية وباطنية .

«طريقة» ايتيل عدنان هي مراهنتها (الرابحة دون شك) على وجود صلة لازمة بين المحمولات المعلنة والمضمرة للقصيدة وطاقة التحسس والفهم عندها . هذه «الطريقة» تشبه لقاء الصديقين في حفلة تنكرية حيث لا يحتاج احدهما إلا لبعض الحركات ، ولبعض المقاربات لكي يتعرف على فتاته .. المقنعة . إنها تستدرج القصيدة ، وتبادرها ، فيلتقيان دون تدخل . إنها تشرح لنا ذلك بقولها : «حين نكون مشحونين داخليا ، وخازنين لاحاسيس تجد صداها او جوابها او مصدرها عند الشاعر ، كاتب القصيدة التي ارسمها ، فاننا نستطيع الاعتماد على الصدفة ، دون ان نخشى الاستسلام لها» .

ايتيل عدنان لا تستسلم للصدفة ، بل لنزوعات احاسيسها ، ولحرية يدها . إنها لا تبحث عن الهوية في «معنى» خارجي ، في شكل فني معتبر ومعمم (مثل التخطيط العربي) ، بل في «نفسها» ، في صلة عفوية من تاريخها الشخصي . إنها لا «تقرر» هويتهـــا ، بل تحدس بها وتتبينهـــا في تدافعات يدها .

شربل داغر



الجامع الأموي بالليل، ولقطة من داخله تتحدث عن الحضارة المعمارية الاسلامية

دمشق القديمة

حسن العمارة والنضارة وكثرة الفاكهة

بقلم : نبيل السمان

دمشق المدينة الخالدة التي امتدت جذورها في اعماق التاريخ الانساني ، فكانت أول عاصمة في العالم بناها الانسان في هذه الرقعة من الارض ، وبالرغم من كل ما اعتراها من احداث جسام الا ان نبض الحياة ما زال يجري في عروقها ، فهي المدينة الصامدة تستوحى من عراقة الماضي ، واصالة الحضارة ما يجعلها تتصدر المدن فى المشرق ، وتضيء بسناها شعلة التقدم .

دمشق اللقب

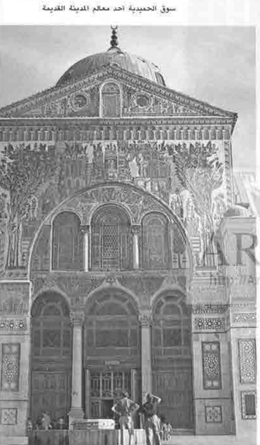
تضطرب الروايات حول سبب تسميتها ، فياقوت الحموي في معجم البلدان يقول : دمشق الشام بكسر اوله وفتح ثانيه . هى جنة الارض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة فاكهة . سميت بذلك لانهم (دمشقوا) في بنائها اي اسرعوا ،

وقيل سميت دمشق بدماشق بن قاني بن مالك بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وقيل ان اول من بناها (بيوراسف) وقيل ان اول من بناها جيرون بن سعد بن ارم بن سام بن نوح وسماها (ارم ذات العماد) ويظهر ان الاسم متصل بقصة ابراهيم (سفر التكوين ، الاصحاح /١٤/الآية /١٥ / والآراميون سموها (دارميسق) وهي تعني الأرض المسقية

سوق الحميدية احد معالم المدينة القديمة



الباب الشرقي في دمشق القديمة





قصر العظم الذي يتميز بطابعه الفريد في نوعه

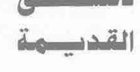
لوحات تنطق بعظمة الفن الاسلامي في الجامع الاموي

لوفرة مياهها ، وربما اطلق اللفظ الروحي (دومسكس) اي مسك مضاعف لطيبها ، ولعلنا اميل الى التسمية الآرامية منها الى غيرها .

موقع دمشق

تقع مدينة دمشق على خط طول ٣٦° ١٨َ شرقي جرينتش وخط عرض ٣٣° ٢١َ شمالا ، وهي عاصمة القطر العربي السوري وتقع في القسم الجنوبي الغربي منه ، وكان لموقعها هذا اثر كبير في ذيوع شهرتها في العالم ، فهي حلقة الاتصال التجاري والزراعي والصناعي في العالم القديم وهي صامدة في وجه الأخطار التي تتعرض لهـــا في العصر الحديث .

دمشق ونهر بردى توامان وكل منهما يدين للآخر بوجوده ، بل ان النهر الخالد كان اكثر فعالية ويخترقها من الغرب الى الشرق مؤلفا واحة خضراء واسعة فكانت غوطة دمشق ، وتتحلق حول المدينة سلسلة من الجبال الشاهقة منها (قاسيون والقلمون) يفصل بينهما خانق بردى عند الربوة ، وهذا ما جعل هذه المدينة تتصف بالتنوع. ففيها الجبل والسهل والوادي ، ويقول الاستاذ نقولا زيادة في كتابه مدن عربية (انتزع الله من الصحراء رقعة فدحا





شارع الصالحية في دمشق

سطحها وكثر انهارها ونوع اشجارها وفصل ازهارها واخصب تربتها وميز ربوتها فكان من ذلك دمشق وغوطتها) .

عدد السكان

ليست هنالك احصاءات دقيقة عن عدد سكان مدينة دمشق اليوم ، الا ان احصاء عام ١٩٦٠ حدد عدد السكان بـ ٥٢٩ر٩٦٣ نسمة ، وقد تم هذا التعداد وفق الاساليب العلمية الحديثة الا ان ذلك العدد ازداد بشكل فاق كل التصورات والتقديرات تبعا للهجرة الداخلية من الريف الى المدينة ، والخارجية من الاقطار الاخرى،فبلغ عدد سكان دمشق ما يقرب (١ر٥١٢٠٠٠) مليـون وخمسمائـة واثنتي عشر الف نسمة .

واتسعت تبعا لذلك هذه المدينة في كل اتجاه ، واقيمت المشاريع الاسكانية الطابقية الحديثة لتستوعب هذا العدد الضخم فكانت دمشق الجديدة التي توسعت على حساب المدينة القديمة وعلى حساب الاراضي الخضراء في غوطة دمشق ولشد ما يشعر ابناء دمشق بالاسى عندما يرون معولا ينهال على بيت اثري قديم او على حساب شجرة خضراء في روابي الغوطة .

أهم المعالم

ومهما حاولنا ان نتحدث عما تتميز به هذه المدينة الخالدة فغيض من فيض ، ولعل الذي يلفت انتباهك ويشدك اليه هو سور المدينة .

سور المدينـــة

يحيط بمدينة دمشق القديمة سور مبني من الحجر الصخري الكبير الذي مازال ماثلا للعيان حتى يومنا هذا . بالرغم من اختفائه خلف البيوت القديمة وهو مستطيل الشكل يبلغ طوله (١٥٠٠ م) وعرضه (٧٥٠ م) وتمتد اضلاعه مستقيمة تماما ماعدا الجبهة الشمالية وهي المشرفة على النهر الذي قام مقام الخندق ، فكان لابد من الالتواءات والمنعرجات ، وكان للسور عدة ابواب للدخول الى المدينة ، وهذا يذكرنا بدخول خالد بن الوليد وابي عبيدة بن الجراح عند الفتح الاسلامي لمدينة دمشق عام (٦٣٥ م) الا ان ابواب المدينة ازدادت عبر التاريخ والدول التي تتالت على هذه المدينة ضمن حقب مختلفة من عمر الزمن فبلغت عددا من الابواب منها : الباب الشرقي ـ باب الفرج ـ بـاب السـلام ـ باب النصر ـ باب الفراديس ـ باب كيسان ـ الباب الصغير ـ باب الجابية .

المسجد الأموي

يقف الجامع الأموي اليوم ناطقا بعظمة العصر الأموي في التاريخ الاسلامي متحدثا عن الحضارة المعمـارية الاسلامية المتمثلة باقامة هذا الصرح الضخم المقام في مدينة دمشق عاصمة الدولة الاموية . ومما يعتز به ابناء مدينة دمشق مسجدهم الكبير لانه المثال الذي احتذاه الكثير من المهندسين المعماريين في الاعصر التي تلت في بناء المساجد الاسلامية . وقصة البداية لهذا المسجد تعود الى ما خامر الوليد ابن عبد الملك الخليفة الاموي من امال ، ومطامح لبناء مسجد يليق بعظمة الدولة ، ويضاهي الكنائس الرومية الفخمة التي تمتلىء بها المدينة فاتفق واولى امر كنيسة القديس (يوحنا المعمدان) الملاصقة للجامع الاموي على ضم ارضها اليه لانشاء الجامع ، وبدا العمل به سنة ٨٧ هـ وقيل ٨٨ هـ (٧٠٦ م ٧٠٧ م) وفق نموذج فريد لامثيل له،واستمر بناؤه عشر سنوات وعمل

فيه حوالي عشرة الاف عامل ماهر يقطعون الاحجار الرخامية الكبيرة ليبنوا الاعمدة الرخامية التي تميزه ، وليرفعوا جدرانه الباسقة الموشاة بصور مناظر الطبيعة بالفسيفساء المذهب ، والاخضر ، والاصفر لتكون لوحات رائعة ناطقة بعظمة الفن الاسلامي،وقد بنى الوليد المنارة المسماة بـ (العروس) وجعل عليها عدداً من المصابيح توقد عند حلول الظلام فتبدو ساحرة بمنظرها الجميل . وقد حكى الجاحظ في كتابه البلدان (قال بعض السلف : ما يجوز ان يكون احد اشد شوقاً الى الجنة من اهالي دمشق لما يرونه من حسن مسجدهم) ولعل هذا المسجد لم ينج من يد الدهر وويلاته فاحترق وتهدم جزء منه ولكن الله قيض لهذه المأثرة الخالدة

من يعني بها ويعيد اليها رعشة الحياة. وصحن المسجد واسع وكبير تتوسطه بركة ماء بغية الوضوء وفى مصلى المسجد تجد الاعمدة الرخـــامية وعليهـــا الاقواس ويتوسط المصلى (ضريـح النبى يحيى (يوحنا المعمدان) وفى وسط المصلى يقطع أروقته الثلاثة رواق مرتفع اطلق عليه اسم النسر تشكل القبة راسه،والرواق القاطع جسمه والاروقة عن يمين وشمال جناحيه وتعرف هذه القبة بـ (قبة النسر) والتى ترتفع حوالى ٣٦ م . ويبقى الجامع الاموى سجلا « تاريخيا حافلا » بفن العمارة ،

ومأثرة خالدة من مآثر الاسلام موحيا بعظمة هذه الامة . وقد ازيلت اليوم جميع الدكاكين المحيطة به والتى حجبته عن السوق وتطفلت على جدرانه ليعود كما كان مشرقا « ورائعا » .

دمشق القديمة

ترتمي مدينة دمشق القديمة فى احضان السور القديم المحيط بها وحول الجامع الاموى الكبير ، وضريح صلاح الدين الايوبى . وقد حافظت احياء دمشق القديمة على نموذجها القديم منذ مئات السنين حتى اكتسبت دمشق شهرة واهمية كبيرتين لانهما تنطقان بقدم هذه المدينة العريقة .

وبيوتها متلاصقة ومتعانقة ، يتكىء بعضها على بعضها الآخر مؤلفا سلسلة طويلة من البيوت العتيقة داخـل ازقة و (حارات) ضيقة متداخلة ، واغلب الظن ان هذه الطريقة فى البناء والتجمع السكنى للأسرة الواحدة ، أو المتقاربة كان نتيجة لتوفير عنصر الحماية فى وجه الطامعين . والحي يبدأ بحارة اختنق الطريق فيها فضاق ، وبوابة فى بدايته كانت تغلق ليلا : ويخترق المدينة القديمة شارعان متوازيان مستقيمان يصل احدهما بين الباب الشرقي وباب الجابية (الباب الغربى) ويطلق على هذا الجزء ســوق (مدحت باشا) حيث تكثر متاجر النسيج والصناعات التقليدية اليوم (العباءات ـ الكوفيات ـ العقل ـ النحاسيات) والثانى يدعى طريق جادة ساروجة طريق الطاحون وهو يلتقى مع طريق بين الحواصل القادم من ساحة الشهداء (المرجة) عند منتصف المسافة بين جامع الجوزة وجامع السادات وكان يطلق عليه (طريق عبيد) وهو يمتد الى الجانب الشمالي من المدينة المسورة. ومازالت الاحياء القديمة محافظة على بعض مظاهرها الجميلة ففيها الحمام والمسجد والسوق مثال : (حمام الجوزة ـ مسجد الجوزة ـ سوق ساروجة) وستجد فى (السبع طوالع اليوم) حمام الملك الظاهر ومدرسة الملك الظاهر (المكتبـــة الظاهرية) وسوق الحميدية شاهداً بارزاً على هذا التجمع والتقسيم . وستجد دروبا ضيقة توصلك الى الاسواق الاخرى وخاصة السوق الرئيسية الملاصقة للجامع الكبير (سوق الحميدية الذى كان فى سالف الزمان خندقا يحمي القلعة من الجانب الجنوبي) وسوق الصاغة وسوق الخياطين،وهذه الأسواق تعج بما تفخر به مدينة دمشق من السيوف التى اشتهرت بصنعها والمحلاة بايات من القرآن الكريم . والنسيج الدمشقى الشهير (البروكار) عدا المصنوعات الخشبية المطعمة بالصدف .

والحمامات المتوزعة داخل هذه الاحياء تثير عجبك،فالماء يتدفق فيها ضمن قناة من بردى وبركة ماء تتوسط الحمام وتحيط بها مصاطب مرتفعة للاستراحة بعد الحمام الساخن ، واخذ كاس من الشاى ، او عصير الفاكهة للانتعاش ، وهو مؤلف من ثلاثة اقسام (جوانى ـ وسطانى ـ برانى) .

والواقع انه لا يمكن لأى كان ان يعرف محاسن المدينة القديمة فى نظرة عابرة تقع فيها عينه على الحمامات ، والمدارس والمساجد ، الا انه يكتشف سحر وجمال هذه المدينة الفاتنة اذا دخل البيت الدمشقى القديم .

البيت الدمشقى

لعل لحمة دمشق القديمة هذا السور المحيط بها ، وسداها تلك البيوت الدمشقية العتيقة التى عانقت السور حينا وابتعدت عنه احيانا لتؤلف عدداً من الضواحى المترامية (الصالحية ـ المهاجرين) ، واغلب بيوت دمشق العتيقة اليوم يعود تاريخها الى العهد العثمانى . وقــد لا يعجبك منظر البيت الخارجى اليوم فهو على غاية من البساطة مكسو بالطين الممزوج بالقش (اللبن) الا انه يروعك ويدهشك عندما تدخل اليه لتجد نفسك فى ساحة كبيرة تتوسطها بركة ماء رخامية مزخرفة تتصاعد فى وسطها نافورة ماء تاتي ضمن نظام بديع من نهر بردى ، وقد تحولت المياه الى ماء عذب نظيف من نبـع الفيجة ، وتتحلق حـول الساحة اشجار الليمون والكباد ، وانواع من الورود والرياحين التى يفوح اريجها فيغمر المنزل ، بعطر فواح رائع . والبيت مؤلف من طابقين تطل غرفه السفلية على هذه الساحة الرائعة وقد تصدرها (ايوان) يرتفع فوق مصطبة صغيرة ، وسقوف المنزل مزينة باجمل انواع النقوش الشرقية البديعة والالوان الرائعة . وهذا القسم معد للسكن الصيفى نظرا لما يتمتع به من رطوبة محببة ايام القيظ . والطابق العلوى مؤلف من عدد من الغرف تداعبها اشعة الشمس الذهبية وتدخل الدفء اليها وتطل على الساحة المكشوفة للدار من شرفات داخلية ، وهو مخصص لقضاء فصل الشتاء وتعورك الطرق الضيقة من خلال بوابات كانت تغلق قديما فى الليل لتحمى اهل الحارة ممن يتطلع للاعتداء عليهم ، الى هذا البيت الدمشقى القديم .

ولكن دمشق القديمة اليوم تعانى الاحتضار نتيجة التوسع السكانى الكبير. وهدر هذا الكنز الذى تتمتع به دمشق وبالرغم من كل ما يبذل من جهود فما زالت المعاول تنهال عليها لترتفع مكانها دور حديثة. وقد انشئت فى دمشق جمعيات هدفها الحفاظ على المدينة القديمة وطابعها الاصيل وغوطتها الغناء ولكن تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن،فحي ساروجة اليوم تلوح فوقه ام المنون وحي الصالحية القديم بدات تغزوه المنازل الحديثة وتاتي عليه فلم يبق منه سوى أطلال تعتصر الفؤاد .

نبيل الســمان ـ دمشق

بقلم: جمال قطب

فتيات البيانو



الفنان الفرنسي رينوار

في متحف اللوفر بباريس يمكنك ان ترى إحدى روائع الفنان الفرنسي اوجست رينوار التي سماها فتيات البيانو، متأثرا ككل الفرنسيين بالقول المشهور :التطور الثقافي في كل أوربا لا تعكسه إلا الموسيقى الفرنسية !

اللوحة رسمها الفنان في عام ١٨٩٢، وفي وقت كان فيه يعتبرواحداً من أهم الفنانين الذين اسسوا الحركة الفنية التي سميت فيما بعد بالتأثيرية .

وكالعادة نجد ان رينوار في هذه اللوحة يهتم ببهجة الحياة وجمال المرأة ورقتها ، فهو لا يؤمن اثناء معالجته الفنية بالنظريات والفلسفات المستترة ، ولكنه يوازن ببراعة بين الواقع والالهام والوجدان فعبقريته الفذة تجعله يقدم لنا اعماله بدون افراط في الرومانسية او جفاف في الواقعية !

لقد رسم رينوار هذه اللوحة وقت ان كانت العاصمة الفرنسية واحياؤها الشهيرة مثل « مونمارتر » و « البيجال » وغيرهما ، تمثل متحفاً يزخر بصنوف الابداع العظيم ، ويلتقي فيها كل الباحثين عن الحداثة والتجديد في الفن !

كانت باريس هي الخلية الابداعية لرواد الفن والشعر والقصة وكافة الآداب الأخرى .. كانت تنتشر في قلبها المنتديات الفكرية والصالونات الأدبية التي أثرت الحياة وجعلت الناس يعيشون عصرهم في نقاش وإبتكار وسمو بالعقل والروح معاً !

وعاش رينوار في تلك الفترة بكل ذرة من كيانه ، رافعاً مع زملائه ـ الشعار البسيط الذي توجوا فيه الفن فوق كل شيء وفضلوه على قطعة الخبز بقولهم : « النبق نبلاء ولنسعد بفقرنا » .. وكانوا لا يعنون هنا بان يكونوا نبلاء على طريقة العصور الوسطى .. ولكن عليهم ان يلتزموا بما اقتنعوا به من اساليب فنية ، وان يدافعوا عنها بشرف ولو كلفهم ذلك : الفقر والضياع والتشرد !

وقد التقى رينوار مع زملائه مونيه ، وبازيل ، ومانيه ، واميل زولا ، وغيرهم في مقهى « الجيربوا » ، وكانوا يظلون في نقاش لا ينقطع مع أهل الأدب والفن العالمي الحديث ، ثم انتقل هذا الحشد من الفنانين والادباء الى حي البيجال ليسير كل منهم في طريقه ، حتى اجتمعوا مرة اخرى في مقهى اثينا الجديدة ، الذي عرفه تاريخ الفن من خلال زبائنه المولعين بجمال الطبيعة ونور الشمس والتعبير الساخن عن الضوء والدفء والحياة !

ومن خلال تردد رينوار على هذا المقهى بدأ يلتقي باشهر تجار اللوحات في باريس واخذ أسلوبه يتطور في التعبير عن الشكل الانساني ، بينما كان زملاؤه التأثيريون منصرفين تماما الى رسم المناظر الطبيعية .

وفي عام ١٨٧٤ اقيم اول معرض للفنانين التأثيريين ، واشترك فيه بالطبع فناننا رينوار ، ليقبل الجمهور عليه بصورة منقطعة النظير ، وليرى بدهشة هذا الفن المتحرر من القيود الأكاديمية والكلاسيكيات المتعارف عليها منذ الأزمنة القديمة .. ومن تاريخ هذا المعرض تزايد عدد المتحمسين للتأثيرية ، وطبعت أثرها على معظم اعمال المرحلة الفنية ، بل وادت ـ فيما بعد ـ الى مذاهب خاصة كالرمزية والوحشية والتكعيبية والتجريدية ثم السيريالية .

كان رينوار يقول الفن في نظره صناعة بارعة قبل كل شيء ، وانه وجد في التأثيرية ما يتفق مع هواه ، كما انه كان يرى ان التصوير فن تصنعه الاشكال والألوان !

وعندما تتامل اللوحة التي امامك سيتضح لك ان الفنان اوجست رينوار اهتم بابراز الحياة الجميلة من خلال المرأة المتدفقة بالحيوية والحسن ، والباعثة للبهجة في الحياة ، فقد كان ينظر الى المرأة على انها شيء سار وبهيج ، فهي مثل الثمار اليانعة او الزهرة المتفتحة أو الطفولة البريئة ، ولذلك كانت معظم لوحاته تدور حول تلك المعاني الجميلة !

وقد رسم رينوار النساء في لوحاته مضفيا عليهن لونا من الجمال الهادىء ، والايحاءات الوجدانية السامية مع ابراز لعالمهن الساحر كرمز من رموز العطاء والالهام الدائم في الحياة ، ولهذا فقد صدق النقاد حينما قالوا عنه انه اروع من تغنى بجمال المرأة وفجر ينابيع البهجة في الحياة !

ولعل اللوحة المنشورة على الصفحة المقابلة ، والتي رسمها الفنان « فتيات البيانو » تعطيك فكرة عن فن رينوار الذي رسم في حياته التي عاش فيها ٧٨ عاماً ، حوالي خمسة آلاف لوحة !

إن مجرد نظرة الى اللوحة ، تجعلك تشعر بجو المكان الذي يعطره سحر المرأة والنغمات الدافئة !

جمال قطب



فتيات البيانو .. لوحة للفنان العالمى اوجست رينوار (١٨٩٢)

الأستاذ الجامعي العربي.. وحاجته إلى الأمن

بقلم: الدكتور كاظم ولي أغا - باريس

بحلول شهر نيسان (ابريل)، عادت الحركة إلى فناء الجامعة، ودبت الروح في ارجائها، فلقد عاد الطلبة من عطلتهم القصيرة في أواخر اذار (مارس). وتهيأ الأساتذة لأداء واجبهم من بعد راحة، وكلهم امل في عطاء جيد ومردود يثمر ... ولكن تبدأ في الافق وشوشات وهمسات .. فلان الغي عقده، فلان جدد له، هل سمعتم بخطة الوزارة في عمل اطر وطنيــــة وانهاء عقود العمل للجميع، إنها في صدد شد الاحزمة على البطون، لتوفير القطع الأجنبي .. فرواتب الأساتذة ترهق الميزانية، وتسبب فيها شرخا كبيرا ...

رايتهم في غرفة الأساتذة، التي تجمع مختلف التخصصات. من كل قطر عربي اتوا، تركوا الاهل والديار. الأرض التي كانت مرتعا لطفولتهم، ومدارج صباهم، ضنت عليهم بالعيش الكريم، والحياة السعيدة، حرمتهم من الفرص المتكافئة، وحقوق المواطنة، احصت عليهم انفاسهم. اعمالهم. اقوالهم. هددتهم في معاشهم، في وقت اصبح الرغيف يحتاج لمن يختطفه والقيمة لمن ملك المال.

قول الحق اصبح تهمة، النقد البناء اصبح جريمة، العبرة والعظة تهديد. ضرب الأمثلة من الماضي والحاضر تجريح. انعدم الأمن في وقت احوج ما يكون فيه استاذ الجامعة إليه. وهو مثقف الاجيال، باني نفوسهم بالعزة والاباء، شاحن قلوبهم بالعقيدة السليمة، والمثل العليا، والافكار المتجددة، التي تهيؤهم للحياة، وتنشؤهم تنشئة صحيحة واعية.

نظرات التساؤل حيرى في عيونهم. ماذا سيكون المصير. ما إن يدخل قادم جديد، حتى يسارعوا في الاستفسار، عن مجريات الامور، لا جديد. الفرمان لم يصدر بعد. ويفتح الباب عن أمين سر العميد يعلن للجميع أن العميد يدعو الاساتذة كل على حدة للاجتماع به.

كان هناك يتصدر مكتبه الضخم، بدت على محياه مخايل الأبهة والعظمة، أو هكذا حاول ان يظهر، فالتعالي والغرور، سمة من سمات البيروقراطية، ونوع من تعويض الذات عما تفتقده وتقصر عن الوصول إليه، وبواسطته يمكن ان تضيق الحلقات التي تفصل بينه وبين اساتذة فاقوه في العمر والخبرة والمعرفة. نفض سيجاره المستورد ونفث حلقات من الدخان واخذ في ابداء الملاحظات في النواحي التربوية والمسلكية ثم قال: هل تريد ان تستمر في العمل للعام المقبل؟ وكان الرد بالايجاب، فلو كان ينوي عدم العمل لكان تقدم بكتاب استقالة ولا شك ان السائل عارف مسبقا فيما إذا كان سيرى الماثل امامه عاما اخر ام لا، لانه هو الذي يوصي الوزارة بذلك.

تبدأ فترة الترقب، وتنتشر الشائعات والاقاويل، ويظل الاستاذ في تحفز، وعدم استقرار، حتى تفرج الادراج عن مكنوناتها ويعرف أصحـــاب اليميـــن من أصحـــاب الشمال، ويؤتى كل فرد من اساتذة الجامعة كتابه بيمينه ام بشماله. ويبدأ طريق البحث عن عمل اخر، مراسلات، كتب، لجان مقابلة، مكاتب توظيف، وتتدخل عوامل كثيرة. يرجع إلى تاريخه الشخصي وسيرته الذاتية، الى اقاويل الناس، وشهادات الشهود، وتزكية المغرضين والمتدخلين. ينبغي ان يكون تاريخه ناصعا ليس له راي في مشكلة من مشاكل الحياة. او هوية يؤكد بها ذاته، او مبدأ عقائدي مهما كان، اتخذه لنفسه طريقا او حتى اسلوبا في التفكير، او الاستهلاك الذاتي يفترض فيه ان يكون إمعة (من ياكل من اكل السلطان ينبغي ان يضرب بسيفه) وهكذا تتضافر تلك العوامل في حجب الثقة او تزكيتها للشخص، وقد تكون الخبرة والقدرة على العطاء العلمي والتربوي في اخر القائمة.

مشهد يتكرر كل عام، وفي كل قطر عربي ما زال في حاجة إلى كوادر علمية (من المحيط إلى الخليج) مع بعض الاستثناءات. اصبح استاذ الجامعة خاضعا للعرض والطلب، محتاجا إلى بطاقة تعريف، وشهادة شهود، بالسلوك الحسن وبالخضوع والانقياد حتى يرضى عنه مخدموه واولياء نعمته. وهو الذي ينبغـــي ان يكـــون في موقـــع التوجيـــه والاشراف والتبصير والتربية، ابي النفس وافر الكرامة، لا يدين بالولاء لاحد، ولا يتلقى الأوامر من احد إلا ما يصدر عن ضميره الواعي، وموضوعيته العلمية التي تناى به عن الخطا والزلل.

وتاتي لوحة ثانية، تلك هي نظرة الناس وتعاملهم معه، فهو الاجنبي الذي جاء ينهب المال بدون عائد ومعهم الحق في ذلك فالعلم أصبح ابخس السلع، والتعليم اصبح مهنة الضعيف. يريدون قطا من خشب يصطاد ولا ياكل. كانما جاء الاستاذ في خدمة عسكرية.

إذا لم ينظروا إلى هذا الضيف القادم إليوم على انه من ابناء عمومتهم، له ما لهم وعليه ما عليهم، بحكم اواصر العشيرة وروابط القبيلة، او بحكم الاخوة في الدين فينظروا إليه، على انه فرد جاء يؤدي خدمة، خدمة مشرفة، ليست كاي من الخدمات، فيها بناء الروح، وتربية النفوس، وصقلها، ووضعها في الظروف التي تؤهلها للتقدم والازدهار، وعليهم تمكينه من ذلك بالتخلي عن نظرة الغرور والتكبر تجاهه، واعطاؤه الحقوق التي لهم او حقا احوج ما يكون إليه. وهو الحاجة إلى الامن، فيه ياكل وبه يعيش وبه يتثقف وبه يكبر وينتشي، وبه ينتج وبه يؤسس ويبني. الحاجة إلى الامن هي اساس عمل المثقف مهما كان، الامن بكل معانيه، الاقتصـــادي والاجتمـــاعي والسياسي والفكري.

قد يقول قائل انت تطلب لاستاذ الجامعة ما لم يعطه وطنه، فكيف تطلب التامين له من الآخرين، ذلك منطق غير صحيح، فليس كل استاذ جامعي مضطهدا في وطنه ولا كل استاذ يعيش حياة غير كريمة في بلده. إنما طلبه لتلك الحاجة نابع من نفس متطلعة دوما نحو الحرية واحساس بقيمة الموقع الذي هو فيه. ولا يعني طلب الأستاذ تحسين احواله المادية والمعاشية وحتى المعنوية، انه طالب صدقة، فاحسن الشعوب وارقاها تستقدم من تشعر انهم قادرون على مساعدتها، كما ينتقل الخبراء من كافة الأمم ليحلوا ضيوفا، مستشارين عند من يحتاجون إليهم. ويجري ذلك بشكل طبيعي وبيسر بعيدا عن الحساسيات التي ارجو ان تبرا منهـــا امتنا لتعود «خير امة اخرجت للناس».

الفراشـــة والعطـــر

شعر: حســن توفيــق

سألتك ألاّ تريقي على الأرض سرّ الفراشةْ
دعيها معَ الليلِ تغفو طويلاً بأحضان زهرةْ
وفي الصبح تصحو لتوقظ أخرى .. تُقَبِّلُ أوراقَها فى بشاشه
وتتركُها في انتظار الصباح المُؤمّلِ دوما رفيقةَ حيره
وتحت أشعة شمس الأصيلْ
تطير لتعكسَ ألوانها الزاهيات على صفحاتِ بُحَيْرهْ
وبعد قليلْ
تحطُّ على ثغر أخرى لتمتصَّ منها جمالَ الرحيقِ وسحرَهْ
وفي الليل .. في الصبح .. عند الأصيلْ
تُعاودُ رحلتَها بين عِطْرِ الزهورِ .. ولا تسأمُ العِطرَ مرّةْ !

* * *

تقول الفراشةُ في الليل .. في الصبح .. عندَ الأصيلْ
هو العطْر عنديَ يجثو .. ويشتاقُ – كالعبد – أسْرَهْ
هو العطر عندي يجثو أمامي .. ألستُ أميرةَ كلِّ الحدائقْ ؟
ألستُ التي ترتجيها الزهورُ جميعا بشوق يؤجّجُ في النفس أعتى الحرائقْ ؟
ألستُ التي ترتجيها الزهورُ .. فتحيا مع الشوق حتي تميلْ
وتحيا خيالي بأعماقها مثل تذكار حبٍّ جميلْ
يُريحُ عن الروح كلَّ أساها .. ويسكُبُ فيها صفاء وخُضْرهْ ؟!

* * *

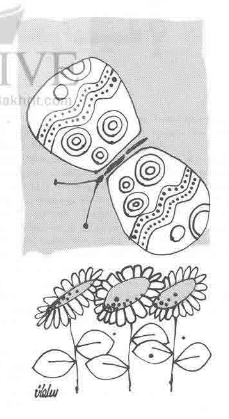
تظلُّ الفراشةُ تزهو بألوانها الزاهيهْ
ولكنها – ياحبالي – تظل تعاني
تسائل أعماقها في بهاء التفتح للسرّ حيثُ تُطلُّ الرؤى صافيه
أكل الزهور سواء لديكِ ؟.. أزهر يفوحُ بأسمى المعاني
كزهر يغير ألوانه ؟!
أزهرٌ يواجهني بالرحيق المراوغ دوماً
كزهر يُفتِّحُ وجدانَهُ
وينثرُهُ في طريقي نسائمَ حبٍّ تطوِّقني في انطلاقي يوماً فيوماً ؟
أأبقى مع الزهر حيرى ... أرفرفُ دون مقرّ ؟
وفي كل ليل .. وفي كل صبح .. وعند الأصيل أعاني ضياعا
أُواجهُ نفسي فأشعر أني موجهة في انطلاقي – برغمي – لأهواء بحر
أُواجهُ نفسي .. فتزداد أوجاعُ روحي اتساعا !!

* * *

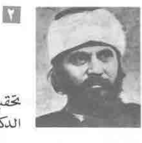
فراشةَ روحي .. دعيني أصومُ عن الكلماتْ
دعيني فقد أرهقَ القلبَ عبءُ انتظار الشروق وعبءُ التقلب عبر الفصولْ
دعيني أخبئْ همي .. وأمضي مع الذكرياتْ
دعيني .. فما عدت أقوى على أن أقول الذى أشتهى أن أقولْ !

* * *

فراشةَ روحي .. أراكِ ابتسمتِ .. فلألأت في القلبِ شمس الصفاء
دعيني إذنْ كي أقول الذى أشتهى أن أقولْ
دعيني أقول أحبُّك في النور رغم تجهم وجه الفضاء
أحبّك سراً ... أحبك جهراً ... أحبك دوما
أحبُّك رغم تقلُّب كلِّ وجوهِ الفصولْ
أحبُّك دوما ... ويزدادُ حُبّي يوما .. فيوماً ...







٢

تحقيق وتعليق:
الدكتور علي شلش

ثلاث وثائق خطيرة عن عصر إسماعيل وتوفيق

وثيقة عمرها ١٠١ سنة

ماذا حدث لتلامذة الأفغاني بعد فشل الثورة العرابية ؟

رحل الافغاني فجاة عن مصر مطرودا ومهانا ، ولكن بقي تلامذته ومريدوه . وياتي على راس هؤلاء من المصريين : محمد عبده وابراهيم اللقاني . اما محمد عبده فقد ازدادت شهرته مع الزمن واصبح علما في راسه نار كما يقول القدماء . واما ابراهيم اللقاني فلم يعد مشهورا ولا معروفا . ولم يبق منه اليوم سوى شارع يحمل اسمه في ضاحية مصر الجديدة التي لم يكن له بها اية علاقة . بل ان احدا لم يكتب عنه بتدقيق او فحص ، حتى اصبحت كتابة تاريخه عملية شاقة بعد مرور هذا الزمن . ولكن الاشارات الكثيرة إليه في تاريخ الصحافة المصرية تقول انه صحفي درس بالازهر وتعرف الى الافغاني بعد مجيئه إلى مصر ، وصار ثاني مريد له بعد محمد عبده . وولاه الافغاني صحيفة « مرآة الشرق » التي ظهرت سنة ١٨٧٨ وتولى تحريرها لبضعة اشهر الصحفي والشاعر الشامي سليم العنحوري . ولما عاد الاخير الى بيروت وانفض عن جماعة الافغاني تولى اللقاني تحرير الصحيفة حتى اصابها التعطيل ثم الايقاف فور طرد الافغاني ، وبعدها تعاون اللقاني مع رياض باشا ثم مع العرابيين حتى انكسرت شوكتهم وحل الانجليز حكاما حقيقيين ومحتلين للبلاد ، فنفوا اللقاني مع كثيرين . ثم عاد في اواخر الثمانينات ليعمل محاميا ، كما عمل سعد زغلول ، حتى مات قبيل الحرب العالمية الاولى .

واذ كان هذا التاريخ مختصراً لا يشفي غليل اي باحث ، فهذه الرسالة التي بعث بها التلميذ الى استاذه تلقي الكثير من الضوء على صاحبها ، وما حدث له ولزملائه ، بل لمصر كلها ، بعد اخماد الثورة العرابية .

سيلاحظ قارىء الرسالة ان اللقاني ذو اسلوب بليغ وعبارة منتقاة . وسيلاحظ ايضا من خلال هذا الاسلوب كيف تمكن الافغاني من قلب تلاميذه وعقولهم على السواء .

ويصور اللقاني ما حدث له ولجماعته ، محمد عبده وسعد زغلول وغيرهما ، من مطاردة ومراقبة على ايدي شرطة الخديو بعد رحيل استاذهم . كما يصور خشية الناس العاديين وانصاف العاديين على انفسهم من هذه الجماعة بعد طرد قائدها ، ومهاجمة الصحف لهم ، ولا سيما « الاهرام » ، التي كانت تمدحهم واستاذهم من قبل ، وتنشر لهم ما يريدون له او عنه . ويشير الى بعض الاحداث التي سبقت طرد الاستاذ ، ومن اهمها خطبته في الاسكندرية ، واثرها في جماعة « مصر الفتاة » التي تكونت بعدها في الثغر من شباب المتمصرين . كما يشير الى رياض باشا ، الذي اصبح رئيسا للوزراء بعد رحيل الافغاني ، ويرى ان عيبه الوحيد هو تصوره ان المصريين ليسوا اهلا للحرية . ومع ذلك ففي عهد رياض اخذ نجم تلامذة الافغاني في الصعود ، ثم تالق نجمهم في عهد الثورة العرابية . فتقدموا في الوظائف وعوضوا الكثير مما فقدوه .

وليس في معظم ما ساقه اللقاني في رسالته اي غموض ، ولكنه يكشف فيها عن سر طريف لم يدرسه او يحققه احد بعد ، حين اشار بشكل عابر الى ان بعض مؤلفات علي مبارك باشا الذي كان من وزراء ذلك العهد ليست من تاليفه . وهي إشارة تستحق الاهتمام في الحقيقة ، ولكن اهم ما في الرسالة هو تصويرها لما حدث بعد رحيل الافغاني .





علي باشا مبارك



سعد زغلول

محمد عبده



رسالة من إبراهيم اللقاني (١)

● أصبحنا بين أهل مصر كالسامري في قوم موسى !

(نص رسالة ابراهيم اللقاني)

من بيروت في ١٥ فبراير ١٨٨٣ الموافق ٧ ربيع الثاني ١٣٠٠ هـ .

إن راسل سواي حظيرة قدس مولاي وانا لم افعل فلا عجب ولا عقوق ، فاني اخص حشم تلك الحظيرة واقربهم إلى قدسها ، فانا اشدهم خوفا من مولاي وابعدهم تصورا لعظمته . وما تصورت غير العجز عن التصور . فكما نزع بي الوجد الى المراسلة غشيني من هذا التصور رعاش عمني هيبة ودهشة ، والعمني ذهولا وغشية ، حتى لا اعقل إلا العجز ، ولا اعي إلا القصور ، ولا أسمع إلا الزجر ، ولا ابصر إلا الحطة ، ولا احس إلا الضعف ، ولا اجد إلا الحيرة . بل هذه كلها كلمات اكنى بها عما يعروني حينئذ من الاحوال كما يكنى بما في الدنيا عما في الجنة . على اني لم انهزم من هذه الاحوال لاول صدمة ، بل اثبت اغالبها واعاني تلطيفها بالالتفات إلى جانب حلم سيدي وسعة كرمه ، فلا يجديني هذا الالتفات إلا الرجاء في غفران ما اراني عند النظر إلى جانب جلاله قد اقترفته من سوء الادب بسبب الجراة على إرادة مراسلة مولى لا تطاول اعناق الحكماء موطن نعله من العلياء ، مولى لا ندري هل يعلم الحكمة ام الحكمة تعلمه ، ولا نفقه من المعنى ومن المبنى منهما ، مولى لا نتحاشى ان نقول فيه إن روح الطبيعة برزت في ثيابه لتهدي عالمها إلى ما تريده من اسرارها ، وترشد ابناءها سبيل التمدن الحق الذي ضلوه وحسبوا انهم سلكوه . فمن انا إذا وماذا اكون حتى اترفع واتطاول تهافتا على مراسلته . وهل لي من العلم إلا ما الهمني إياه ، وهل الهمني إلا ما يلهمه الوالد لطفله من الكنايات التي تلائم ذوق الطفولية كما يكنى له مثلا عن الجذب المنوطة به الكواكب بحبال من نور ، او كما يعبر له عن لذة العلم في ذوق اهله بحلاوة السكر ونحو ذلك مما إذا شب الطفل وبلغ سن الادراك لا يجد بينه وبين المكنى عنه نسبة ما ، وتعقل انه لم يكن متعقلا .

هذه هي منزلتي من مولاي بل منزلة جميع العالم منه . ولن اراني مهما بلغت بالغا حدا يؤهلني إلى مراسلته إلا استفادة واسترشادا ، وذلك ما أردت من الوكتي (٢) هذه . ويعلم الله وسيدي اني ما قصدت بما قدمت حسن تنصل من تقصير او دفع توهم قصور . ولكن وحق المولى يمينا قطع لساني إن حنثت فيها . ما حكيت إلا صدقا ولا ذكرت إلا حقا ، هذا وإن ما اردته فسابسطه بعد حكاية حال يحب مولاي التفكير بذكرها . وها هي بغاية الاجمال ونهاية الايجاز .

لما سلبنا روحنا ورفاقنا حياتنا الحقيقية (استاذنا وسيدنا) اخذ الخوعم الخيعامة (٣) يتربص بنا الفرص لتلاشينا غير مكتف ذلك الهيرع (٤) بما فعل من خنا وخيانة . وكان قد نبه الضابط علينا فوكل بنا عيونا لا تكاد تطرف تراقب ما عسى ان يفرط منا من هفوة او عثرة بها فلازمتنا العيون ملازمة العرض للجوهر ، لا تنفك عنا اينما كنا وحيث حللنا . وقد زاد ذلك في نفور الناس منا ، حتى أصبحنا اجانب منهم وفيهم . وإنما يشار إلينا باطراف البنان بحيث كنا إذا حل احد منا بقهوة انفض جميع من بها تباعا سراعا لا يكاد يلوي احدهم على اخر فتخلو القهوة ويكسد سوقها ، ولا يدري صاحبها ما السبب . وكثيرا ما كنت انا وسعيد (٥) نفعل ذلك لهوا ولعبا ، ثم امتنعنا اشفاقا على ارباب القهاوي من الافلاس . وهكذا اصبحنا بين اهل مصر كالسامري في قوم موسى . واخص بالتسفيه من بينهم كتاب جرائدهم ، ومن كان يبالغ في الخضوع للسيد . فقد كان هذان الفريقان اشد حدة واحد لسانا كانهم يدراون بذلك عن انفسهم شبهة النسبة إلى السيد ، وهذا بصرف النظر عن صاحب الاهرام (٦) ، فهو لا يزال كلما عنت له فرصة يملأ جداول صحيفته بذكرنا لاسيما عند انتصار الانجليز . فقد دندن وطنطن وصرخ وصوت وولول ، ونادى بان جميع ما جرى في مصر هو ثمرة ما بذر جمال الدين وتلامذته . واما كتبة الجرائد الاجنبية فلم اذكر لاحد منهم سوءا إلا لمكاتب «التيمس» الذي كان فيما اظن مدح السيد إثر زيارته له فانه اراد ان يقدح فبحث وفتش على معايب فلم يجد ، وابى إلا الذم ، فرمى المولى بان عيونه كانت تبرق (٧) . ولم ندر ماذا أراد بهذا الوصف . وكانه اعمى فرمى السيد بما هو من اوصاف البصير.

ولا اذكر جريدة الحكومة وما اتت به فقد قامت وقعدت وكرت وفرت وفكرت ودبرت وغاصت في بحار السجع ثم ادركها الكلل فنامت واحتلمت ، ثم تنبهت وتمطت ، ثم تثاءبت وتجشت ، ثم لفظت شيئا لاكته بعد ان قاءته امعاء اوليائها ، ثم كلفت غيرها من الجرائد بان تلوث وجوهها بتلك



الفضلات فابت «مراة الشرق» (٨) إلا الطهارة فعوقبت بالتعطيل ستة اشهر واوعدت بالبحث في سالف اعدادها زاعمين انهم يذكرون لها الوقيعة في الدولة العلية (وماذا كان اسكتهم عما سلف ؟) فاثرت «المرآة» ان تحتجب اجتنابا للشر وتركت أمر الوعيد لله .

وإذا علمنا ما هم يتربصونه بنا احرصنا كل الحرص غير مظهرين المبالاة والاكتراث اخذين باطراف المكر والدهاء والخديعة مع شرف نفس وعلو همة وإباء ضيم غير معتمدين ولا معولين على احد إلا فيما حدث لي عند فراق السيد إذ رفعت في حقي شكاوي عديدة إلى الضبطية ممن كانت «مراة الشرق» تعلن مساويهم . فاول طلب جاءني من الضبطية كان فى غد رحيل المولى ، فايقنت بالشر لجهلي بسر الطلب فبعثني هذا اليقين إلى التوجه إلى موسيو فجري (٩) وعرضت عليه الطلب فايقن مما ايقنت به ايضا وقال لا تخف وإنما استصحب معك أحداً ليعود إلى بخبر ما يحدث لك ، وإياك ان تنزعج او تقول إذا سئلت عن شيء إلا الحق ففعلت كذلك ولكن لما وجدت الطلب لاجل الشكاوي المذكورة حمدت الله وصرفتها بكلمتين ليس إلا . فلم تبلغ الضبطية منى مرجوها .

وهكذا لبثنا ستة اشهر نعاني مقاومة الاضطهاد . وقد ظهر سر مولانا في خلال الستة الاشهر هذه بمظهر عجيب . وذلك ان جماعة اسكندرية الذين ظهر فيهم اثر خطبة المولى (١٠) وهم ال بيت سرسق وقطه وزغيب والمخلع اجتمعوا على القيام باعلاء كلمة السيد والنداء بما كان ينادي به وضموا إليهم عصبة من المسلمين ، وتعاونوا على إصدار جريدة (١١) نصفها عربي والنصف الاخر فرنساوي ينشرون فيها ما جمع السيد عليه كلمتهم في خطبته . فاخذت تلك الجريدة من اول يوم صدرت فيه شهرة لم تاخذها اشهر جرائد اوربا بعد عدة سنين . على انها جانبت التهور والحدة فوق ما يوجبه عليها الادب والاعتدال حتى لقد تهافتت على تسوئتها سائر الجرائد صنيعة شريف باشا فاخرستهم جميعا بما اوجب الثناء عليها وحببهم فيها رغم انفهم . ولم يكن عمل هؤلاء الجماعة مقصورا على تلك الجريدة . بل كانوا دونوا لائحة إصلاح ، وجاء بها وفد منهم إلى مصر ، ورفعها إلى الخديو . وساله عن لسان الجمعية العمل بها فتنغص الخديو من ذلك ، ولكن لم يستطع إلا الاحتمال والصمت . ثم اخذوا ايضا في تدوين لوائح غير تلك بما يرون وجوب إجرائه في القطر ، ولكن من سوء البخت ان رياض باشا الذي كان وقتئذ ناظر النظار يرى ان المصريين ليسوا اهلا لمثل هذه الحرية ، وهي عقيدته التي يعلمها فيه سيدي ، والتي هي عيبه الوحيد فتصدى لتلك الجريدة ، وكلف ناظر المطبوعات الذي كان وقتئذ إيتاليانيا (١٢) ، فاستعصم ، فكلف نفس ناظر الخارجية بذلك ، ففعل على غير العادة . فلم يكن من الجمعية إلا ان رفعوا على الحكومة قضية فقضي لهم . وهموا باصدار الجريدة ثانيا لولا ان المسلمين الذين كانوا في جمعيتهم تفرقوا عنهم ، بل وتصدوا لإيذائهم نفاقا فعجبوا ، وسخطوا ، قائلين إنما نحن نخدم بذلك المصريين ، لا نخدم انفسنا ، إذ ما من احد منا إلا وهو رعية دولة اجنبية ، وفي مامن من استبداد الحكومة المصرية ، وفي غنى عن حريتها . فحيث ابى المصريون الاشتراك في هذه الخدمة فما لنا وهذا العناد الذي ليس لاشخاصنا منه فائدة ، ومن حينئذ كفوا عن مشروعهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم لم تمض علينا هذه الاشهر إلا وقد تنقل بنا الدهر فاحلنا المكانة العليا والمنزلة القصوى ، فتولى الشيخ محمد عبده تحرير الوقائع . وضم إليه إخواننا الطلبة كالشيخ عبد الكريم وسعد زغلول والسيد وفا والشيخ داغر والشيخ محمد خليل . وتولى علي بك (١٣) مظهر رياسة القلم العربي بمجلس النظار ، وتولى هذا الخادم وظيفة الكاتب الثاني بنظارة الاشغال . وبالجملة لم يبق احد من المخلصين فى محبة السيد إلا وقد ظهر شانه وارتفعت مكانته ، حتى اندهش الناس من هذا الانتقال السريع الذي نلناه بعد توقعهم تلاشينا . ما منعهم من ان يقولوا علينا سحرة إلا تحاشيهم من التظاهر باعتقاد السحر المعدود في ذوق المتنورين من الخرافات . وكان هذا الانتقال اوقع في افئدة الناس منا رهبة وهيبة . وحملهم على تعظيمنا وتكريمنا ، ومراعاة الادب باستخدام مجالسنا حتى كنا نضحك من ذلك فيما بيننا إذا خلونا . وانا لا ارى أن ذلك الانتقال هو العلة التامة في تعظيمنا إلى حد بحيث كنا لو حل احد منا بمجلس طاطات له الرؤوس وخرست الالسن وصاغت له الآذان وتحلقت له بقية الاعضاء . وإنما ذلك لسر اثمره بذر غرسه فينا استاذنا وتعهدنا بما اودعه بنا من ماء الحزم فزها وابنع .

على ان خمرة هذا الانتقال لم تسكرنا فتنسينا اخذ الحذر من (خرزنبور) (١٤) اريد توفيقا . إذ كان لم يزل بنفسه منا ما كان اولا . بل زاده تقدمنا حنقا علينا ، واحْتِنَاطاً منا ، وما غل يديه عن البطش بنا إلا ما كان مصابا به في عهد وزارة رياض من انحلال القوة وفقد النفوذ . إذ لم يكن معه مستطيعا حلا ولا عقدا ولا امرا ولا نهيا ، بل حجر عليه فعل ما هو من حقوقه كاعطاء الرتب إلا براي مجلس النظار ، فهيهات هيهات ان تتئم مصر توءما لرياض لو بقيت في يد اهلها .

وقد زاد حذرنا عندما ابتدات الحوادث الاخيرة التي سموها عصيانا فجانبنا الدخول فيها ما استطعنا سالكين طريق من ليس له فى الامر شيء ، زاهدين في الثواب زهدنا فى العقاب ، لا رغبة عن الحرية ولا ضنا بارواحنا فيها . بل لعلمنا بالباعث الحقيقي على تلك الحركة . وجزمنا بضعف القائمين بها ، وجهلهم بما يجب لها ، راجين مع هذا ان نسلم من تمحيص نسبتها إلينا ، إذ لم يكن يحصل بمصر ادنى حركة من هذا القبيل إلا عدوها من آثار استاذنا وتلامذته . ولهذا فاننا حمدنا الله تعالى حيث لم يكن السيد بمصر ايام هذه الحوادث ، وإلا لكان اول محاسب ، فلله الشكر والثناء .

ثم انتهت تلك الحوادث باستوزار عصبتها فاخذوا فى تنقية الوظائف من الغلث القديم ، وانتقوا لها من الشبان من راوه خليقا بها ، فكنا فيمن وقع اختيارهم عليه ، فتولى محمد عبده فوق تحرير الوقائع رياسة قلم المطبوعات الشرقية ، وعربية وتركية وغيرها (وإن لم يعرف غير الاولى) وصار هذا الضعيف (انا) مفتشا بالداخلية ، وسعد زغلول معاونا بها ، فزاد بذلك ارتفاع شاننا ولكن عد ذنبا لنا عند حزب الخديوي . على اننا ، وعلى

● كان الإنجليز يمنعون وصول أهلنا إلينا، ولكن إذا جيء لنا بلباس أو طعام، حمله السجانون إلينا!

الصفحة الأولى من رسالة اللقاني

الخصوص ابراهيم ، لم نخرج عن الحد الذي اوقفنا انفسنا عنده في تلك الحوادث. ولم نتظاهر بالميل مع اي الحزبين . ولم يكن لنا فعل في جريان الحوادث غير ما كان يطلب من الاراء والمشورة . ولم يكن من راينا إلا اجتناب اسباب الحرب والاجتهاد في دفع وساوس المستر مالت قنصل انكلترا الجنرال (١٥) وفي مداهاته ومسالمته واجتذابه .

وقد كان الناس جميعا إلا النزر اليسير سروا بانتهاء الوزارة إلى العصبة المذكورة وصيرورة الحكومة شورويه (١٦) فاخذوا في اسباب إعلان السرور ، فكانوا يتسابقون الى اعداد الليالي لتلاوة الخطب لا للسكر والطرب ، واكثر ما كانوا يعولون في الخطابة على تلامذة السيد ، إلا اننا كنا نروغ ، ونحاول الخلاص من ذلك ، فلا نجد مفرا ، خصوصا وقد كان الوزراء هم الذين يندبوننا غالبا إلى ارتقاء المنابر فنمتثل ، ولكن لا نخرج فيما نقول عن حد الاعتدال

فطار بذلك صيتنا ، واشتهر امرنا ، فعدوا ذلك لنا ذنبا ثانيا ، وتم اعتقاد حزب الخديو باننا من حزب العصاة .

ثم استفحلت الحوادث بدسائس مالت . وسقطت تلك الوزارة ، وال الامر إلى مفاجاة انجلترا بضرب مصر ضربا لا يسوغه قانون ولا ترضاه عوائد المتوحشين ، فضلا عمن يدعون التمدن . ثم انجلت الحرب عن هزيمة المصريين بدسائس الخديو وسلطان باشا ، فاخذت الحكومة في القبض على رؤوس العصبة ، واعداد المشانق لهم ، ظنا من الخديو انه سيكون حرا فيما يريد وينتهي ، وان الانجليز ما بذلوا مالهم ، واراقوا دماءهم إلا لتاييد جنابه حقيقة عشقا فيه وشغفا به لتنال وبكتوريا (١٧) من حسنه وجماله ما قضت عمرها في تمنيه منه ، ولكن ما أنْبَهَهُ وما اذكاه ، فقد فهم اليوم انهم ما جاءوا إلا لتقييده لا لتاييده .

وقد كنا ضمن الرؤوس المقبوض عليهم فدخلنا السجن جازمين بالقتل ، ولكن وايم الذمة ما نبضت لنا فريصة ولا خفق لنا قلب ولا شابنا انزعاج الا ما دخلنا من الاشفاق على تيتيم اطفالنا . على ان الانجليز لم تدعه يتمكن من الانتقام والتشفي ، وانما جارته على هواه إلى ان احتلت انحاء القطر وتغلغلت في احشائه ، وتمكنت من القلاع والحصون والثغور . وجمعت جميع ما في القطر من انواع الاسلحة ، ثم تظاهرت برايها من انه لابد من المحاكمة ، ولا رافة منها ، استغفر الله ، ولكن استحالة للافئدة بما توهمه بهذا الفعل من انها عادلة منصفة ، وجعلت للخديو بسلامته نصيبا من هذا الاتهام ، اذ بنته على اوامره ليقال عنها انها ايدت رجلا عادلا . وحينئذ شكلوا من المجالس ما شكلوا وجمعوا رايهم على محاكمة الاشقى فالاشقى ، فاحصوا اولي الدرجة الاولى من الشقاوة بحسب انتقاء الخديو ومن بحاشيته من الصغار ، ونقلوهم من سجن الضبطية إلى محل اخر اعدوه لسجنهم . وزعموا انه على نمط سجن الاشقياء في اوربا . وما اظنهم صادقين في زعمهم هذا ، والا لكان حكام اوربا افظ الناس واغلظهم واقساهم واخشنهم قلبا . فاني كنت محسوبا من ارباب هاته الدرجة ، وسجنت في هذا السجن خمسة اشهر إلا



اياما . وها انا اصف لمولاي على ما هو عليه بلا زيادة ولا نقصان ويقيسه إن شاء على ما هو مشاهد له الآن في فرنسا .

هو عبارة عن حجرة ليس بها متنفس إلا منفذ صغير مما يلي السقف ، عليه شباك من حديد ضيق الابعاد جدا ، يليه منسوج من سلك لا تزيد مسامه عن مسام الخرقة ، بحيث لا يكون الضوء في تلك الحجرة عند محاذاة الشمس لذلك المنفذ إلا بمقدار ما يرى الانسان أن يضع قدمه . وفي تلك الحجرة رطوبة لا يمكن اتقاؤها ولا اتقاء ما يصعد عنها من الروائح الكريهة التي اثرت ببصري تاثيرا لم يزل بي حتى الآن . ثم هي لا تفتح لا ليلا ولا نهارا إلا لحظة عند الصباح ولحظة عند المساء لقضاء الحاجة على انهم لا يمكنوننا من قضائها على وجه الصحة . بل كانوا يستحثونا ، وربما دخلوا المرحاض وانهضونا رغما ، ولذلك كنا كثيرا ما نضطر إلى قضائها داخل الحجـــرة وكـــانوا يحظـــرون علينـــا الاستصباح وتناول الدخان ومطالعة الكتب وتلاوة القران والكتابة . فكانوا يمنعون وصول شيء من اسباب ذلك الينا ، وعلى الخصوص إن كان جرنالا . ولزيادة احتياطهم كانوا كل يومين ياتوننا فيفتشوننا تفتيشا مهينا خوفا من ان يكون قد وصل الينا شيء من المحظور علينا ، مثل كبريت او ورق ولو ابيض ، ثم ينفصلون عنا بعد ان يوسعونا إهانة وتهديدا وايعادا بالقتل والسلب ، ونوسعهم تجلدا وثباتا . وكانوا ايضا يمنعون وصول اهلنا وخدمنا إلينا . وانما إذا جيء لنا بطعام او لباس من قبل اهلنا حمله السجانون إلينا ، من غير ان نرى من جاء به او يرانا . وربما جهلوا صاحب الشيء فاعطوه لغيره ، وهذا بعد ان يتناولوا منه لانفسهم ما يشتهون ويعطوننا الباقي كصدقة يطرحونه من بعد فيكسر من الأواني ما يكسر ، ويتلوث من الثياب ما يتلوث ، وتنال الأرض من الطعام نصيبها .

هذا هو مجمل اوصاف السجن فهل هو كذلك في اوربا ؟ نعم . كان يستطيع تلطيف هذه الشدة من يبسط يده بالبذل . فقد تحصل بعضهم على العلبة من الكبريت بليرا انجليزية (١٨) فكم يكون ثمة غيرها من انواع التلطيف . وقد تحصل محمد افندي الصدر على دواة وقلم بثلاث عشرة ليرة . وعلى هذا القياس يا سيدي ، وهو قياس ينتج ان مثلي عانى الشدة طول المدة ولم يستطع إلى التلطيف سبيلا . وما هي بالمدة القصيرة ، بل خمسة اشهر إلا اياما .

على ان الانجليز كانوا عينوا مفتشين منهم للسجون يمرون علينا مرة كل اسبوع يسالونا عن احوالنا ، وعما عسانا نشكو منه فكنا نكتم عنهم حقيقة الحال إلا ما يضر بالصحة ، مخافة ان تقع شكوانا إلى مسامع الخرنوص (توفيق) بواسطة السجانين الذين هم من اعوانه ، فلا يعدم حيلة إلى إيذائنا ، وما ذلك إلا لانقطاع اخبار الخارج عنا ، وجهلنا بما هو عليه من الضعف وسقوط المنزلة ، وإلا لكنا تخلصنا من هول تلك الشدة غير مكترثين بما كان يصل إلينا من التهديد والوعيد . ولكن ما هي حيلة الجاهل الذي ما عرف حلول العيد إلا بتوالي إطلاق المدافع اربعة ايام في كل وقت من الأوقات الخمسة .

وما كان لنا مؤنس في السجن إلا تعليل النفس بقرب حلول دورنا في المحاكمة ، ولا مسامر إلا هواجس الخاطر بما نداقع به عن انفسنا وقت المرافعة ، فكانت تسر وتنشرح من هذه الخواطر وتمنى ذاتها اماني عديدة من الغلبة وكسب الشرف والفخار في مقام المحاكمة وطلب عوض ما لحقها من الاهانة والضرر والخسارة إلى غير ذلك من الاماني التي كانت كانها بين ايدينا ثم استيقظنا فلم نجدها ، وذلك انهم راوا المحاكمة تودي إلى إهانة القمهد (توفيق) بوقوفه صغيرا ذليلا في مقام المرافعة والى القاء المسئولية بتمامها على عاتقه ، وهذا يدلي الى فضيحة الانجليز بتاييدها ولدا درقما (١٩) مثل هذا ، فاحبت ان تتلافى هذه الفضيحة من وجه ، والخديو تواقع وترامى على اللورد دوفرين (٢٠) من وجه اخر فبتت المسالة على وجه سياسي لا وجه قانوني . وكانت قد تواطات مع عرابي ورفاقه على بت المسالة بهذه الطريقة فادعى المجلس ان عرابي وستة معه استحقوا القتل ، وان الخديو تنازل إلى النفي المؤبد ، وفوضوا امر باقي المسجونين إلى راي الخديو فاطلق من اطلق ، وجرد من جرد ، ونفى من نفى ، كل ذلك بالاستبداد والهوى ، لا بالتحقيق والانصاف .

وكنت انا والشيخ محمد عبده في ضمن من حكم عليهم بالنفي ، كل منا ثلاث (٢١) خارج القطر المصري ، بعد ان كان محكوما علي بتسع سنين ، وعلى الشيخ محمد بعشر سنين في توكر وهي بلد بالسودان فوق مصوع ، وسر هذا التخفيف جدال وقع بين سعادة العلامة الفيلسوف علي مبارك باشا وبين شريف باشا . اما سعادة الاول فكان حاول نفينا الى حيث لا نتمتع بالحياة ولا نعود جزاء إحساننا عليه وتصنيفنا له التصانيف التي يتيه بها على العلماء فضلا عن الذوات من غير ان ننال منه على ذلك ثوابا إلا الراتب الذي كنا ناخذه من الحكومة في نظير عملنا بها ، وكانه اشفق ان نتم بانتحاله تلك التصانيف في يوم ما من الايام ولو بعد موته فيضيع صيته الباطل سدى ، فاراد ان يعجل بفقدنا فطلب ان ننفى هذا النفي القاطع للحياة . واما سعادة شريف باشا حفظه الله فكان يحاول إطلاقنا . ولا صلة بيننا وبينه البتة ، فلا ادري ما الذي بعثه على المدافعة عنا جزاه الله خير الجزاء . فقد كانت مدافعته سببا لتلطيف الحكم ودفع الأذى الذي اراده بنا علي مبارك لعنة الله عليه .

وفاتني ان اذكر لمولاي انهم ساووا في السجن بين تلامذته ورؤوس العصبة ، اي عرابي وباقي السبعة الذين استحقوا القتل فافردوا كلا منا في سجن على حدته ، وزادوا في التشديد عليه فوق ما عاملوا به عامة المسجونين . ولو كان الامر بيد اليعو (توفيق) لا مستفتح بقتلنـــا كـل من يـود الانتقام منهم ، ولكن الله سلم .

ثم بعد الحكم علينا اخذوا يحذفوننا جماعة فجماعة إلى حيث ما يريده كل شخص من الجهات . فلما جاء دور الجماعة الذين كنت محذوفا معهم ، ونقلنا الى سجن الاسكندرية يتربصون بنا ميقات سير الوابورات (٢٢) ، رايت في السجن رجلا اعجميا طويل اللحية عليه سيماء المرض اقبل يسلم على سلام الاخصاء مع هشاشة اعرفها وبشاشة لي عهد بها وان مازجها تململ المريض وتاوه المظلوم فتاملت طلعته وذهلت ، وغبت عن وجودي فاني وجدته ابا تراب . اوليس اني خليـــق بتلك الدهشة ؟ كيف لا وهي فرصة لو فاجات الحجر الصلد لذاب ماء او طار بخارا . ثم بعد ان وقفت منه على ما فصله لمولاي

ومولاه حمدت الله على مصيبته قدر حمده على مصيبتي . إذ كانت مصيبة كل فائدة لصاحبه . اقل ما في ذلك زوال وحشة الانفراد .

هذا موجز ما كان مما يتعلق بنا بعد فراق سيدنا . وقد اضربت عن حوادث

● كنت أنا والشيخ محمد عبده ضمن من حكموا عليهم بالنفي وكان السبب جد الأوقع بين العلامة علي مبارك وبين شريف باشا!

كثيرة جرت في خلال ذلك . وكنت قيدتها واحدة فواحدة . فاستوعبت مجلدا لطيف الحجم . وادخرته على نية ان ادفعه فكاهة إلى سيدنا عندما يسعدني الاتفاق بلقياه . فانني كنت ولا ازال امنى النفس برؤيته عاملاً على بلوغ هذه الامنية مادمت حيا . فاني وحقه لا ارى الحياة إلا بخدمته . وهذا المجلد كان قاصرا على ما جرى من عهد فراق السيد إلى مبدأ الحوادث الاخيرة المسماة عصيانا مستفتحا بذكر السيد ومناقبه وما فعله بمصر من المواهب ، وما تركه بها من الآثار التي ما خدم بها الاسلام احد قبله ، والتي لا يقوم عليها إلا الحقيقة المحمدية . واما ما جرى من ابتداء الحوادث الاخيرة الى ليلة القبض علي فقد افردتها بالتقييد ، وعنيت بها عناية المؤرخ الناقد على قدر ما وصل إليه حولي حاكيا لكل حادثة منها على ماظهر واشتهر ، ومردفا لها بما بطن من امرها واستتر على ماينبغي من الضبط والدقة، وما يوجبه النظر فيها من التجريح والتصحيح والتخطئة والتصويب ، فاستوعبت هذه الحوادث ايضا مجلدا اعظم حجما من الاول . وادخرته كذلك ليكون لي إذا راق مولاي اثرا وذكرا . غير ان الظلم يا سيدي لا يبقي ولا يذر ، فانهم ليلة ان قبضوا على اقاموا على المنزل غفرا (٢٣) محافظة على ما فيه إلى ان يهاجموه ويضبطوا ما يضبطونه منه كما فعلوا بمنزل الشيخ محمد عبده من قبل بليلة . إذ ضبطوا جميع ما به من الاوراق ، فاوعزت الى اختي عندما وقفت على نيتهم في ليلة القبض ان توارى سائر ما عندي من الورق إلا ما كان منها مجلدا مطبوعا . فلم تتمكن من فعل ما اوعزت به إليها ، فان العسكر الذين كانوا غفرا على المنزل منعوا خروج كل شيء بل منعوا خروج احد من اهل المنزل ، ودخول احد اليهم . ولهذا فلم تجد بدا من طرحه في المرحاض فذهبت ذكراي فيما لا يذكر .

ها انا قد بسطت ما اردت بسطه من حكاية حالنا ، فلاعرض على مولاي ما اردته بهذه الالوكة . قد قضى علينا السجن ببيع امتعة منازلنا حتى الغطاء والوطاء لسد الرمق باثمانها ، فلم ينقض السجن إلا وقد نفد جميع ما لدينا ، فتخيرنا ان ننفى إلى بلاد دولتنا رجاء أن نجد بها ملجا ، ونصادف فيها مخلصا فنحصل على ما يقيم اودنا الى ان يقضي الدهر بما هو قاض تاركين امر عيالنا في مصر إلى الله دفعل بهم الصدفة العمياء ما هي فاعلة ، فجئنا بيروت ، فلم يستقر بنا المقام حتى امرنا بالخروج منها وان لا نطأ ارضا للدولة العلية مطلقا ، فحرنا في امرنا ، وحملنا الاضطرار على استرحام الباب العالي على النحو الذي فصله ابو تراب لسيدي . فاذا لم يستجب الباب العالي دعاءنا فما هي الحيلة ، وماذا نصنع واين نذهب ، ولسنا على شيء يؤهلنا إلى قصد اوربا ولا عندنا من الثروة ما يساعدنا على المقام فيها ، وما سالنا سيدنا هذا السؤال طالبين منه الجواب إلا لانه هو السبب في ظهورنا وافتتاح بصائرنا . وقد كنا اولا نسبح في بحار الغفلة متلذذين باوهامنا ، متنعمين بخرافاتنا ، نقرا وردنا وننام ، ولا علينا ولا لنا ، فجئت واستنقدتنا من هذه الاوهام ، واستخلصتنا من الخمول ، فاحييت لنا بذلك احساسا كان فاقدا منا ، وشعورا لم نكن نعهده فينا ، فصرنا نتالم من كل ما لا يلائم هذا الاحساس ونتاذى من كل ما لا يجانس ذلك الشعور ولا شيء في مصر مما يلائم هذا او يجانس ذاك . فنحن على الدوام في الم وتململ . وانت انت السبب في ذلك (وعجيب اننا لا ننفك نشكرك على ذلك عوضا عن ان نشكوك) فعلى سيدنا ان يهدينا السبيل الذي نسلكه فيما نزل بنا من المصاب . واسال الله ان يهدينا سبيلا يوصلنا الى الاجتماع بمولانا حفظه الله . هذا واني اختتم هذا الحديث بلثم اعتاب مجلسه . غرس فضلكم

ابراهيم اللقاني

هنا تنتهي رسالة ابراهيم اللقاني الذى يضيف إليها بعد توقيعه عليها هذه السطور :

حضرة الشيخ محمد عبده حضر تحرير هذه الالوكة وسالني ان ارفع فيها إلى سيدنا ما هو واجب عليه من تقبيل اقدام ولثم راحات وغير ذلك مما يكفيني مؤنة ذكره علم المولى بحال تلامذته .

وإذا شاء السيد ان يتفضل على خادمه ابي تراب او عبده ابراهيم بشيء من الكتابة فليكن عنوانه باسم السيد عبدالقادر افندي القباني مدير جريدة ثمرات الفنون .

علي شلش

في العدد القادم

ابراهيم المويلحى ومغامراته السياسية في أوربا

هوامش

١) قال عنه رشيد رضا إنه « يعد المريد الثاني للسيد جمال الدين » أنظر تاريخ الأستاذ الإمام ج ١ص ٢٧٤ . وكان اللقاني تلميذاً في الأزهر أثناء وجود جمال الدين في مصر . ثم أصبح صحفيا وشاعرا ومحاميا . تولى تحرير صحيفة « مرآة الشوق » ثم سجن ونفي مع محمد عبده بسبب الثورة العرابية .

٢) الألوك والألوكة في القاموس تعني : الرسالة .

٣ ، ٤) كنايات تسفيه يقصد بها الخديو توفيق .

٥) سعيد البستاني .

٦) سليم تقلا صاحب امتياز جريدة الأهرام وجريدة الوقت .

٧) أي تتقد بالذكاء .

٨) صحيفة مصر، أصدر الافغاني ترخيصها عام ١٨٧٨ وتولى تحريرها سليم العنحوري حتي العدد ١٦ ثم تركها عائدا الى الشام فتولاها اللقاني .

٩) موظف بوزارة الداخلية .

١٠) خطبة للأفغاني ألقاها في زيزينيا برمل الاسكندرية في جمع من النساء عام ١٨٧٩ ، وبعدها جمع أنصاره ألوفا من الفرنكات وزعت بأمره على الفقراء كما ذكر عنحوري . أما هذه الجماعة فكانت من المسيحيين الشوام واليهود مع أقلية مسلمة .

١١) جريدة « مصر الفتاة » صدرت في الاسكندرية عام ١٨٧٩ .

١٢) يقصد أيطاليا .

١٣) جميع هذه الاسماء كانوا تلاميذ ومريدين وأصدقاء للأفغاني .

١٤) اسم آخر من اسماء التسفيه للخديو توفيق .

١٥) يعني : العام وكان القنصل هوادوارد ماليت .

١٦) يعني : ديموقراطية نيابية .

١٧) يقصد الملكة فيكتوريا .

١٨) يقصد : بجنيه أنجليزى .

١٩) اسم تسفيه للخديو يعني : لاطائل منه .

٢٠) كان سفير انجلترا في الآستانة وقتها . وقد أوفدته حكومته إلى مصر بعد هزيمة الثوره ووقوع الاحتلال لوضع نظام أساسي للحكومة المصرية . ولبث بمصر فترة وضع خلالها تقريره المشهور الذى طالب فيه باستبعاد الحكومة الدستورية لعدم أهلية البلاد لها ، وتخفيض الجيش ، وزيادة الشرطة ، وإلغاء مجلس النواب ، الخ .

٢١) يقصد ثلاث سنين وقد نسي كتابة الكلمة فيما يبدو .

٢٢) الوابورات : البواخر .

٢٣) خفراء

- ماركيز والموضوع الواحد في كل العمر
- ما هو موضوع الكاتب ماركيز في كل رواياته؟
- هل قتل سانتياغو نصار في رواية "قصة موت معلن" لأنه عربي؟!

بطل عربي في رواية من أمريكا اللاتينية

القتيل عربي.. فمن القاتل؟

بقلم: سليمان الشيخ

فى مقابلة اجرتها مجلة « لوبوان » الفرنسية مع الكاتب الكولومبى غابرييل غارسيا ماركيز الذى حاز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٢ ، اختزل فى عدة كلمات ما يمكن ان يبذل الناقد عدة ايام واسابيع من جهد البحث والقراءة والمقارنة للوصول الى النتيجة نفسها : « ان الروائى لا يكتب غير كتاب واحد فى حياته ، وتصدر له مجموعة كتابات تحت نفس الفكرة ، ولكنها تحمل عناوين مختلفة » .

فلو حاولنا تطبيق النتيجة السابقة على روايات ماركيز نفسه ،فاننا سنجد انه لم يكن يخص فى كلماته السابقة تلك اى روائى آخر غيره ، او على الاصح فان النتيجة التى اعلنها كانت مستقاة من واقع تجربته هو ، وليست نابعة من دراسة تجربة غيره .

والفكرة التى كانت محورا فى جل كتابات الروائى ماركيز تمثلت فى درس نماذج معينة من الناس فى وحدتهم وعزلتهم ، لا لأن اشهر رواياته حملت هذا الاسم « مائة عام من العزلة » ، بل لأنه جعل موضوع العزلة شغله الشاغل فى روايات اخرى غير تلك الرواية التى اشرت اليها .

فاذا كان قد عزل قريته (ماكوندو) ، ووضعها على مشرحة وعيه الذى اطلق له العنان للرجوع الى ارض الذاكرة البكر ، والوجدان الشعبى المتاكسد بتكوينات اسطورية بدائية ، وسلسل عائلة بوينديا ، وسجل تعاقب اجيالها وصولا الى الانقراض او العزلة ، ثم كرر ذلك الموضوع الاثير لديه « العزلة » فى روايات اخرى مثل : « لا احد يكتب الى الكولونيل » ، « حكاية بحار غريق » و « عاصفة الاوراق » و « خريف البطريرك » وغيرها ، بل انه كرر واعاد إحياء بعض الشخصيات الواردة فى روايته الاولى « لا احد يكتب الى الكولونيل » . وفى روايته المشهورة « مائة عام من العزلة » ووزعها بنفس الاسماء والملامح ، واحيانا جعلها تلعب الدور نفسه فى رواياته وقصصه اللاحقة .

واخر رواية صدرت للمؤلف فى هذا المجال حملت اسم « قصة موت معلن » وصدرت سنة ١٩٨١ ، وتمت ترجمتها فى العام نفسه الى العربية .

وقبل الدخول فى اجواء الرواية فاننا نسجل التالى :

ان ماركيز فى رواياته يدرس شخصياته جيداً ، ويغوص فى دواخلها ، ويستبطن ماضيها ، ويوفر لها تفصيلات حياتية يخلط فيها الواقعى بالغرائبى بالاسطورى ، ويجعل للمصادفة وما هو غير مالوف او معقول دخلا فى ترتيب الاحداث ومسارات الحياة .

واخر منعزل او منقطع علق المؤلف حياته بحبل المصادفة كان شابا عربيا فى الواحد والعشرين من عمره اسمه « سانتياغو نصار » فى رواية « قصة موت معلن » التى صدرت عن دار الحقائق فى بيروت من ترجمة صالح علمانى .

وهو فى هذه الرواية اتبع اسلوبا خالف فيه اساليب معظم الروائيين الذين يجهدون فى التخطيط للاعلان عن ذروة الرواية ، وحل عقدها فى نهاياتها .

اما هو اى ماركيز فانه اباح سر الرواية فى عنوانها ، ثم كرره فى السطور الاولى منها :

« فى اليوم الذى كانوا سيقتلونه فيه » ص ٧ .

ولكن لماذا كانوا سيقتلون سينتاغو نصار ومن هم ؟ .

ولماذا كان معظم سكان القرية يعرفون ان سانتياغو سيقتل ؟ ولماذا لم يفعلوا شيئا كى يحولوا دون ذلك ؟؟

اعترف بداية ان كاتبا عربيا كبيرا استفزنى لقراءة الرواية والنبش عن سبب قتل سانتياغو نصار قبل حصول ماركيز على جائزة نوبل .

وما استفزنى اكثر ان الكاتب المشار اليه خرج بنتيجة قالها لى وعلامات التشفى والاحتقار تقطر من بين ثنايا كلماته وتعابير وجهه ويديه ! « تصنعون هالات الدعاية والتقدير لكاتب عنصرى يعادى العرب » !!

سالت : .. كيف ؟ . لقد قرات معظم ما وصلت اليه يداى من كتب مترجمة للمؤلف ، فلم اجد ما تشير اليه فى كتاباته اضافة الى ان مواقف الكاتب وتصريحاته المنشورة لم تش مطلقا بما تشير اليه .

بقيت نفس التعابير على وجه الكاتب العربى وقال : اقرا رواية « قصة موت معلن » وستجد ما اقوله مجسدا فيها !

اندفعت لقراءة الرواية بعدها مستعملا كل حواسي ومداركي لرصد النتيجة التى توصل اليها كاتبنا العربى .

وكما كشف ماركيز سره وسر بطله فاباحه ثم اهدر دمه ، وتحايل على الظروف ولجا الى المصادفات الغريبة وربما المفتعلة كى يودى بحياته . فاننى انا بدورى ساقوم بكشف سر عملية القتل فى هذه السطور الاولى من عرض الرواية .

لقد قتل سانتياغو نصار ابن المهاجر العربى ابراهيم نصار لاجل حادثة شرف اتهم بها اتهاما ، وانتهت الرواية بقتله دون قطع الشك باليقين بان سانتياغو هو حقيقة مرتكب (جرم) الاعتداء على شرف الفتاة انخيلا فيكاريو .

وقد تم اتخاذ قرار القتل من قبل شقيقي الفتاة بتحريض من امهم بمجرد اعادة الفتاة من قبل عريسها بياردوسان رومان بعد ان مكثت فى بيته خمس ساعات فقط ، اكتشف فيها انها ليست عذراء .

وعندما سئلت عن المعتدى

اجابت مباشرة : انه سانتياغو نصار !

ماركيز

فلماذا اختارته هو بالذات من بين شبان القرية كلها ؟.. خاصة وان (احدا لم يصدق ان يكون الفاعل هو سانتياغو نصار) كما ورد فى صفحة ٧٩ من الرواية .

وقد لجا الكاتب الى تقليب شتى الاحتمالات - على لسان الراوى - ومنها هذا الاحتمال :

(والرواية الاكثر انتشارا ، وربما الاكثر شرا هى التى تقول بان انخيلا فيكاريو كانت تتستر على شخص تحبه فعلا ، وقد اختارت سانتياغو نصار لانها لم تفكر ابدا بان يتجرا اخواها عليه) ص ٨٠ .

والراوى الذى يذكر لها هذه الرواية وهذا الاحتمال . يفاجا بانها . وبعد ثلاث وعشرين سنة من ارتكاب الحادث تقذف بوجهه بالجواب التالى :

(لا تفكر اكثر بهذا الموضوع يابن خالتى لقد كان هو) ص ٨٠ .

الا ان الراوي يدحض هذا الاتهام فيما بعد على لسان القاضى الذى حقق فى القضية فقال :

(لقد كان يرى ، مثل اصدقاء سانتياغو نصار المقربين ، بان تصرف هذا الاخير فى الساعات الاخيرة من حياته هو دليل قاطع على براءته) ص ٨٨ .

ويرصد الكاتب الدقائق الاخيرة من حياة سانتياغو التى ترد فيها التحذيرات بمقتله المحتم ، حتى يصل الى العربى الاصل ناهير ميغيل ، والد خطيبته فلورا ، الذى يخبره بان اخوي الفتاة يبحثان عنه لقتله ، فما كان من سانتياغو إلا ان (شحب لونه) ص ١٠٠ . ويؤكد له ناهير :

انت تعلم ما اذا كانوا محقين أم لا . وعلى كل حال ، لم يبق امامك الآن سوى احد امرين : اما ان تختبىء هنا ، وهذا البيت كبيتك ، او تخرج ببندقيتى) ص ١٠٠ - ١٠١ .

الا ان جواب سانتياغو جاء مشبعا ببراءة ذاهلة :

(لست افهم شيئا مما تقول) ص ١٠١ .

ثم خرج بعدها .

فهل خروجه جاء نتيجة انقياده لكبريائه فى إثبات عدم الخوف وعدم التراجع ؟ ام نتيجة لتشوش البراءة وذهول الضياع الناتج عن سوء التقدير ؟ مهما كانت التقديرات ، فان الكاتب كان مصرا على قتل سانتياغو نصار ، حتى ولو اضطره السياق الروائى الى اختلاق مصادفات غريبة ينقصها التبرير الكافى .. وكمثال على ذلك :

مصادفات

عندما طلبت كوتيلدى ارمينتا ، صاحبة الدكان المطل على طريق ذهاب واياب سانتياغو ، من انداليثيو باردو اللحاق به وتحذيره ، فان احد الاخوين كان فى نفس الدكان قال له :

(لاتزعج نفسك ، ويمكنك على كل حال اعتباره ميتا) ص ٨٩ .

ويتكرر هذا التبشير (القدرى) فى كلام نفس الاخ عندما قيل له ان سانتياغو يحمل سلاحا .. فقال :

(الموتى لا يطلقون الرصاص) ص ٩٥ .

وحتى ديفينا فلورا ، ابنة الخادمة فى بيت سانتياغو نصار ، فان الراوى سجل احاسيسها فقال : (وقد خافت كثيرا عندما امسكها من معصمها بيد احست انها باردة ومتحجرة كيد ميت) ص ١٥ .

فاذا اضفنا الى القدرية السابقة توفير

كل الظروف واحيانا افتعالها وقسرها كى يلاقى سانتياغو حتفه . كعدم اتخاذ كل الجهات المعنية من سلطات دينية ودنيوية (القس ، العمدة ، الأفراد العاديين) الاحتياطات اللازمة لحماية سانتياغو من نهاية القتل الحتمية ، الى درجة اوصلت الراوى الى الاعلان الصريح عن مسؤولية ناس القرية جميعهم عن ارتكاب الجريمة :

(يمكن ان نكون جميعاً مذنبين فيها) ص ٧٢ .

مع ان الجميع ، او على الأصح ، معظم الجميع ، كانوا على علم بنوايا الاخوين ، وكان بينهم من يملك سلطة منع الجريمة ، خاصة وان الاخوين لم يتركا احداً شاهداه الا واخبراه عن نيتهما ، وبينا له سلاح الجريمة .

فما هو سبب الاصرار من قبل الكاتب على قتل سانتياغو ، خاصة وانه لم يتم التاكد والقطع النهائى بانه هو المعتدى على شرف البنت ؟

هل نعيد الامر الى ماذهب اليه الكاتب العربى ، اى الى موقف عنصرى من قبل ناس القرية ضـــــد العـــــرب ممثلين بسانتياغو ؟

إن هذا السؤال تدحضه عدة مواقف من قبل عدة شخصيات فى الرواية وفى القرية .. فقد وقفوا فى صف سانتياغو بالرغم من ان اصولهم العرقية لا تمت الى العرب بصلة .. كمواقف مارغوت اخت الراوى ، وامه ، وصاحبة الدكان كوتيليدى ارمينتا ، التى لم تترك احداً الا واخبرته عما ينتويه الاخوان ، وكريستو بيدويا صديقه الذى لازمه حتى اللحظات الاخيرة قبل موته وغيرهم .

ويدحضه ايضا الحديث التقريرى الذى ورد فى الرواية عن العرب ، وكيفية مجيئهم الى القرية ، وما الت اليه احوالهم ، والذى لا يشتم منه اى تحامل عليهم .

وتدحضه ايضا الحقيقة المعروفة للجميع بان سكان منطقة الكاريبى وغيرها من مناطق قارة امريكا كلها خليط ومزيج من عدة عناصر وشعوب .

يذكر الدكتور محمود على مكى فى المقدمة التى كتبها .. للترجمة العربية لمسرحية (سمك عسير الهضم) . للكاتب الغواتيمالى مانويل جاليتش التى صدرت عن وزارة الاعلام فى الكويت سنة ١٩٦٩ المعلومات التالية :

« ومن المعروف ان معظم بلاد امريكا اللاتينية تقوم فيها الآن مجتمعات يمكن ان نطلق عليها لفظة فسيفسائية ، اى مركبة من اجناس مختلفة : منها الابيض الاوربى والاحمر الهندى : والاسود الزنجى ، ثم العناصر الاخرى المتولدة عن تشابك هذه



ماركيز

الاجناس وتزاوجها : المخلطون الناتجون عن ابيض وهندية ، والمولدون الناتجون عن ابيض وسوداء ، والهجناء الناتجون عن هندى وسوداء ، واخيرا الاخلاط الكثيرة المتولدة عن تزاوج كل هذه السلالات الجديدة . وهذه ظاهرة نلاحظها بصفة خاصة فى المكسيك وبلاد امريكا الوسطى وجزر بحر الكاريبى وكثير من بلاد امريكا الجنوبية مثل البرازيل وفنزويلا وكولومبيا واكوادور وبيرو وبوليفيـــا » ص ٢٤ . من مقدمة المسرحية .

نعود الى سؤالنا : لماذا تجاهل الكثيرون من ابناء القرية الإشارات المؤكدة على احتمال قتل سانتياغو ؟ .

ولماذا سانتياغو بالذات ؟

ان المؤلف لم يهمل تبرير وتفسير مواقف بعض الاطراف .

وهذه محاولة لامتحان ذلك :

انخيلا فيكاريو

لقد وضع الراوى احتمال ان انخيلا فيكاريو قد وجهت اتهامها لسانتياغو لكونه الامنع من بين شبان القرية على احتمالات القتل والثار للشرف المفضوح . الا ان الفتاة نفت هذا الاحتمال كما اشرنا .

فاذا ما اردنا المضى فى احتمال الا يكون سانتياغو الفاعل حقيقة .. افلا نوجد عند الفتاة بعض المسوغات الاخرى حتى ولو لم تعلنها ؟

يمكن وضع عدة احتمالات فى هذا المجال :

قد يعود موقف الفتاة الى التشفي من سانتياغو ، ومكيدة من مكائد النساء اللواتى يجدن انفسهن مرفوضات من قبل الرجال .

ولنقرا هذا النص الذى ورد فى صفحة ٣١ على لسان سانتياغو محدثنا الراوى :

« ها هي ابنة خالتك الحمقاء ـ يقصد انخيلا ـ انها تنفع لتعلق على سلك » .

ولنقرا هذا النص :

« فهما ينتميان الى عـــالمين مختلفين (سانتياغو وانخيلا) ولم يرهما احد معاً فى يوم من الايام ، خصوصاً وهما وحيدان وكان سانتياغو مندفعاً جداً بحيث لا يمكن له ان يلتفت اليها . (ابنة خالتك الحمقاء) وهذا ما كان يقوله لى عندما يريد ذكرها . وفوق ذلك كان باشقا بين الدجاج ، كما كنا نقول فى تلك الايام .

« ولكن لم تعرف عنه فى القرية اية علاقات سوى علاقته مع خطيبته فلورا ميغل » ص ٦٩ .

افلا يمكن ان تكون اراء سانتياغو بانخيلا قد وصلتها ، فاحبت ان تنتقم ثاراً لشرف غيرها ولعبارات الاحتقار التى كان يقولها ويرددها عنها ؟

فيكتوريا غوثمان

هى واحدة من الشخصيات التى اظهرت عداء مكتوما وعدم اكتراث بسانتياغو ومصيره ، مع انها تعمل خادمة فى بيت ال نصار منذ زمن طويل .. فما هى اسباب العداء المكتوم ؟

دعونا نطل على مشـــهد كان يجمع سانتياجو بابنتها ديفينـــا فلـــور :

(امسك سانتياغو نصار بمعصمها (ديفينا فلور) عندما اقتربت لترفع الفنجان الفارغ من امامه ، وقال لها :

ـ ها قد اصبحت فى السن المناسب للترويض .

رفعت فكتوريا غوثمان السكين الدامي امامه وامرته بجدية :

ـ افلتها ايها الابيض . فلن تشرب من هذا الماء مادمت انا على قيد الحيــاة) ص ١٢ .

وقد التقط الراوى هذا الخيط فالصق او (منتج) اذا ما اردنا استعمال التعبير السينمائي هذا المشهد بمشهد اخر سابق عليه زمنياً وافادنا بالتالى :

ـ كان ابراهيم نصار قد اغوى بهـــا (فيكتوريا غوثمان) وهى فى اوج مراهقتها ومارس الحب معها لعدة سنوات فى اسطبلات المزرعة . ثم نقلها لتخدم فى البيت عندما خمدت عاطفته ، وديفينا فلور التى كانت ابنتها من زوج جديد ، كانت تعلم انها مرصودة لسرير سانتياغو نصار السرى وكانت هذه الفكرة تسبب لها قلقاً مبكراً . (لم يولد رجل مثل هذا بعد) هكذا قالت لى ديفينا فلور البدينة الكئيبة والمحاطة باولاد أنجبتهم من غراميات

اخرى ، فردت عليها فكتوريا غوتمان :

(انه مثل والده تماما : قذر) .

وضح اذن سبب موقف فيكتوريـــا غوثمان .

لقد كانت تكن عداء (تاريخيا) للأب وابنه بسبب ما حاق بها من تصرفات ابراهيم نصار ، وليس لأى سبب اخر .

العزلة والعادات :

واذن .. الا يوجد سبب اخر لهذه العزلة القاتلة التى وضع فيها المؤلف بطله ، والشراك المميتة التى وضعها فى طريقه ؟

دعونا نلجا الى احتمالات التناقضات الطبقية :

صحيح ان عائلة نصار كانت تعتبر من العائلات الغنية فى القرية ، الا انه لم يرد فى الرواية ما يمكن اعتباره سببا مباشرا لترجيح دافع القتل نتيجة عوامل استغلال او اضطهاد طبقى من قبل ابراهيم نصار او ابنه .

ولم يرد فى الرواية الا هذه الاشارة :

(لماذا تريدان قتل سانتياغو نصار ، على الرغم من وجود اغنيـــاء كثيرين يستحقون الموت قبله ؟) ص ٤٨ .

كما وردت على لسان فاوستينوسانتوس الجزار الذى باح له الاخوان بنيتهما لقتل سانتياغو بعد ان سنا السـكاكين فى دكانه .

وهكذا تهاوت كل اسباب مقتل سانتياغو امام اتهام الفتاة انخيلا فيكاريو باذه هو مغتصبها . فلماذا استعمل الكاتب كل ملكاته وخبراته فى الكتابة لتوفير الظروف الممكنة وحتى المستحيلة لعزل سانتياغو واظهار طائر الموت وهو يحوم فوق راسه فى الحلم والحقيقة ؟

انني ارجح الجواب الذى قاله ماركيز فى بداية المقال :

(ان الروائى لا يكتب غير كتاب واحد فى حياته ، وتصدر له مجموعة كتابات تحت نفس الفكرة ولكنها تحمل عناوين مختلفة) .

وكتاب ماركيز الواحد والوحيد فى حياته هو العزلة .

وسانتياغو نصار كما كان (قتيل) تلك العزلة المقصودة ... (وقتيل) سطوة التقاليد فى تلك المنطقة وقوانينها الخاصة التى تتجاوز القوانين الحكومية العامة ! ..

لقد قتل بسبب ذلك وليس بسبب كونه عربيا !

سليمان الشيخ ـ الكويت

فلا يغريك منا أن مددنا إليك يدًا..

شعر : كمال عمار

نبا عهدُ الصِّبا وخبا الحبابُ
وكل صبابة في الكأس صـابُ
قَرُبناها فزاد الجرح غـورا
ورب اسىً يُـولِّده اقترابُ
وهمٍّ لو اقـــام ببطـنِ دنٍّ
لفارقـــهُ وقد ثَمِـل الشرابُ
وطَرْفٍ ليس ينفي الحزن عنه
منادمـــــة وعنقودٌ مذابُ
وغيري يطلب السلوان فيها
وتشْربه امانيهـــا الكِذابُ
ولكنَّا عرفناها وفـــــاءً
لعهد ليس يغريــه الايـابُ
ولا يُرْضيه منَّا ان وفينـا
ولا يُدْنيه بوحٌ او عتـــابُ
عجبت لخافق ما زال يرعى
زمانا كان حاضره الغيـابُ
اقام على هواه وصام دهـرا
ودون مناه استـــار وبــابُ
ويضنيه الحنين ولا معيـن
يُغاديه وقد عزَّ الطِّـــلابُ
رحمتُ عذابـــه فاصم عني
كانْ قد صار يفتنه العذابُ
ورُمْتُ نجـــاته فاجاب اني
« نَجِيٌّ » لا يطاوله عُبـــاب
والْجَـمَ منطقي فطويتُ ظني
وقلت لخافقي ما فيك عــابُ
رضيت به وبي حتى غدونـا
يقينا لا يداخلـــه ارتيـــابُ
بانا اول العشـــاق كنـــا
وما زلنا العراقـــة والجنابُ
لنا في العشق سالفـةٌ وذِكْرٌ
ومنزلة يُرجِّيهـا السحـابُ
اذا قيل المحبـــون القدامى
ذُكِرْنا ليس ينكرنا الكتـابُ
فلا يغريك منا ان مددنـــا
اليك يدا ويعدوكِ الصـوابُ
اقيمي واعدلي ما بين بدءٍ
وخاتمـة فقد مال النِّصـابُ
رايت بقلبكِ الدنيا صفاءً
وباساءً وان ستر النقـــابُ
فهاتِ جميعها صفوا وشجوا
فان صريعها عفوا يُثـــابُ



اخرى ، فردت عليها فكتوريا غوتمان :

(انه مثل والده تماما : قذر) .

وضح اذن سبب موقف فيكتوريـــــا غوتمان .

لقد كانت تكن عداء (تاريخيا) للاب وابنه بسبب ما حاق بها من تصرفات ابراهيم نصار ، وليس لاى سبب اخر .

العزلة والعادات :

واذن .. الا يوجد سبب اخر لهذه العزلة القاتلة التى وضع فيها المؤلف بطله ، والشراك المميتة التى وضعها فى طريقه ؟

دعونا نلجا الى احتمالات التناقضات الطبقية :

صحيح ان عائلة نصار كانت تعتبر من العائلات الغنية فى القرية ، الا انه لم يرد فى الرواية ما يمكن اعتباره سببا مباشرا لترجيح دافع القتل نتيجة عوامل استغلال او اضطهاد طبقى من قبل ابراهيم نصار او ابنه .

ولم يرد فى الرواية الا هذه الاشارة :

(لماذا تريدان قتل سانتياغو نصار ، على الرغم من وجود اغنيـــــاء كثيرين يستحقون الموت قبله ؟) ص ٤٨ .

كما وردت على لسان فاوستينوسانتوس الجزار الذى باح له الاخوان بنيتهما لقتل سانتياغو بعد ان سنا الســـــكاكين فى دكانه .

وهكذا تهاوت كل اسباب مقتل سانتياغو امام اتهام الفتاة انخيلا فيكاريو باذه هو مغتصبها . فلماذا استعمل الكاتب كل ملكاته وخبراته فى الكتابة لتوفير الظروف الممكنة وحتى المستحيلة لعزل سانتياغو واظهار طائر الموت وهو يحوم فوق راسه فى الحلم والحقيقة ؟

اننى ارجح الجواب الذى قاله ماركيز فى بداية المقال :

(ان الروائى لا يكتب غير كتاب واحد فى حياته ، وتصدر له مجموعة كتابات تحت نفس الفكرة ولكنها تحمل عناوين مختلفة) .

وكتاب ماركيز الواحد والوحيد فى حياته هو العزلة .

وسانتياغو نصار كما كان (قتيل) تلك العزلة المقصودة ... (وقتيل) سطوة التقاليد فى تلك المنطقة وقوانينها الخاصة التى تتجاوز القوانين الحكومية العامة ! ..

لقد قتل بسبب ذلك وليس بسبب كونه عربيا !

سليمان الشيخ ـ الكويت

فلا يغريك منا أن مددنا إليك يدًا..

شـــــعـر:
كمال عـمار

نبا عهدُ الصِّبا وخبا الحبابُ
وكل صبابة في الكاس صـابُ

قَرُبناها فزاد الجرح غـورا
ورب اسىً يُـولِّدُهُ اقترابُ

وهمٍّ لو اقـــام ببطـنِ دنٍّ
لفارقَــهُ وقد ثَمِـلَ الشرابُ

وطَرْفٍ ليس ينفي الحزنَ عنه
منادمـــــة وعنقودٌ مذابُ

وغيري يطلب السلوان فيها
وتشْربه امانيهـــا الكِذابُ

ولكنّا عرفناها وفـــــاءً
لعهد ليس يغريه الايابُ

ولا يُرْضيه منّا ان وفينـا
ولا يُدْنِيه بوحٌ او عتـــابُ

عجبت لخافقٍ ما زال يرعى
زمانا كان حاضره الغيـابُ

اقام على هواه وصام دهـرا
ودون مناه استـــار وبـابُ

ويضنيه الحنين ولا معيـن
يُغاديه وقد عزَّ الطِّـــلابُ

رحمتُ عذابـــه فاصم عني
كانْ قد صار يَفْتِنُه العذابُ

ورُمْتُ نجـــاته فاجاب اني
« نَجِيٌّ » لا يطاوله عُبـاب

والْجَـمَ منطقي فطويتُ ظني
وقلت لخافقي ما فيك عـابُ

رضيت به وبي حتى غدونـا
يقينا لا يداخلـــه ارتيـابُ

بانا اول العشــاق كنـــا
وما زلنا العراقــة والجنابُ

لنا في العشق سالفـةٌ وذِكْرٌ
ومنزلة يُرَجّيهـا السحـابُ

اذا قيل المحبــون القدامى
ذُكِرْنا ليس ينكرنا الكتـابُ

فلا يغريك منا ان مددنـــا
اليك يدا ويعدوكِ الصـوابُ

اقيمي واعدلي ما بين بدءٍ
وخاتمـة فقد مال النِّصـابُ

رايت بقلبكِ الدنيا صفاءً
وباساءً وان ستر النقـابُ

فهاتِ جميعها صفوا وشجوا
فان صريعها عفوا يُثَـابُ



الذين يملكون طاقات غامضة يحركون بها الأشياء ويثنون المعادن

العلم يدرس هذه الظواهر ويضع النقاط فوق الحروف

بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح

لا يزال الناس يفتنون بحكايات تتردد عن قوى وظواهر غريبة تنبع من الانسان ذاته . وبها يستطيع أن يحضر الأرواح . أو يتحدث مع الأشباح . أو يقرأ الطالع . أو يتنبأ بالمستقبل . أو يرشد عن المسروقات . أو يرى أحداثا تقع رغم ما بينه وبينها من مسافات تقدر بمئات وآلاف الكيلو مترات . أو يقرأ افكار غيره . وكأنما مخه بمثابة محطة ارسال واستقبال لموجات غامضة يبعثها أو يستقبلها كلما سمحت حالته « الروحية » بذلك . وفوق كل هذا يستطيع أن يثني المعادن . ويحرك الأشياء . ويتحكم في زهر الطاولة بمجرد تركيز بصره عليه . فيطيع قوته الخفية . ويتخذ الوضع المضبوط .. الى آخر هذه الظواهر المثيرة التي تجد هوى وتقبلا من قطاعات عريضة من الناس – ليس فقط بين العامة . بل أيضا بين كثير من المتعلمين والمثقفين . ولا مانع كذلك من وجود قلة من العلماء . تعتقد فيما يعتقد فيه البسطاء !

والانسان بطبيعته يخشى المجهول . ومن ثم كان ولعه وحرصه على كشف ما يحيط به من غموض .

ومن هنا نشأ السحرة والعرافون والمتنبئون والمشعوذون . أو من في حكمهم على مر العصور . وكان تأثيرهم على الناس كبيرا . وطبيعى أن لكل عصر فئة تحاول بسط سيطرتها على من حولها . والادعاء بامتلاكها لقدرات غامضة لا يمتلكها غيرهم من البشر . وبهذه القدرات زعموا تحقيق أمور هي في حكم المعجزات . ومن ثم فقد استرهبوا الناس وأرهبوهم . فعملوا لهم ألف حساب وحساب . ربما خوفا من بطشهم . أو تجنبا لاذاهم . أو احتراما لقدراتهم . ولم لا . خاصة وأنهم يمتلكون قوى خفية او طاقات روحية يفعلون بها ما يريدون ؟ !

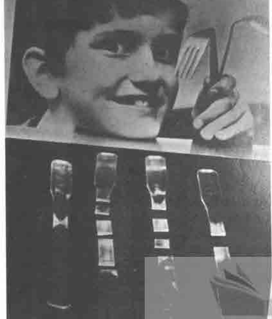
ولا شك أن هذه الظواهر الغريبة تحتوى على أنباء مثيرة . وحكايات عجيبة . وشواهد تقع فيما وراء أى تفسير عقلى أو علمى . ومن هنا تناولها كثير من الكتاب المشهورين والمغمورين بالسرد والاطناب في كتب او مقالات . اذ لا شك انها تحتوى على مادة دسمة وجذابة تغرى بالقراءة . وتشحذ الخيال .. ثم لا ينسي هؤلاء الكتاب ان يضيفوا اليها بعض « البهارات » العلمية . حتي تبدو وكأنها احدى العلوم التجريبية . فيزيد تصديق الناس لها . وشغفهم بها .

ولا شك أن موضوع هذه الظواهر المحيرة متشعب وطويل . ويحتاج في تقديمه وشرحه وتعليله الى دراسات طويلة . لكننا سنحاول جاهدين ان نتناوله باختصار في دراسة او دراستين . حتي يتبين لنا الغث من السمين . ولنركز هنا على ظاهرة تلك القوى الخفية التي قيل ان من ملكها يستطيع أن يحرك بها الأشياء . ويثني المعادن . ويوقف عقارب الساعات . ويكون صورا على الأفلام الخام دون أن تتعرض لضوء . بل تأتي الصورة من تركيز الطاقة الذهنية على الفيلم . فتنتقل من الرأس على هيئة موجات غير معروف طبيعتها . لتعطى « صورة فكرية » – إن صح هذا التعبير !

رواد الظاهرة

ورائدا هذه الظاهرة شابان : أحدهما من اصل يهودى ويدعى يورى جيلر . والآخر فرنسي ويدعى





فتاة تدّعي أنها تملك قدرات على ثني « الدبابيس » المعدنية بمجرد تركيز طاقتها الخفية عليها .. لاحظ أن الفتاة قد أمسكت الدبوس بأصابعها ، وهنا تكمن الخدعة (هذه الصورة والصورتان التاليتان عن كتاب دكتور جون تايلور « العقول السوبر أو الخارقة »)

طفل عمره تسع سنوات .. وهو ضمن عشرات تأثروا بيوري جيلر أو جيرارد ، وظهرت فيهم فجأة قدرات خارقة .. وهو هنا يعرض علينا الدليل على امتلاكه لهذه القدرة من ثني شوكة وملعقة .. والى اسفل شرائح من البلاستيك زعموا أنها تكسرت بتركيز البصر عليها .

جين – بيير جيرارد . وبجوار هذين الشابين يوجد المئات ممن يدعون امتلاك هذه القدرات . ومنهم صبيان وبنات . لكن جيلر وجيرارد هما أشهر اثنين في هذا المجال . ولقد أظهرا براعتهما في ثني الشوك والملاعق والسكاكين وقضبان من المعادن .. الخ . أمام الملايين وهم يعرضون قدراتهم الخارقة عن طريق شبكات التليفزيون في أوربا وأمريكا أو على خشبات المسارح ، او في جلسات خاصة تعقد لهم في معامل البحوث حيث يوضعون تحت اختبارات يشرف عليها بعض العلماء . وفي كل هذه الحالات كانت المعادن تنثني عند تركيز النظر عليها ، وكأنما هناك قوى خفية تتسلط على الأشياء . وهذا ماأثار حيرة العلماء ، وجعلهم يضربون أخماسا في اسداس . ويحاولون جاهدين البحث عن تفسير معقول لقدرات العقل البشري ، وكيفية توجيهها . فلاتيان بمثل هذه المعجزات – أو هكذا كانت تشير افكار الناس . وتجد لديهم قبولا حسنا .. ومنه بعض دراسات ظهرت على صفحات هذه المجلة في اعداد سابقة (من ٩٥ – ٩٩) ورغم أن الذى أعدها (هو الكاتب الصحفي محمد العزب موسى) قد توخى فيها الحرص والتحليل الأقرب الى الصيغة العلمية . الا أن الانطباع الذى يسيطر على القارىء في النهاية ان هذه الطاقات الغيبية او الظواهر الروحية موجودة بين بعض الناس ، ونحن لا نستطيع هنا ان نحدد المصدر أو المصادر التي أعد منها الكاتب مادته ، فهي كثيرة ، لكن المصدر بالقطع لا يمثل وجهة النظر العلمية . وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا المقال .

فكاتب هذه الدراسة يرجع اهتمامه بهذا الموضوع الى حوالى ١٥ عاما . ومصادره في ذلك – وبحكم تخصصه العلمي – مجلات ومراجع علمية يكتبها علماء متخصصون . وطبيعي اننا نعرض هنا وجهة نظر العلم ، مع اعترافنا بأن هناك كتبا ظهرت لعلماء قلائل . وتعرضت لهذه الظواهر ، ثم تعاطف مؤلفوها مع اصحاب هذه الخوارق . لكن ذلك لا يعني أيضا انها وجهة نظر العلم . ان معظم العلماء – ان لم يكن كلهم الآن – قد بدأوا ينظرون الى مثل هذه الظواهر نظرة كلها شك وريبة وحذر ، أو أن بعضهم يختصر الطريق ويرفضها رفضا باتا – ليس حبا في الرفض لذاته ، بل يرجع ذلك الى احساسهم بان ذلك ينطوى على خداع ودجل قد يضر ولا ينفع (خاصة في مجتمعنا الشرقي) ، أو هو أقرب الى الأمور التي يمارسها السحرة او الحواة ، ولهذا يرفض هؤلاء العلماء ان يضيعوا وقتهم وجهدهم فيما لا يفيد .. ثم أن الادعاء بامتلاك أشخاص موهوبين لقدرات ذهنية لا يمتلكها غيرهم ، انما هو ادعاء تثور حوله الشكوك ، ويطويه الغموض ، وليس له أية معايير يمكن بواسطتها وضع « بروتوكولات » محددة ، لا جراء تجارب مقننة ، تؤدى الى نتائج واضحة ، لتتمخض عن نظرية علمية ، يمكن بها شرح هذه الظواهر الخفية !

ومع ذلك فهناك علماء قلائل قبلوا أن يفحصوا تلك الحالات التي يدعى أصحابها امتلاكهم لهذه القدرات ، ووضعت لذلك المعايير العلمية ، واختير

الذين يملكون طاقات غامضة

لها علماء ذوو تخصصات متباينة . وعلى شرط ألا يكونوا من المتحيزين أو المعتقدين أو المتعاطفين مع الذين سيتقدمون لهذه الاختبارات . اذ كثيرا ما كان يحدث أن يتراخى بعضهم في الرقابة الصارمة التي فرضت على هؤلاء المدعين . مما ييسر حدوث الخداع . فتأتي النتائج مضللة .

ولقد كان ميدان هذه البحوث الولايات المتحدة الأمريكية حيث يوجد جيلر . وفرنسا حيث يعيش جيرارد . وبريطانيا حيث يوجد أيضا كثيرون يدعون امتلاكهم لتلك القدرات « السوبر » .. المهم أن الاختبارات قد تمت في معامل بل للبحوث بنيوجيرسي . وفي مركز جودارد للفضاء بكاليفورنيا . ثم في جامعة ستانفورد . وكان بطلها جيلر . وهيئة تضم علماء مثل دكتور بوهاريش . وهو الذى اكتشف جيلر في اسرائيل . وصحبه الى امريكا . وعمل له دعاية كبيرة . لبوهاريش هذا اختراعات تجمع بين أجهزة طبية واليكترونية . وتضم الهيئة كذلك عالمين من علماء الفيزياء هما دكتور تارج ودكتور بوتهوف . وأيضا دكتور جون تيلور أستاذ الرياضيات بجامعة لندن . وكان وقتها أستاذا زائرا بالولايات المتحدة . ثم رائد الفضاء دكتور ادجار ميتشيل .. الخ

ولقد نجح هؤلاء في التسلل الى مجلة نيتشر (الطبيعة) ذات السمعة العلمية المتميزة والعريقة . واستطاعوا نشر بحث عن جيلر . بضمان سمعتهم العلمية . وأثبتوا أنه يمتلك أحيانا قوى خارقة لايستطيع أحد تعليلها تعليلا علميا .. وكان هذا البحث الذى تسلل الى النشر في مجلة نيتشر بمثابة انتصار كبير للمعتقدين في وجود طاقات خفية أو روحية أو حواس أقوى من حواسنا المعروفة . وهذا ما ارتكزت عليه الجمعيات الروحية كدليل على صدق مزاعمها . ثم راحت تطنب في نشره بدورياتها الكثيرة التي تجد رواجا بين الناس .. لكن ذلك قد أصاب العلماء التجريبين بصدمة وخيبة أمل . وأصاب الهيئة العلمية المشرفة على تحرير مجلة نيتشر بالندم !

جدل ودجل

ولا شك أن العلماء الجادين (ولا بد أن يكونوا كذلك رغم وجود قلة من منحرفي الأفكار) يعلمون تماما أن القوى الخارقة ليست الا حيلا وخدعا ودجلا لا يجوز الا على المتعاطفين مع أو المعتقدين في وجود هذه الخوارق .

ولقد صحت توقعاتهم . خاصة بعد أن خرج دكتور بوهاريش على الملأ بكتاب عن معجزات جيلر . وعنوانه « بورى » . ثم يقدم دكتور ليال واطسون كتابا بعنوان « فيما وراء الطبيعة » . ويتبعه دكتور تايلور بكتاب ثالث اسماه « العقول الخارقة » (أو السوبر) .. وفي هذه الكتب أو غيرها (وبعضها في حوزة كاتب هذه الدراسة . ومنها كتابي واطسون وتايلور) أمور تعجب القارىء العادى . وتثير خياله . وفيها أيضا مادة دسمة للصحف والمجلات التي تحب نشر مثل تلك الأخبار المثيرة والجذابة لمعظم القراء . ولكنها في الوقت ذاته - تصبح بمثابة شوكة في الزور . أو غصة في حلق العلماء الذين يتعاملون مع الشرائع الطبيعية . والسنن الكونية . والقوانين العلمية . وهى جميعا تدل على تناسق في الفكرة . ونظام في الخلق . وتدبير مذهل في كل صغيرة وكبيرة من أمور الكون والحياة . ومن أجل هذا انتظمت أفكارهم . وتناسقت نظرياتهم . وتقدمت علومهم . وتطورت دولهم ومجتمعاتهم تبعا لذلك . ولا احد يستطيع أن ينكر ذلك . ثم ان افكار العلماء عن هذه الظواهر الغريبة . له بعد ذلك ما يبرره .



ظاهرة التأثير على الأشياء بطاقة غير معروفة . فتجعلها تتحرك بذاتها . والصورة توضح سيدة تدعى مدام فيلو جرادوفا وهى تؤثر ببصرها على أعواد الكبريت . فتجعلها تتحرك وتغير مواضعها .. ان الخدعة هنا واضحة .

فالعلم من قديم حريص على ألا يدخل في مجاله ما ليس أهلاً له . « وعلم » تحضير الأرواح أو التخاطر او الاستبصار أو الاستحراك (تحريك الأشياء أو السيطرة عليها بتركيز « طاقة العين عليها . وهو ما يسميه البعض بسيادة الروح على المادة) أو فيما وراء النفس أو الروح أو الطبيعة .. الخ . كل هذا وغيره ليس مجاله معامل العلماء . لأن التجارب العلمية تجرى على المكشوف . ولها طريقة عمل محددة . ويمكن لأى انسان أن يجرى نفس التجارب . ويحصل على نفس النتائج . طالما اتبع نفس طريقة العمل . لكن كل ذلك غير وارد في تجارب القوى الخارقة أو المعجزة . فاعادة التجربة تحت نفس الظروف لاتؤدى الى نفس النتائج . وكثيرا ما تتبخر هذه الطاقات الخفية عند مايشدد العلماء الرقابة على أصحاب القوى الخارقة . ويضعون للتجارب شروطا أصعب . واحكاما أدق . ورغم ذلك فقد تمكن أمثال جيلر وجيرارد من خداع العلماء . فالعلماء بشر . والساحر او الحاوى قد يكون أذكى منهم في مجال أكل عيشه . او اسرع حركة مما قد تسجله عيونهم . أو أمكر من اجهزتهم . ولقد اعترف بعض العلماء الذين أشرفوا على هذه التجارب بانهم خُدعوا . إما لأنهم قد تحللوا بعض الشيء من المراقبة الصارمة التي يجب فرضها على هؤلاء الادعياء في تحركاتهم وسلوكهم . أو لأنهم كانوا يتعاطفون معهم عندما يطلب منهم أن يتركوهم وشأنهم بعض الوقت . لأن طاقتهم الخارقة قد تبخرت . أو لأنهم لم يذكروا النتائج السلبية . واكتفوا بذكر الايجابية منها .. الخ . لكن الشيء الواضح في كل هذه الدراسات هو عدم الوضوح . أذ كلما اصبحت الرقابة صارمة . وشروط الاختبار قاسية . فان الفشل الذريع كان القاسم المشترك الأعظم لتحقيق أية نتيجة حاسمة !

اختبار مثير

على أنه يجدر بنا أن نقدم هنا واحدة من التجارب التي ستوضح لنا بجلاء معنى القوى الخارقة التي يمتلكها جيلر وجيرارد وأمثالهما . وبها يستطيعون أن يكشفوا المستور . وكأنما تنطلق من عيونهم أشعة مجهولة ونفاذة وقوية . لترى مالا تستطيع عيوننا أن تراه .

لقد اجريت احدى هذه التجارب أمام آلاف الناس في مسرح كبير . وأشرف عليها بعض العلماء الذين لا يرقى اليهم الشك . فجاءوا بعشرة علب معدنية صغيرة من ذلك النوع الذى توضع فيه أفلام



في مؤتمر صحفي عقد ليوري جيلر وتبدو صورته الى اليسار وهو يحدث ثني مفتاح أحد الصحفيين .. ولقد تمكن من خداعه مع من حوله ... [illegible] ذلك فيما بعد . (عن مجلة نيوساينتيست البريطانية)

التصوير . وفي واحدة فقط من هذه العلب وضعت قطعة معدنية . وكان المطلوب من جيلر أن يحدد أية علبة من العشرة تحتوى على القطعة المعدنية . ولم تكن هناك أية وسيلة للخداع . فلقد كانت العلب متشابهة تماما . وأعدت اعدادا متقنا في غياب جيلر . ولم يتصل بأحد على الاطلاق عله يعرف منه شيئا قد يساعده في تحديد هدفه .. الى آخر هذا الحرص الشديد الواجب في هذا المجال .

وخرج جيلر الى المسرح . ووجد امامه منضدة توزعت عليها العلب بطريقة متباعدة وبغير نظام واضح . وبدأ جيلر يركز نظره . وكأنما هو ينفذ بقوته الخفية الى داخل كل علبة مغلقة . عله يعرف ان كانت فارغة او مشحونة . واخذ يقترب من المنضدة تارة . ويبتعد عنها تارة أخرى . ثم اذ به يبدأ في الاشارة الى علبة من العلب قائلا : ان هذه العلبة فارغة . وبالفعل كانت تظهر فارغة عند فتحها . فينال دهشة الناس واعجابهم وتصفيقهم . وظل جيلر يحقق نجاحا من وراء نجاح . وينال اعجابا من وراء اعجاب ودون أن يخطيء مرة واحدة . حتى انتهى بانتقاء العلبة التاسعة الفارغة . ثم أشار الى العاشرة المتبقية . وقال : هاكم العلبة المشحونة !!

وصفق الحاضرون طويلا . فقد برهن جيلر بصدق على امتلاكه لملكة الجلاء البصرى أو الاستبصار .

هل لجيلر – اذن حاسة أخرى غير حواسنا المعروفة . لديه « مالا عين رأت » ؟ . واذا كان الأمر كذلك . فما هى طبيعتها ؟ ... ثم ما تعليل العلم حقا لمثل هذه الظاهرة المحيرة ؟ .

الحاسة هنا غير موجودة . والتعليل أبسط مما نتصور . فالأصل في اظهار هذه القدرة الفائقة على الاختيار الصحيح . ودون خطأ واحد . لا يرجع الى الاستبصار بقدر ماهو راجع الى « الاستغفال » – ليس فقط على مستوى الناس . بل أيضا على مستوى العلماء .. فلقد خدعهم جيلر واستغفلهم . مستخدما في ذلك قوة فراسته . وحدة ملاحظته . وخفة حركته . وبراعة تمثيله . وشدة تأثيره . او أية صفات أخرى تريد أن تضيفها الى ذلك . لتصبح ملائمة لانسان ضالع في التمويه والخداع والضحك على « ذقون » العباد !

ولقد اكتشف سر الخدعة دكتور جوزيف هانلون أحد أعضاء الهيئة العلمية الاستشارية لمجلة نيوساينتيست « البريطانية » (وهى مجلة علمية ترجمتها رجل العلم الحديث) .. اذ كانت عيناه – كما يقول – تلاحظ كل حركة من حركات جيلر . وشك في أمره . فنصح المشرفين على هذه التجربة بعدم السماح لجيلر بالاقتراب من المنضدة . لأنه كان – وفي غفلة من العيون – يهزها خفة . وسر ذلك لا يخفى على لبيب . اذ أن العلب الفارغة كانت تهتز بدرجات أكبر (لأنها أخف) . ولن يلحظ هذه الاهتزازات غير المحسوسة الا كل من أوتي قوة ملاحظة فائقة . وكان جيلر يمتلكها . بدليل أنه لم ينجح بعد ذلك مرة واحدة في تحديد العلبة الثقيلة أولا من العلب الخفيفة .. اذن فنجاحه لا يعود الى تلك القوى الخفية التي زعم أنه يمتلكها . بل الى خدعة ما أبسطها . لكن ما أمكرها .

مزيد من الخدع والتضليل

وفي مقال تحليلي نشره دكتور هانلون في مجلة رجل العلم الحديث . وتحت عنوان « علم ثني الملاعق » (والتهكم هنا واضح في كلمة علم) يقول في مقدمة مقاله « في ليلة ممطرة من ليالى شهر يونيو اندفعت سيارة تحمل خمسة رجال – يبدو عليهم سيما التعقل والرزانة – نحو معمل في باث (اسم مدينة بريطانيا) . حيث قطعت مائة ميل . وذلك لمشاهدة فتاة وهى تقوم بثني الملاعق بقوى خارقة تمكن تعليلها . لكنها مع ذلك فشلت .. إن هذه الرحلة الشاقة تقدم لنا دليلا على أن عملية ثني الملاعق بدأت تجذب اهتمام العلماء الجادين . لكنها في الوقت ذاته توضح التغيرات التي حدثت في غضون السنوات الاربع الأخيرة منذ ان ظهر يورى جيلر على مسرح الأحداث .. وعندئذ ظهر عشرات الاطفال الذين ادعوا امتلاكهم لقدرات مثل قدراته .. وعندما وقع العلماء الخمسة على مواطن الضعف في التجربة التي تحملوا مشقة السفر اليها . وبدأوا يشددون الرقابة على



يوري جيلر يمسك بقطعة معدنية زاعما أنه يثنيها عندما يسلط نظره عليها.. فهل حقا في عينيه طاقة خفية يعمل بها ما يشاء فيما يشاء!.. راجع المقال

الفتاة تارة . وعلى بروتوكول التجربة تارة أخرى . اختفت قواها الخارقة . ولم تستطع ثني ملعقة واحدة » !

ويستطرد هانلون معقبا « ان واحدا مثل البروفيسور جون تايلور قد ذكر منذ سنتين اثنتين في كتابه « العقول الخارقة » (وهو الذى سبق ان اشرنا اليه في حينه) قوله بالحرف الواحد : بربط كل الادلة في نظرة شمولية . فان استنتاجا واحدا يمكن أن يكون ممكنا : هذا الاستنتاج هو أن الظاهرة الغريبة لثني المعادن ظاهرة صحيحة . عاد في الاسبوع السابق (كتب ذلك التعليق في ١٤ يوليو ١٩٧٧) واعترف لمجلة رجل العلم الحديث « أنه الآن ليس متأكدا تماما من وجود قوى خارقة لثني المعادن » ! .. ففي معمله اختفت قدرات الأطفال الذين ادعوا أنهم يستطيعون ثني الملاعق والشوك بمجرد النظر اليها . وسر فشلهم يرجع الى تشديد الرقابة عليهم . ثم ان كفاءة هؤلاء الأطفال لم تصل الآن الى نسبة ١٠٠ ٪ - على حد قوله من قبل . بل انهم لم يستطيعوا أن يكرروا أداءهم حتى ولو أضعفت الرقابة عليهم » !

ان الاختبار الذى أجرى في « باث » كان في معمل هارى كولينز . وهو الشخص الوحيد في بريطانيا الذى حصل على منحة حكومية تقدر بعشرة آلاف جنيه استرليني من مجلس بحوث العلوم الاجتماعية لكى يستخدمها في الصرف على التجارب التي تجرى في البارابسيكولوجي (وهو فرع ثانوى أو جانبي من السيكولوجي أو علم النفس ويتناول الغيبيات بما فيها البحوث الروحية والقوى الخارقة . لكنه ليس علما معترفا به في الدوائر العلمية على أية حال) (لقد اشتهر كولينز ببحثه الذى قبل للنشر في مجلة « نيتشر » (الطبيعة) وفيه قرر أنه استطاع أن يكتشف غش خمسة من اليوريين الصغار (نسبة الى يورى جيلر . اذ أنهم يسيرون على طريقته) وهم يؤدون عملية ثني الملاعق .. الا أنه مع ذلك قد قرر أن بعض النتائج كانت مشجعة . لكنها غير مقنعة . خاصة بالنسبة للمتشككين في جدوى هذه الظاهرة . وهو هنا كمن يمسك العصا من منتصفها . ربما ليستفيد بكل المنحة !

وعلى صعيد آخر يذكر دكتور جيرمي شيرفاس في تعليق له ظهر في عدد ٣ فبراير عام ١٩٨٣ من نفس المجلة (وهى المجلة التي غطت اخبار هذا الموضوع وحققت فيه لسنوات طويلة) إن هناك من يدعى « ستيفن شو » الذى استطاع ان ينقل صورا ذهنية مختلفة على فيلم حساس . فانطبعت على الفيلم تلقائيا . ثم ظهر فيما بعد أنه كان يبصق على العدسة ودون أن يراه أحد . ثم يحرك الفيلم في غفلة عن الاعين داخل آلة التصوير السينمائية . فيظهر بصاقه بأشكال مختلفة

والواقع أن الخدع كثيرة . كما أن « البحوث » في هذا المجال يكتنفها الغموض والدجل والتسيب . وهى لهذا لاتحظى باحترام جمهرة العلماء التجريبيين . أضف الى ذلك أن بعض العلماء القليلين الذين لهم اهتمامات بمثل تلك الظواهر . قد يولونها بعض الاهتمام بجوار اهتمامهم ببحوثهم الأصلية طبعا - كما يحدث احيانا في معاهدنا وجامعاتنا . إذ قد يكون العالم عالما في معمله في الصباح مثلا مع المعادلات الرياضية . والتجارب العلمية . والنتائج المنطقية التي تتمشي مع القوانين الكونية . وعندما يختلط بالناس في المساء . تجده قد تخلى عن أفكاره المنظمة . وبحوثه المنمقة . ونظرياته المتسقة . ثم يروح يطلق لفكره العنان . ليسبح في الخيال . أو يسعد لقراءة الكف والفنجان . او يحضر جلسات تحضير الأرواح والجان . أو يعتقد في القوى الخفية أو الخوارق التي ما أنزل الله بها من سلطان . وهو سلوك متناقض وغريب ، وأقرب الى أعراض انفصام الشخصية .

لكن العلماء المتشككين في هذه الظواهر التي سيطرت على عقول الناس . يعتقدون أن دعاوى ظهور القوى الخارقة بين بعض الصبية والشباب . ليست في حقيقتها الا عروضا أو ظواهر أقرب الى عروض السحرة . أو فنون الحواة . والضحية في ذلك هم العلماء الذين لا يستطيعون اكتشاف هذه الخدع . اذ ليسوا هم مؤهلين لكشف الحيل وخفة الحركة التي يتقنها هؤلاء الادعياء . والى هنا أشار بعض العلماء أن يستشيروا بعض السحرة أو الحواة ممن لهم طول باع في هذا المضمار .. فكما لايفل الحديد الا الحديد . كذلك لا يفل عمل الساحر الا ساحر مثله .. وقد كان . فلأول مرة في تاريخ العلم يتسلل الحواة الى المعامل . ويشتركون مع العلماء في وضع التجارب .. صحيح أن هذا التعاون بين فئة وقورة مجالها المعامل والتجارب . وبين فئة مخادعة مجالها السيرك والمسارح - تعاون غير متكافئ . ولا يحظى بالاحترام . بل هو يثير امتعاض العلماء . الا أن الغاية هنا قد تبرر الوسيلة الفجة والرديئة . خصوصا اذا كانت الغاية هي وضع حد لظاهرة محيرة بلبلت الأفكار . ولم يحسم أمرها بعد .

فهل حسم الحواة الأمر ! .

دعنا نفرد لذلك دراسة قادمة . ليتبين الغث من السمين

عبد المحسن صالح

ثلاث قصائد

شعر: إبراهيم نصر الله

١ – الطائر

كانَ يأتي
ومن أين ؟
لا أعرفُ الآنَ
لكنّهُ كانَ يأتي
ينقرُ الخشبَ المتشقق
أدعوهُ
كنْ أيها الطيرُ صدري وصوتي
وأذهبْ الى آخر السنواتِ
حصادِ الاماكنِ
والناسِ
وأرجعْ
وخبّرْ دمي أن هذي الخطى
لم تكن بدء موتي !
كان يأتي
ومن أينَ
لا أعرفُ الآنَ لكنه كان يأتي
مرةً فاجأوه على غصنِ قلبي
وكانَ صغيراً.. صغيراً صغيرْ
وإذ أمسكوا بجناحيه
صحتُ :
– وفي الروح جرحٌ –
دعوني أطيرُ ! !

٢ – المُهر

بيدرٌ من سحابٍ
ومن برقِ هذي البراري التي
لمْ تُقمْ في الغصونْ
نيزكٌ ودَّعَ الصخرَ والانطفاء
وخربشَ بالرعدِ هذا السكونْ

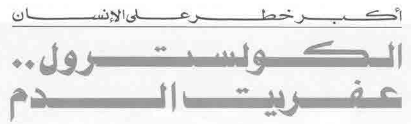
طيبٌ مثلَ إطلالةِ الشمسِ
في صدرهِ الحبُّ
والفرحُ المبكّرُ
لا يتقي السهمَ مبتعداً
لا يخونْ
طائرٌ غادرَ الليلَ والطرقاتِ على عجلٍ
نسي الأجنحةْ
بعد أن طالعَ الارضَ واسعةً كالجنونْ
وأمنيةً كسرتْ وقتها

حينما أبصرت كلَّ ما لا يراه المدى والعيونْ
وله ارضهُ
وتلالُ الصهيلِ
وعينيه .. ما نشتهي أن نكونْ

فهو أمضى السيوفِ
وأوفى الخنادقِ
والاصدقاء
وأعلى الحصونْ

٣ – رحيل

لم يقلْ للزهورِ التي احتشدتْ في الطريقِ :
وداعا
لم يقل للصباحِ الذي يعبرُ الارضَ :
ياصاحبي .. سأكونُ هنا دائماً
لم يقل للشوارعِ هذي خطايَ
تؤوبُ كعادتها
والمشاويرُ تحفظُ نكهتَها
لم يقل للصديقِ أنتظرني
لم يقل للصغار هنا كنتُ ألهو .. وأكبرُ
فاحتفظوا بالملاعبِ
والرملِ حتى أعودْ
لم يقل للمدينةِ :
هذا دمي خارجٌ من يديكِ
وفي غفلةٍ منكِ يعبرُ أحزانَهُ
والحدودْ
لم يقلْ أي شيء
ولم يأخذِ الشمسَ والداليةْ
ولم يأخذ الجرحَ
أو يأخذ الفرحَ
لم يبتكرْ كلمةً في الوداعِ
ولم يذرفِ النجمةَ العاليةْ
لم يحمل العشبَ في يدهِ
واندفاعَ الشجرْ
ولم تندفع في المساءأصابعه الناحلةْ
كي تلمَّ الرسائلَ
والأغنياتِ
وبعضَ الصورْ
لم يقلْ أيَّ شيء
ولكنني حينَ عانقتُهُ
في يديَّ انكسرْ



أكبر خطر على الإنسان

الكولسترول.. عفريت الدم

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

إذا كان العفريت خارج جسم الانسان قادر على اتيان الأشياء الخارقة واتيانها دون ان ترى له اثرا حتى ليظنه البعض مجرد اسطورة لا تستند الى واقع . فان العفريت داخل جسم الانسان اكثر قدرة على هذه الخوارق .

ففي الدم يجري هذا العفريت فيلعب بمصائرنا . وهو دائم التغيير والتنكر يلبس لكل يوم قناعا ، وتحت كل قناع يقوم بدور خاص وكل دور اشد غرابة واعجازا من الدور الاخر . فهو وان كان أصلا مادة شحمية تكون دسم الدم وعرفت عند الناس على هذه الصورة ، إلا انه إذا غير ترتيب بعض ذراته يتحول الى هرمون الذكورة . واذا غير اخرى صار هرمون الانوثة . واذا بدل ذرة مكان ذرة اصبح هو حامض العصارة الصفراوية للمرارة .واذا لبس قناعا اخر فاذا هو فيتامين د الثاني الفعال في الكلى والخاص بامتصاص الجير .

هذه هي بعض الاقنعة التي كشف العلماء خلفها وجه هذا العفريت الى الآن . وربما في المستقبل يكتشفونه متخفيا خلف غيرها وغيرها .

دهنيات الدم

الصورة الأولى : دهنيات الدم . هذه الصورة الشائعة لهذا العفريت اصبحت معروفة للقاصي والداني . ومع ذلك ما اغمضها وما اكثر اختلاف الراي حولها . فالبعض يقول انها تتاتى من اكل الشحوم والدسم والزيت . ثم تاتي ظاهرة تصفع هذا الراي . نعم ، فالاسكيمو ياكلون لحم حيوان الثلوج وكله شحم خالص تقريبا وياكلونه بكميات كبيرة ويومية تصل الى بضع كيلوجرامات وربما لا يجدون طعاما غيره في افطار او غداء او عشاء . ومع ذلك فكولسترول الدم عندهم منخفض والذبحة الصدرية غير معروفة . ثم هناك ايضا الرهبان المنقطعون في الاديرة ولا ياكلون إلا الزيت وبكميات كبيرة ومع ذلك تنخفض كميات كولسترول الدم عندهم وتندر الذبحة الصدرية ويعيشون في المتوسط اكثر من غيرهم .. وقد يعمرون .

فقال قائل اخر لعلها السمن البلدي والدهون الحيوانية هي سبب ارتفاع هذا الكولسترول،ولكن اتضح وبغير جدال اخيرا ان السمن النباتي لا يقل رفعا للكولسترول ان لم يزد عليه . ولعل اقرب الأمثلة الى هذا ان الفلاح الذي قد يشرب السمن شربا لا يعاني من الكولسترول مثل موظف المدينة الذي يعيش على المسلى النباتي . ولا يعاني من الذبحة ما يعانيه صاحبنا الموظف .

وقيل إن زيت الذرة هو الدسم الوحيد المناسب للسيطرة على هذا العفريت . ولكنه قول قد لا يثبت وقد تاخذ موجته زمنا ثم تمضي .

وعلى العموم ما استقر الراي عليه واتفقت عليه اراء العلماء جميعا ان دسم الدم هذا إذا ترسب على جدران الاوعية ضاق اتساعها وقلت مطاطية جدرانها وبالتالي ارتفع الضغط الدموي بكل مضاعفاته . واذا ضاقت الاوعية سهل انسدادها بترسب كرات الدم وصفائحه على مكان الدهن . فاذا حدث هذا في أوعية القلب نشات الذبحة الصدرية وجلطة عضلة القلب . واذا حدث هذا في اوعية المخ اصيب صاحبها بالفالج وانواع الشلل المختلفة . واذا حدث في اوعية الكلى ارتفع ضغط الدم ارتفاعا مستمرا ووصل الى درجات رهيبة .

ومن المتفق عليه الآن لدى العلماء ايضا ان الرياضة او العمل الجسماني المجهد هو وحده السبيل المؤدي الى السيطرة على عفريت الدم هذا . فالفلاح الذي يمارس الفلاحة بيديه حتى يجهد ويلهث ويعرق عليه أن يحمد الله انه طارد العفريت الى صاحب الأرض القابع في بيته امام مائدة حافلة بما يظن انها اطايب الطعام وهي كلها كولسترول ملعون يدخل الى البطن متسترا خلف الطعام الدسم الشهي .

الهرمون

الصورة الثانية : الهرمون . وما ادراك ما الهرمون . ربما لا يكون الشيطان شيئا إلا انه هرمون ، هرمون يوقد فحولة خطرة او يوقد مرجل الغيظ المنفجر والفعل المتصلت والعمل الطائش .

إذا غير عفريتنا الكولسترولي هذا ترتيب بعض ذراته اعطانا هرمون الذكورة واذا اعاد تغيير ذرات اخرى اعطانا هرمون الانثى . وما بين بين اعطانا الخنثى . وهكذا العفرتة .

اما هرمون الذكورة : فما من بالغ يبلغ الحلم حتى يحس عفريتنا قد ركبه .. ولا عاصم إلا الله ومن نسى هذا فلا نذكره . ومن لم ينس فلا حاجة به لوصفنا .

إنما نكتفي بذكر تغيير الجسد فقط . فاذا الشعر ينبت على الشارب والذقن وفي اجزاء اخرى في الجسم . وإذا الصوت يغلظ . واذا العضلات تشتد ويبدا في استعمالها في كل من حوله اخوته ثم اصدقائه ثم الاغراب . واذا الصدر يتسع عرضا واذا بالحوض يضيق ايضا بالعرض

وكل هذا شيء وميله نحو الانثى الغريبة والغيرة على الانثى القريبة شيء اخر اكثر كثيرا جدا . مغنطيسية بشرية اقوى من مغنطيس الحديد . تجذب وتنجذب . وإذا بالبريق في العيون له لغة والابتسامات لها معاني وقواميس . وإذا باحساس جديد بالغلاف الجوي حول الانثى لم يكن موجودا . وإذا باتصالات لاسلكية واستشعار من بعد وريموت كنترول مع الانثى . ولا نصف إلا ونوجز حتى لا نخرج عن موضوعنا .

هذا الهرمون نفسه لو حدث فيه بعض الترتيب الآخر لاصبح هرمونا انثويا . فاذا الجلد يزداد رقة حتى لتبين العروق من تحته . واذا الصوت ينعم وشعر الراس يطول . والصدر ينكمش في العرض والحوض يتسع في العرض والصوت ينعم والعضلات تضعف حتى تتلاشى ويكثر الشحم حول الصدر والحوض وتتغير المشية والجلسة والوقفة والحركة . وتنشا نظرة جديدة الى الام والاب والاخوة والعالم الخارجي والمستقبل

وفارس الاحلام والبيت المستقل والذرية . وقد تتفوق الفتاة على الولد في دراسته ولكنها في اعماقها لا تحلم الا بعالمها الخاص الجديد ، ولا يغني نجاحها العام عن عالمها الخاص شيئاً مهما تظاهرت هي بالعكس . والتظاهر فن تتقنه بعد ان يركبها عفريتنا هذا . وتستمر في التظاهر والتمثيل واحيانا الى درجات خطيرة وربما قاتلة لمن حولها او لها ايضا .

وعالم التظاهر وعلم التظاهر فن قاصر على الانثى . تتقنه وحدها . وتبدأ في خطواته الاولى بالمكياج الانثوي وباهتمامها بزيها الخاص وخياطتها المخصوصة وازياء المودة . وتتخيل بعضهن ان البارفان ما هو الا عرقها هي . وان السكر والعسل هو طعم اي شيء تلمسه باصبعها وتتظاهر بعضهن بان العيون كلها تنظر اليها والعقول كلها تتوه فيها . وقد يتمادى التظاهر هذا الى ان يصبح تصديقا . شكراً لعفريت الدم هذا .

انظر الى نفس المراة بعد اختناق عفريت الدم هذا في سن اليأس . تدني عليها جلبابها . لا تهتم كثيراً بنفسها ما تغير فيها شيء إلا اختناق هذا العفريت داخلها .

والواقع ان كثيراً جدا من الجرائم الجنسية وانحرافاتها قد يقع فيها من كانوا يوماً ما ملائكة اطهاراً ولكنه هذا العفريت لعب بهم وسيطر عليهم ورماهم بسهمه ثم انسل . وما منا إلا ولديه عفريته . وكثير ممن حرموا من هذا العفريت او قلت فيهم عفرتته تمنوا العكس !

قال لي مريض بالغدة يوما - وهو شيخ وقور : كم اتمنى لو كنت اقفز من سقف بيت الى بيت ويجري ورائي الناس ليضربوني !

هذا وقد يظهر عفريت الكولسترول في الدم لابسا قناعا اخر تماما . هذه المرة يظهر على هيئة هرمونات الغدة الكظرية التي تقبع فوق الكلى .

احد هذه الهرمونات الكظرية هو هرمون الالدوستيرون وهو الهرمون الذي يحبس الملح وبالتالي الماء المذيب لهذا الملح في داخل الجسد . ولو غاب هذا الهرمون تماما مات الانسان لان الانسان لا يعيش بدون الملح والماء داخل دمه . وكانما كان الانسان الاول فعلا خلية اميبية ساكنة داخل مياه البحار المالحة . ثم خرجت هذه الخلية من الماء المالح الى سطح الارض ثم تطورت . ولكنها في كل هذه الاطوار لا زالت تحتفظ داخل كيانها بالملح والماء الذي نشات اصلا داخله !

هرمون الالدستون هذا اذا نقص نشا مرض اديسون وهو مرض يتميز بالضعف بل الوهن الشديد. فلا يقدر على اي مجهود عضلي ولو السير الى مسافة معقولة مثلا . ويعاني دائما من انخفاض بل هبوط دائم ثم تغمق بشرته كانما حرقته الشمس العادية هذه .

ومن هرمونات الغدة الكظرية ايضا والتي هي اساسا كولسترول متحور هرمون يحول سكر الدم الى نشا ثم يحول النشا الى دهن وهذا الهرمون العجيب يلعب دورا خطيرا في السمنة وفي مرض السكر . ومن هرمونات الغدة الكظرية ايضا هرمونات جنسية اخرى غير هرمون الخصية او المبيض . هذه الهرمونات إذا زادت قد يبدو الطفل هرقلياً : طفل في سنواته العشر الاولى ومع ذلك عنده شارب وعضلات واعضاء جنسية مكتملة . او قد تبدأ طفلة تحيض وهي بعد في السنوات الأولى من عمرها . ولكن معظم هذه الحالات يكون مصحوبا دائما بنقص تفكيري وذكائي وذاكرة وربما تاخر عقلي واضح . لان العقل لا ينضج ابداً بالهرمونات . العقل لا ينمو ببطاقة صادرة من عفريت الدم . وليس لعفريت ما سلطان على العقل . وهذا من فضل الله . والا كان عقل الانسان عرضة لنوبات مع نمو سنه او مع تقلب عاطفته او مع نشاط الهرمون في الشباب ثم نقصه في الشيخوخة المذكرة وانعدامه تماما في الشيخوخة المؤنثة . موضوع نمو العقل ونشاطه نتعرض له في مقال اخر انشاء الله

فيتامين د

الصورة الثالثة : قلنا ان الكلوستيرول قد يظهر على هيئة دهن دم وقد يلبس قناعات فيظهر على هيئة هرمونات ذكورة او انوثة او هرمونات كظرية . ولكن هناك صورة او هيئة اخرى او قناع اخر قد يظهر فيه هذا الكولسترول :

قد يظهر على هيئة فيتامين (د) الذي يمتص الجير الكلسي او الكالسيوم من الأمعاء ثم يرسبه على العظام بغرض تقويتها وتمتينها بالاسمنت . حتى يمكن للهيكل العظمي ان يحمل ثقل الانسان وان يتحرك به ايضا . وهذا الفتامين يقل في الشيخوخة . كما ورد في وصف الشيخ .



« وهن العظم مني » هنا عفريتنا نقص ونكث عن العمل .

وهذا الفيتامين يعمل اساسا في نطاق نفوذ محدود وهي الكلى . يمنع الكلى من ان تتبول كلس عظام الجسم الى الخارج بل يجعلها تحتفظ به الى مستوى معين في الدم ومن ثم يترسب من الدم الى العظم . فنقص هذا الفيتامين اذن يصيب الكلى ذاتها بمرض فشل كلوي مزمن الطفل المصاب به لا ينمو . بطنه دائما كبيرة . عظامه دائماً اضعف من ان تحمله . مع تاثيرات جانبية طبعا على الشعر والاظافر والذاكرة واحيانا الجنس .

وزيادة هذا الفيتامين ايضا ضارة تسبب ترسيب الجير في فم الكلوة ذاتها . بعبارة اخرى يتحول الجير من العظم الى لحم الكلوة وبعض العضلات والانسجة الطرية وترسيب الجير في لحم الكلوة اخطر كثيراً من تكون الحصو في الكلى . لان الاولى تعني تعطل وظيفة الكلى بصفة دائمة بينما الثانية تعبر فقط عن تغيير مؤقت في البول من حيث درجة ترسيب الاملاح به او من حيث سلاسة انطلاقه المعتاد .

الصفراء

الصورة الرابعة : واخيرا فقد يظهر الكولسترول اللعين وقد غير ترتيب بعض ذراته فاذا هو حمض العصارة الصفراوية التي تفرزها الكبد والتي تتجمع في المرارة والتي قد يسبب انسداد جريانها مرض الصفراء وقد يسبب تركيزها مرض حصوة المرارة او التهابها . وهكذا من يفلت من هذا العفريت من حيث تصلب الشرايين قد لا يفلت منه من حيث اضطرابات الهرمونات او وهن العظم او تعظم الانسجة والاعضاء خصوصاً الكلى او التهاب وحصوات المرارة.

والعجيب ان معظم التهابات المرارة وحصوها يكون في النساء وخصوصا وفيرة الانجاب منهن والسمينة الغليظة القوام وفيما بعد سن الاربعين بالذات حينما يركز العفريت ضرباته .

ولايذكر العلماء اي حسنة لهذا العفريت من خلف كل هذه الاقنعة الا مرة واحدة عندما يكون احد هرمونات الغدة الكظرية المسمى « ديزوكسكور تكوسترون » بعض اللعب بهذا الهرمون قد يقوي ويشد عضلة القلب .

ومع هذا فهذا العفريت العجيب لا زال غامضاً على العلماء . واذا كانوا قد كشفوه وهو يرتدي عدة اقنعة الا انهم لم يكشفوا كل الاقنعة : وما اوتوا من العلم إلا قليلا. ولا نعلم ما يميط الغد اللثام عنه بعد في هذا الصدد .

رسالة لندن من

مجدي نصيف

أضخم مهرجان في أوروبا

فن لا يعرف الخجل من الواقع

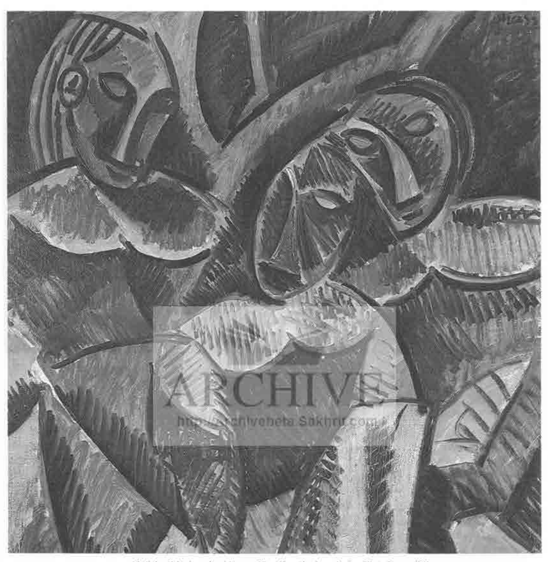




المهرج والجيتار : لوحة للفنان الاسباني الذي التزم تماما بالتكعيبية الصارمة (١٩١٧) .. ثم لوحة اخرى للفنان رسمها لزوجته « جوزيت » عام ١٩١٦

نادرا ما يجتمع مثل هذا العدد من الاعمال الفنية لاتجاه واحد من اتجاهات الفن المعاصر ـ هو التكعيبية ـ في مكان واحد . ذلك انه كان هناك ما يربو على المائتين وخمسين لوحة وتمثال عرضت « بالتيت جاليرى » بلندن ، جمعت من اماكن شتى في العالم لتعرض هنا . حتى لقد قال « وليم باكر » الناقد الفنى لصحيفة « الفاينِنشيال تايمز » البريطانية :

« إن هذا المعرض لهو على قدر من الأهمية يفوق اى معرض يمكن ان نراه فى



ثلاثة وجوه تحت الشجرة : إحدى لوحات بيكاسو التي رسمها في باريس في شتاء عام ١٩٠٧

لندن او فى اى بلد اخر ، سواء هذا العام او اى عام اخر ، ربماكان هذا ادعاء كبيرا ، لكن حقيقته لا يمكن تخطيئها بالنظر إلى الشواهد المعلقة على جدران المعرض » .

كيف استطاعت صالة عرض « تيت » اللندنية ان تجمع كل هذا الكم من الأعمال الفنية ؟

لقد كلف « الان بونيس » مدير الصالة ، الخبيرين « دوجلاس كوبر » و « جارى تيترو » بتهيئة هذا المعرض ، فقدما عملا رائعا بالفعل ، اذ قاما بجمع مائتين وخمسة وثلاثين عملا فنيا معظمها لوحات وبعضها تماثيل (تكعيبية) ممـا لا يقل عن خمسين متحفا ومائة شخص يحتفظون لديهم بهذه الأعمال .

قاما بعد ذلك بتصنيفها تاريخيا ، حيث وضعت فى ست صالات بالتيت جاليرى ، ثم قاما بعمل « كتالوج » يضم اللوحات وكلمات عنها وتاريخ انتاجها ، و « الكتالوج » فى حد ذاته يمثل عملا رائعا .

إن هذا المعرض يبين التاريخ الزمنى للتكعيبية وتطورها على يد الفنانين الأربعة الأساسيين لهذا الفن وهم : براك ، وبيكاسو ، وجريس ، وليجيه بين عامى ١٩٠٧ و ١٩٢٠ كذلك ضم المعرض اعمال الفنانين المثالين لورين وليبشيتز ، هذا الى جانب اعمال فنانين فرنسيين قدموا اعمالا للحركة التكعيبية فى سنواتها الأولى وهم الفنانون ، ديلونى ، ، وجلبزيه ، وماركو سيس ، وميتنزنجر ، وفيلون .

وساعد على نجاح هذا المعرض ان بعض المتاحف اعارت اعمالا تكعيبية فى



جورج براك .. فنان المناظر الطبيعية الذى رفض « موجة » الوحشية !

الفنان جوان جريس مع زوجته فى الاستديو (١٩٢٢)

حوزتها لم تكن تسمح باخراجها إما لانها غالية الثمن، وإما لأن نقلها يشكل خطورة بالغة لانها هشة . واذا تصورنا الاموال المطلوبة لنقل هذه الأعمال وارجاعها إلى اصحابها وكذلك الاموال التي بذلت للتامين عليها ، وما صرف على طباعـــــة ونشر الكتالوج ، لادركنا ضخامة هذا العمل .

نجوم التكعيبية

وليست اهمية هذا المعرض العظيم فى جماليات الفن التى تتاح لأول مرة للجمهور العادى ولدارسي التكعيبية ومحبيها ومحبى الفن عموما ، ولكن اهميته تكمن ايضا فى انه يساعد على دراسة هذا الفن بالذات ، ذلك لأنه ـ فى مجال الفن ـ تركز الاهتمام فى السنوات الخمس عشرة الأخيرة على التكعيبية ومعرفة اسرارها .

فالتكعيبية هى بـــراك وبيكاســـو واصدقاؤهما ، ومازالت صورتها فى اذهـــان المثقفين على انها استعراض لحيل الفن الحديث ، وانها فن مشاغب ساخر ، مدمر ، صعب ، وغامض ، بل ومعاد للفن !

لكن الحقيقة ان الفن الحديث ليس حيلة ، ولا يمكن ان توصم التكعيبية بهذه الصفات . فالاعمال الفنية المعروضة بالتيت جاليرى ، هى نفسها التى تكذب تلك الادعاءات . انها نخبة ممتازة مقتناة

عرضت امامنا ، وهى ايضا تعرض لنا كل تحول ذى مغزى فى قصة التكعيبية ، ابتداء من التلمس التجريبي الأول عام ١٩٠٧ عندما تحرك بيكاسو وبراك كل منهما ليتقابلا (فنيا) حتى الشتات النهائى والتفرق الذى حدث حوالى عام ١٩٢٠ .

لقد افلح الناقدان الخبيران ـ كوبر وتيترو اللذان اختارا الاعمال الفنية للعرض ـ فى التوصل إلى التمثيل القاطع الوضوح للتكعيبية . وحقيقة الامر انه بالنسبة لى استطيع ان اقول اننى استمتعت بهذا الفن ، وإن لم يقتنع المرء

بتلك المختـــارات فلن يقنعـــه شيء اخر ، خاصـــة عندمـــا يسير المرء ويتامل لوحات المعرض وفى يده هـــذا الكتالوج الرائع ، وبعد ان يقرا الكتيب المصاحب !

إن اول ما يمكن ان نقوله عن المعرض ، هو ذلك الجمال الطبيعى لكل ما فيه ، وكذلك مدى تقدمه التقنى .

لقد ظلت التكعيبية تحت مجهر الفحص ودراسات تاريخ الفن ، وظلت فريسة للانتقاد والنقد والتحامل ، لوقت اكثر من اللازم ، ومع ذلك ظلت غامضة ، لم تقدم ملامحها ، ولا عناصر الجمال الكامنة فيها .

إن ما يفعله المرء الذى « يتفرج » على هذا المعرض ، هو انه يعيد النظر فيما عرض امامه ، فى لوحات صنعها وانتجها فنانون، فهى بالفعل اعمال فنية عظيمة قبل

كل شيء . ان الالوان فى اللوحات غنية كثيفة ، واللمسات رقيقة ومقتصد فيها ومؤثرة على الدوام .

لقد خصصت ثلاث حجرات فى المعرض لتبين التعاون والتطور المتوازى لبيكاسو وبراك بين عامى ١٩٠٧ و ١٩١٤ ، وهى الفترة التى يطلق عليها النقاد « فترة التماسك الكامل لاعادة التعبير غير العادية لما قد يراه الفن ، ولما قد يفعله ، قبل ان يبدا تشكيل اكثر حرية واكثر خصوصية وذاتية ليحل محل ذلك التحليل المنضبط » .

ان الاعمال الفنية لهذين الفنانين



الفنان فيرناند ليجر وهو من مشاهير الفن التكعيبي



بيكاسو ، راسم الأشخاص ، البدائي والرمزي ، الذي يتميز بالحضور القوي !

العظيمين تولد قوة تذوق جمالى مدهشة واستثارة حسية هائلة .

وحقيقة الأمر ان التجربة التى تعطيها كل حجرة من حجرات « التيت جاليرى » عندما قدم معرض التكعيبية الأساسية ، ستظل اكثر رسوخا فى الذاكرة لانها غير قابلة للتكرار ، حيث ان مثل تلك المجموعة من الاعمال الفنية من الصعب ان تجتمع معا مرة اخرى ، الا بمعجزة !

يقول الناقد وليم باكر « ان الجديد فى الموضوع لم يكن فى حقيقة الأمـــر ، الاستقلال التصويرى ، او البحث العلمى فى عمليات الرؤية ، وذلك لأن الفنانين التاثيريين ومن بعدهم « الفـــوفيست » (الوحشيون – لو صح التعبير – وهم أصحاب حركة فنية مضـــادة لحركة التاثيريين وهى تهتم بتجديد الأشكال ، ومنها الفنان فان جوخ) كانوا جميعا بطرقهم الجديدة قد خاضوا فى غمار نفس البحر من قبل » !

التزام بدون خجل

لكن كما يقول مؤرخو الفن الحديث ، فان الحركة التكعيبية فى الحقيقة هى التزام غير خجل يرى ان الشيء الذى يرسمه الفنان لا يحتاج بان يرسم كما هو بنفس صورته ، لكى يعطى الاحساس بانه هو . ولتبسيط المسالة كما يقول بيكاسو فانه يكفى للفنان ان يعرف مكونات الشيء ثم يرسمه كما يريد . فالوجه مكون من عينين وفم وانف ، يرسمها الفنان كما يريد ، وكما يحس بها ، وليس بملامحها المالوفة فى الوجه !

فالرسم يمكن ان يمنحنا إحساســـاً مكافئاً بالخبرة عن الموضوع ، يعطينا شيئاً من نظام مخالف إلى حد ما عن التمثيل او الايحاء أو الوصف التقليدى . إن لنا عينين تريان فى نفس الوقت اشياء مختلفة ، او على الأصح همـــا تسجلان نفس الشيء بطريقة مختلفة ، رغم أن تلك الاختلافات فى الرؤية تحل بطريقة غير محسوسة ، ولا تثبت تلك العيون ابداً !

« ان التوقع التقليدى وحده يجعلنا نشعر بان الصورة المرسومة يجب ان تظل متكافئة غير متحركة ، جانبية كما لو كانت ترى بعين واحدة » .

الخروج من الطريق الضيق

ويحصر معرض « التيت جاليرى » الشيء الغريب ان تلك الصور التى رسمها الفنانون التكعيبيون ، تلك اللوحات المقطعة الأوصال ، والتى ينظر إليها عامة الناس على انها رسومات مشوهة ، والتى كادت أن تكون فى وقتها غير مفهومة .. تلك الصور قد أصبحت واضحة ومفهومة بمرور الأيام .

لقد فتح باب الفن إذن لمن يريد المرور ، لأن الرسم يمكن ان يصبح عندئذ اى شيء يرغب فيه الفنان .شيء ما وهم حقيقة او ايحاء ، او كلاهما معاً . لقد جاءت الحرية من التقليد واصبحت المسؤولية الجديدة ثقيلة . ذلك ان الفنانين قد أصبحوا احرارا فيما ينتجون وفيما يعملون . لقد انتهزوا الفرصة التى جاءت من التجربة بعد وقت قصير .

بدا الفنانون يختـــارون الامكانات الزخرفية او التاثيرية او التقليديـــة للتكعيبية !



الفتاة والطوق : من لوحات الفنان بيكاسو عام ١٩١٨

دراسة للراس : لوحة للفنان « جاك ليبشتز » ، لا ترى فيها من ملامح الوجه غير اللسان المتدلي واربعة أسنان !

اللندنى نفسه فى الفنانين الرئيسيين للحركة التكعيبية ، وفى حلقتهم الوثيقة . ولكن حتى هنا ، فان القصة فى فصولها

الأخيرة ، كانت قصة تنوع وتطور ذاتى ، ذلك أن الحركة التكعيبية ذاتها انحصرت فى عدة فنانين ، بل ونكاد ان نقول انها

انحصرت ـ اساساً ـ فى براك وبيكاسو !

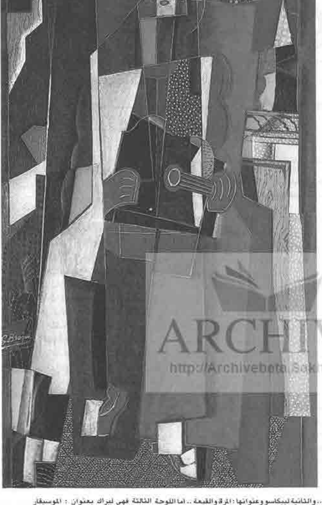
ومنذ بداية ظهور الحركة حوالى عام ١٩١١ ، فان الفنانين الثـــانويين (فى الحركة) يخرجون بجمال التعبير عن الطريق الضيق : ديلونى وجليزس وفيلون وماركو سيس وتنزجر . ويبدو وكان ليجيه يحاكي ـ بطريقة غريبة ـ شاجال حوالى عام ١٩١٢ . لكن رغم ذلك لا يقلل هذا ابداً من حيويتة وزخرفية رسومه .

« وحتى جوان جريس ، ذلك الاسبانى النشط المتسلل الذى اصبح بعد عام ١٩١٢ اجود الثانويين من الفنانين التكعيبيين ، والذى التزم تماماً بالمبادىء التكعيبيـــة الصارمة ، وكان له تاثير خاص ، حيث دفع **اساتذتـه في الفن الى تخفيف « قسـوة » فنهم باستخدام الوان اخف و « باليته » اكثر تلويناً !**

أما ليتشتز ولورنز ، فانهما الفنانـــان اللذان « ينحتان » ، ويقدمان التماثيـــل التكعيبية ، وهما بذلك ينقيان البديل الثلاثى الأبعاد .

لكن يظل براك وبيكاسو هما بطلا المعرض كله ، وتظل أعمالهما الفنية هى مادته الأساسية . فالعرض ينتهى بهما ، كما بدأ بهما ، رغم أن طريقيهما قد تفرعا .

لقد كانت هناك دائما اختلافات اساسية بينهما . لكن الفن التكعيبى كان فى حاجة اليهما معاً ، فى حاجة الى كل من العنصرين المتكاملين : الفنان براك راسم







ثلاث لوحات : اولها لجريس بعنوان زجاجة ماء و طبق فاكهة .. والثانية لبيكاسو وعنوانها : المرأة والقبعة .. أما اللوحة الثالثة فهي لبراك بعنوان : الموسيقار

المناظر الطبيعية الذى يرفض « موجة » « الفوفيست » والذى يلقى بنظره ناحية سيزان ، والفنان بيكاسو راسم الأشخاص : البدائى والرمزى حيث تتقابل الكلاسيكية والرومانسية فى لوحات الأشخاص غير المتحركين وحياة الحجرة !

لقد كررا المشاركة فى موضوع الأعمال الفنية ، وكانت أعمالهما غير الموقعة ضحية الصعوبة ، حيث ارجعت فورا اليهما !

على أنه ليس من الخيال ان نتبين فى براك احساسا أكثر تعقلا ، وسمة بنائية أكثر ثباتا فى الموضوع ، ولمسة مكبوحة الجرح ، وربما وجلة !

وللفنان بيكاسو حضور اقوى ، وتأكيد أكثر نشاطا !

وبينما ظل براك تكعيبيا - فى الأساس - طوال حياته ، يتشعب بيكاسو فى جميع الاتجاهات !

● ●

على أن التكعيبية لم تكن أبدا قضية جامدة منغلقة على نفسها ، ولم تكن أبدا نظاما ، ولكنها كانت طريقة للاستجابة للأشياء المرئية .. كانت طريقة لجعل الفن قابلا للتكيف بطريقة لا متناهية .

ظلت التكعيبية مع بيكاسو أيضاً معطية له فى نفس الوقت حرية فى التكوين ، ونظاماً فى البناء ، كانا بميزان معاً كل شيء يفعله . هنا نجد انفسنا معه ، ننظر فى كلا الاتجاهين فى نفس الوقت ، للأمام وللخلف ، وفيما بعد يصبح هذا هو مجال التكعيبية .

مجدى نصيف

ردّ على نعمان عاشور

- المسرح فن المشاركة وليس فن الفرجة
- الحوار الجيد أسلوب وليس لغة
- هل صحيح أن المسرح لا ينتعش إلا بالحرية

بقلم: حافظ أمين

اخي وصديقي نعمان

في مقالكم الممتع (لغة الحوار في المسرح) المنشور في العدد ١٠١ من الدوحة (مايو ١٩٨٤) تقولون ان المسرح فن الفرجة ، وإن الكوميديا هي الفرجة التي تبعث فينا السرور والبهجة ، والتراجيديا هي الفرجة التي تبعث فينا الاحساس بالرهبة ، وارجو أن تسمح لي بالاختلاف معكم ، فاقول ان المسرح فن المشاركة الدرامية وليس فن الفرجة . ذلك انه يختلف عن باقي فنون الفرجة دون المشاركة الايجابية ، كالسينما والتليفزيون والفيديو ، كما يختلف عن العروض غير الدرامية ، التي يساهم فيها الجمهور بالمشاركة ، كعروض الرياضة والغناء .

وعندما اسالكم تغيير وصف المسرح من (فن الفرجة) الى فن (المشاركة الدرامية) ، فانني لا اطلب تغييراً شكلياً بسيطاً ، وانما ارى ان من اهم اسباب ازمة المسرح العربي في السبعينات ، عدم ادراك مؤلفي الستينات ان المسرح لم يعد فنا للفرجة ، منذ انتشار التليفزيون في المنازل .

لعلي لا اقول لكم شيئا جديدا عليكم ، عندما اذكر ان المسرح يجب ان يقدم عروضا مختلفة كل الاختلاف عما تقدمه وسائل الاتصال الاخرى ، خاصة إذا كانت هذه الوسائل اقل تكلفة ومشقة . فالتمثيلية التي يكتبها المؤلف . وتكون صالحة للعرض في التليفزيون ، لن تجد لها جمهوراً كبيراً إذا عرضها المسرح .

والغريب ان معظم مؤلفي مسرح الستينات لم ينتبهوا الى هذه الظاهرة ، واستمروا في الكتابة بنفس المنوال الذي كان يكتب به ، مع ان هذه المنافسة لم تكن امرا جديداً على المسرح العربي ، الذي واجه مثلها خلال الاربعينات ، عندما انتشرت الاذاعة والسينما ، وواجه يوسف وهبي وعلي الكسار وغيرهما ازمة مماثلة ، ولم يستطع التغلب عليها إلا القليلون ، من امثال نجيب الريحاني الذي انتبه إلى ضرورة تغيير المؤلف ، فحل بديع خيري مكان امين صدقي .

وكان من نتائج عدم انتباه مؤلفي الستينات الى هذه المنافسة الجديدة ، إصابة الكثير منهم باليأس والاحباط ، بل لقد توفي بعضهم متاثرا بهذا الاحباط وهو في ريعان شبابه ، مثل ميخائيل رومان ونجيب سرور ومحمود دياب .

إن النجاح الكبير الذي لاقاه مسلسل (عيلة الدوغري) وعرضه التليفزيون في اواخر السبعينات ، وامثاله من العروض التليفزيونية الناجحة ، اكبر دليل على ان رجال المسرح في الثمانينات إن ارادوا اجتياز الازمة لابد ان يقدموا للمسرح شيئا مختلفا تماما عما يقدمه التليفزيون ، شيئا يلح رواد المسرح على رؤيته ولا يستطيع التليفزيون تقديمه ، شيئا يسمى (فن المشاركة الدرامية) لا (فن الفرجة) ،

يجب على مؤلفي مسرح الستينات ان ارادوا مواصلة التاليف لمسرح الثمانينات ان يدركوا ادركا كاملا من هو جمهورهم الجديد ، وما هو الشكل الدرامي الذي سيجعل طالب الدراما في ايامنا يترك مكانه المريح امام التليفزيون ، ويتكبد مشقة الطريق ، ويتوجه لا إلى السينما او إلى المسارح التي تشبه الكباريهات ولكن إلى المسرح الجاد .

إن جمهور المسرح يطلب الاشتراك الايجابي والتفاعل الحي مع ما يقدم له ، وجمهور المسرح يبحث عن اعمال تصور المشكلات الحقيقية لمجتمعه ، فلابد ان يكون مؤلف الثمانينات مدركا لمشاكل الثمانينات ، ولابد ان يكتب مسرحياته في اشكال تضاعف تفاعل متفرج الثمانينات ، هذا التفاعل الذي حرمته منه باقي الوسائل .

●●

اما الاختلاف الثاني ، الذي ارجو من اخي وصديقي نعمان ، ان يتقبله مني بصدر رحب ، فهو ان اطلق على (الاشتراطات الفنية المطلوبة في الحوار المسرحي الجيد) كلمة (اسلوب) وليست كلمة (لغة) ، فالحوار الذي يتصف بالوضوح والتركيز ، وقوة التعبير ، وعمق الاحساس ، وجمال الموسيقى ، وغير ذلك من الاشتراطات الضرورية في الحوار الجيد ، يسمى (اسلوبا) دراميا ، وليس (لغة) درامية .

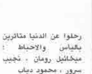
وهذا الاختلاف غير شكلي ايضا ، لان نتائجه خطيرة جداً ، ولعل من اخطر نتائج هذا التعبير ، وصف اللغة العامية بانها اللغة الدرامية !! ، وتفسيركم فشل عروض توفيق الحكيم ومحمود تيمور وعلي باكثير .

ومن قبلهم مارون النقاش واديب اسحق وجورج ابيض بانها كانت عروضا باللغة الفصحى ، وكان ليس في اللغة الفصحى اسلوب درامي يتميز باشتراطات الحوار المسرحي الجيد .

إن هذا يبعدنا كثيراً عن جذور مشكلة المسرح ، والتي اراها تتلخص في ان اهم اسباب النجاح او الفشل هو في اختيار



رحلوا عن الدنيا متاثرين باليأس والاحباط : ميخائيل رومان ، نجيب سرور ، محمود دياب








قادوا انتعاش العشرينات المسرحي :نجيب الريحاني يوسف وهبي ، علي الكسار






توفيق الحكيم ، ومحمود تيمور ، وعلي باكثير .. وسؤال يقول : اليس في اللغة اسلوب درامي يتميز باشتراطـــات الحـــوار الجيدة ؟






المؤلف لموضوع المسرحية ، وليس في فصاحة اللغة أو عاميتها . ولعل ازمة السبعينات ليست إلا مرحلة انتقال من موضوع الى موضوع ومن شكل الى شكل ، تماما كما حدث للمسرح في الاربعينـــات .

وتوجد الآن ارهاصات لانتعاش مسرحي

قادم ، شيء مماثل للانتعاش الذي قاده يوسف وهبي ونجيب الريحاني وعلي الكسار وزملاؤهم في العشرينات ـ بعد ثورة ١٩١٩ ـ وكان هناك وقتئذ إجماع من الشعب وقادته على ضرورة مواجهة الاستعمار والتغريب . وشيء يماثل ايضا الانتعاش الذي قادته الفرق المسرحية بعد ثورة ١٩٥٢ ـ وعلى راسها المسرح القومي والمسرح الحر ـ وكان هناك اجماع من الشعب والحكومات على ضرورة مواجهة الظلم الاجتماعي

يحدث الآن بداية اتفاق بين الشعب وقادته على مواجهة المشكلة الجديدة ، وهو اتفاق يشير الى قرب حدوث نهضة مسرحية جديدة ، وتتلخص المشكلة الجديدة في سلبية الناس وتسيبهم وضعف الانتماء .

خلال السنوات الأخيرة من السبعينات ، والسنوات الأولى من الثمانينات ، كانت

هناك فجوة عميقة بين الناس والحكومة . كان كل منهما يتصور أن الآخر هو العدو الأول للاصلاح ، وكان العدو الحقيقي قد اخفى نفسه عن الاثنين ، وكأنه يلبس طاقية الاخفاء ، يعبث مرة بالحكومة ، ومرة بالشعب ، فيجعل كلا منهما يتهم الآخر بانه اصل العبث . كما يحدث في الافلام الهزلية ، الى ان تنبه الاثنان الى اصل العبث .

على مؤلفي مسرح الستينات ان يتذبهوا الى هذا اللون الجديد من الصراع ، والى ان الشكل المرتقب للمسرح الجديد سيكون اكثر وضوحا واقل نعومية من مسرح الستينات ، ذلك المسرح الذي كان يقوم في اغلبه على الأشكال الاوتشركية والرمزية .

ان شكل المسرحية يتاثر أولا بموضوعها وثانيا بوسائل الاتصال المنافسة ، فعندما كان مسرح العشرينـات بلا منافس تقريبا إذ لم يكن قد انتشر الراديو والسينما ـ وكانت الموضوعات الغالبة حينئذ هي التهكم على ظاهرة التفرنج ، او التنبيه الى مخاطر الاستعمار ، كان الشكل الغالب للمسرحية هو المهزلة الصاخبة او الميلودراما الصارخـــة . وعندمـا كان المنافس الاول لمسرح اواخر الخمسينات واوائل الستينات هو السينما ، كان الموضوع الغالب هو الصراع العميق بين طبقات شعب واحد ، كان الشكل الغالب في المسرحية هو الرمز ، والكوميديا الخالية من الصراع العنيف والقصة المثيرة .

لهذا يجب ان يدرك مؤلفو المسرح الجديد أن النهضة المسرحية القادمة (وقد اتت في ظل منافسين جديدين ، هما التليفزيون والفيديو ، والصراع فيها ضد عدو خارجي شرس) ستعتمد على مسرحيات مختلفة تماما عن مسرحيات الستينات .

●●

اخي وصديقي نعمان

هل اغامر واختلف معكم للمرة الثالثة ، فاقول لكم أن تركيزكم ـ في الفترة الاخيرة ـ على اعتبار (غياب الحرية) هو السبب الأول لأزمة المسرح ليس صحيحا كله .

نعم ! ان المسرح لا ينتعش إلا في ظل مناخ يتفق فيه الشعب مع الحكومة على اهمية التعبير عن المشكلات الحقيقية للبلاد ، ولكن هذا لا يعني بالضبط «الحرية» .

فانتعاش المسرح المصري ـ مثلا ـ في النصف الثاني من الخمسينات والنصف الاول من الستينات ، لا يعني ان مصر كانت تنعم بمناخ تسوده الحرية الكاملة في ذلك الوقت ، ولكن يعني ان حكومة الثورة قد اتحدت اهدافها مع اهداف مجموعة من المؤلفين المسرحيين المجيدين الذين امنوا باهداف الشعب حينذاك ، وانت طبعا على راسهم .

كذلك فان الأزمة الحادة التي مر بها المسرح العربي خلال السبعينات ، لا تعني ان الحرية كانت مفقودة تماما في ذلك العقد وانما تعني عدم تبلور الأهداف ووضوح الرؤيا .

ونحن هنا نتكلم عن المسرح الجاد . اما المسرح الهزلي الهابط ، فهو كالكباريهات ، ينتعش إذا امتــلات جــيوب عملائـــه بالأموال ، وانتعاشه يعني انحطاط البلاد . فليس هناك ما هو اخطر على الحضارة من ذهاب الاموال إلى هؤلاء الناس .

إن ترديد مؤلفي مسرح الستينات الاتهامات للرقابة على المصنفات الفنية ، ووضعهم كل اللوم على غياب الديمقراطية يبعدهم عن الأسباب الحقيقية للأزمة .

عزيزي نعمان

هل اختلفت معكم كثيرا ؟ ... لا باس .. فاختلاف الاصدقاء المخلصين او اتفاقهم ليس له إلا غرضٌ واحدٌ : هو الوصول الى الحقيقة .

والسلام .

عبــــاس خضــــر

نســـاء الفـرنجـة في الأدب الشعبي العربي



في خلال الحروب الصليبية وقبلها وبعدها اختلط العرب بالعجم ، وصارت بينهم صلات اجتماعية ذات طابع اسلامي ، بعيداً عن الحروب وويلاتها ، ونرى في ادبنا الشعبي كثيراً من هذه العلاقات ، نرى بنات الروم يتصلن بفتيان العرب ، ويكون بينهم مغامرات وحكايات ، ينتهي معظمها نهايات سعيدة ، بالزواج وانجاب الصبيان والبنات بعد ان تدخل الزوجة الافرنجية في دين الزوج المسلم : دين الاسلام .

وهذا جانب اجتماعي للحروب واحتكاك المحاربين من عرب وروم ، وهو جانب اكثر عمقا وثباتا من المعارك الحربية ، فالحرب تكون سجالا بين الفريقين ، يقع البلد في يد فريق ، ثم ينتزعه منه الفريق الآخر . أما الزوجة فقد استقرت عند زوجها ، وانجبت منه ، وصارت جذراً من جذور المجتمع .

الصعيدي والافرنجية

تحكي شهر زاد في الليلة الرابعة والتسعين بعد الثمانمائة ، فتقول للملك شهريار :

يحكى أن الامير شجاع الدين محمد والي القاهرة قال :

بتنا عند رجل من بلاد الصعيد حيث ضيفنا واكرمنا ؛ وكان ذلك الرجل اسمر شديد السمرة ، وهو شيخ كبير ، وكان له اولاد صغار بيض بياضهم مشرب بحمرة ، فقلنا له :

يا فلان ، ما بال اولادك هؤلاء بيضا وانت شديد السمرة ؟

فقال :

امهم إفرنجية .. اخذتها من بلاد الشام ، ولي معها حديث عجيب ..

ـ اتحفنا به .

ـ كنت قد زرعت كتانا في هذه البلدة ، ثم حصدته وانفقت عليه خمسمائة دينار ، ثم اردت بيعه فلم اره يكسب شيئا . فقالوا لي : اذهب به الى « عكا » وانت تربح فيه ربحا عظيما . وكانت عكا في ذلك الوقت في يد الافرنج ، فذهبت به الى هناك ، وبعته بثمن كبير ، ولكن باجل ، يدفع الثمن بعد ستة اشهر .

المراة والعجوز

وفي اثناء ذلك وانا في السوق مرت بي امراة افرنجية ، ونساء الافرنج كما تعلمون يمشين في الاسواق بلا نقاب . ارادت ان تشتري مني كتانا، فرايت من جمالها ما بهرني وشدني اليها ، فبعت لها شيئا من الكتان ، وتساهلت في الثمن متاثرا بجمالها ، فاخذته وانصرفت .

ولم تذهب صورتها من خيالي ، حتى عادت الي بعد ايام ، فبعت لها شيئا آخر ، وتساهلت معها اكثر من المرة الأولى . ثم كررت مجيئها الي ، ولم يخف عليها إعجابي بها . وقد اعتادت ان تمشي مع امراة عجوز ، قلت للعجوز وقد انتحيت بها جانبا :

ـ اني احب هذه الفتاة ، شغفت بها ، هل تحتالين لي في اللقاء بها ؟



— اتحيل لك في ذلك ، ولكن هذا السر لا يخرج من بين ثلاثتنا : انا وانت وهي .. ولابد من ان تبذل مالا .

ـ اذا ذهبت روحي في سبيل لقائي بها فما ذلك بكثير ..

واتفقنا على أن ادفع لها خمسين دينارا ودفعتها اليها عن طيب خاطر .

قالت العجوز :

ـ هيىء موضعا في بيتك ، وستجيء اليك في هذه الليلة .

مضيت وجهزت ما قدرت عليه من ماكل ومشرب وحلوى وشمع ، وكانت داري مطلة على البحر ، وكان الزمن صيفا ، ففرشت على سطح الدار ، وجاءت الافرنجية ، فاكلنا وشربنا ، وتقدم الليل فجلسنا تحت السماء والقمر يضيء ، وصرنا ننظر خيال النجوم في انعكاسه على ماء البحر .

قلت في نفسي :

« اما تستحي من الله عز وجل وانت غريب وتحت السماء وعلى بحر وتعصي الله مع إفرنجية وتستوجب عذاب النار ! اللهم اشهدك اني قد عففت عن هذه الافرنجية في هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك » .

وغرقت في النوم وانا مستريح الضمير ، فقامت هي في السحر دون ان اشعر بها ومضت الى حال سبيلها ..

فلما اصبح الصباح لم اجدها ، فحمدت الله وتوضات وصليت ، وذهبت الى حانوتي في السوق . ولم يمض إلا قليل من الوقت حتى رايتها هي والعجوز تمران بي ، ولمحتها غضبى .. وكانها القمر !

كاد عقلي أن يطير ، إذ عاودني الوجد والهيام .. قلت في نفسي :

« من انت حتى تترك هذا الجمال ؟ هل انت العابد الزاهد كالسرى السقطي او بشر الحافي أو الجنيد البغدادي او الفضيل بن عياض ؟ ! »

غادرت مكاني في الحانوت ولحقت بهما تباطات العجوز حتى لحقتها ، قلت لها :

— إرجعي الي بها ..

قالت العجوز كانها تؤنبني :

ـ وحق المسيح ما ترجع اليك الا اذا دفعت مائة دينار .

اعطيتها مائة الدينار ، وجاءت الي مرة ثانية ، فلما صارت عندي رجعت الى تلك الفكرة ، وداخلني الشعور باني مقبل على ذنب عظيم .

الرغبة والتعفف

عففت عنها ، وتركتها .

ولما كنت في السوق صباح اليوم التالي عبرت تلك العجوز وهي غضبى .. قلت لها

ـ هلا رجعت بها الي ..؟

قالت وهي لا تزال في غضبها :

ـ وحق المسيح ما تفرح بها بعد ذلك إلا بخمسمائة دينار او تموت كمدا ..

نساء الفرنجة في الأدب الشعبي العربي

فارتعدت لذلك ، وحرت في أمري بين الرغبة في المراة والمبلغ المطلوب ، بل كانت الحيرة في الحقيقة بين الرغبة في المراة والتعفف وخشية الله .

وبينما انا كذلك اذا المنادي ينادي :

ـ يا معشر المسلمين ، ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد انتهت ، وعلى من هذا من المسلمين الغرباء ان يرحلوا الى بلادهم في خلال اسبوع يقضون فيه حاجاتهم وينصرفون .

انقطعت العجوز ، واخذت في تحصيل ثمن الكتان الذي اشتراه مني الناس ، وأسرعت في بيع ما بقي باي ثمن .

ثم خرجت ومضيت الى دمشق ، وكان معي بعض البضاعة فبعتها بثمن اكبر ، لانقطاع وصول السلع بسبب انقضاء الهدنة ورجوع الحرب . كل ذلك وفي قلبي من الافرنجية ما فيه من شدة المحبة وعظيم الشوق .

الملك الناصر والافرنج

واردت ان اسري عن نفسي واشغلها عن ذلك ، فاتجرت بما معي من مال في الجواري عسى أن يذهب ما بقلبي من الافرنجية ، ومضت ثــلاث سنوات وما زلت اشــعر بالحنين اليها .. جرى للملك الناصر مع الافرنج ما جرى من الوقائع ، ونصره الله عليهم ، واسر ملوكهم وامراءهم ، وصارت بلاد الساحل كلها في ايدي المسلمين .

وردت علي تجارتي في الجواري اموالا كثيرة ، فقد كان انتصار المسلمين مدعاة الى كثرة السبي من بنات الافرنج ، كنت اشتري الواحدة بعشرة دنانير وابيعها بمائة . اتفق ان جاءني رجل وطلب مني جارية للملك الناصر ، وكان عندي جارية حسناء ، فعرضتها عليه ، فاشتراها له مني بمائة دينار ، وقال : ليس معي الآن إلا تسعين دينارا خذها وتبقى لك عشرة . ولما طلبتها لم يجدوا في خزانة الملك ذلك اليوم شيئا ، لانه انفق الاموال جميعها في حرب الافرنج ، فاخبروه بذلك ، فقال : امضوا به الى خزانة السبي ، وليأخذ واحدة من بنات الافرنج في العشرة دنانير ..

اخذوني الى خزانة السبي فرأيت هناك الجارية الافرنجية التي كنت تعلقت بها في عكا ، عرفتها حق المعرفة ، وكانت امراة فارس من فرسان الافرنج ، فقلت : اعطوني هذه ، فاخذتها ومضيت الى خيمتي ، وقلت لها :

ـــ اتعرفينني .

ـــ لا .

ـــ انا صاحبك الذي كنت تاجرا في الكتان بعكا ، وجرى لي معك ما جرى .

ـــ آه .. تذكرتك .

ـــ اخذت مني الذهب ، وقلت على لسان العجوز ما تنتظرني إلا إذا دفعت خمسمائة دينار ، وقد اخذتك ملكا بعشرة دنانير .. فجزعت اشد الجزع .

ـ هذا سر دينك الصحيح ، اشهد ان لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله .

اسلمت وحسن اسلامها ، فقلت في نفسي والله لا امضي اليها إلا بعد عتقها وزواجها وذهبت الى القاضي ابن شداد ، وحكيت له ما جرى ، فعقد لي عليها .

حملت مني وعاشت معي على احسن حال ، وبعد مدة اعلن ان الملك يطلب الاسرى والسبايا تنفيذا لاتفاق وقع بينه وبين امراء جيش الفرنجة يقضي برد الاسرى من الجانبين ، ورد من كان في حوزة المسلمين من الرجال والنساء ، ولم يبق إلا المراة التي عندي . قالوا ان امراة الفارس فلان لم تحضر ، وسالوا عنها ، والحوا في السؤال ، فاخبروا انها عندي ، فطلبوهــا مني ، فجزعت اشد الجزع ودخلت عليها ، فلاحظت تغير لوني وما اعتراني ، فقالت لي :

ـ مالك وما الذي اصابك ؟

ـ جاء رسول الملك ياخذ الاسرى جميعهم ، وطلبوك مني .

ـ لا باس عليك ، اوصلني الى الملك وانا اعرف ما اقول له بين يديه .

فاخذتها وذهبت بها حتى كنا امام الملك الناصر ورسول الافرنج جالس على يمينه .

فقال لها الملك :

ـ قد فك الله اسرك ، وجاء هذا الرسول لياخذك الى بلادك .

ـ اني قد اسلمت وتزوجت هذا الرجل ، وقد حملت كما ترون بطني .

فقال الرسول :

ـ ايهما احب اليك هذا المسلم ام زوجك الفارس فلان ؟

فقالت له :

ـ هذا المسلم احب الي .

فقالوا لي :

خذ امراتك وامض .

صندوق من امها

وارسل رسول الافرنج خلفي رجلا يقول لي :

ـ ان امها ارسلت اليها هذا الصندوق ، فخذه وسلمه لها .

ـ ولما كنا في الدار تسلمت الصندوق وفتحته ، فرأينا فيه ثيابها ومعها الصرتان : احداهما بخمسين دينارا والاخرى بمائة دينار ، وهي الدنانير التي دفعتها اليها في عكا .

حمدت الله تعالى ، وهي تعيش الآن معي ، وهي التي صنعت لكم هذا الطعام وهؤلاء الاولاد منها .

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

هذه القصة تشبه قصص الكاتب الفرنسي « جي دي موباسان » رائد القصة القصيرة الحديثة في العالم ، وتشبه كذلك قصص الجاحظ عن البخلاء ، من حيث التمهيد للحكي بعقد مجلس يدور فيه الحديث حتى ينبري احد الجالسين فيحكي ما حدث أو شاهده .

الشرق والغرب في الادب والفن يلتقيان ، مهما بعد المكان واختلفت الاوطان . وهكذا الناس جميع الناس ، ان فرقتهم السياسة والحروب جمعتهم الفنون والآداب .

عباس خضر



دمى

شعر: محمد الظاهر



إذا فرّ منْ رئتي والتجأْ
لهذا القميصِ المطرّزِ بالوحلِ والطعناتْ
وحاصرني بالوميضِ المتوّجِ في الحدقاتْ
واشعلَ في الأرضِ قنديلهُ وانطفأْ
وحكَّ جدارَ الصدأْ
وأسْندني وَاتكأْ
هلْ أقولُ دمي جاهلٌ بالتضاريسِ
أو غافل عن طقوس اللغاتْ

* * *

تحمّلتُهُ
كانَ عبئي الذي لا يُرى
والرهانَ الذي راوَدتْهُ القبائلُ منْ الف عامٍ وعامْ
كلّما طلبتْ وُدّهُ ، وَرمتْهُ بداء الفصامْ
تناثر في جسدي شجرا
وأوْغلَ كالنّسغِ شدَّ اليه العُرى
وأعلى كيانَ التحوّلِ منْ بينِ هذا الرُّكامْ
وظلَّ عصيّاً على انْ يباعَ وَأنْ يُشترى

* * *

كُلّما هيجتْه تَوهّجَ في داخلي اللذةُ الغامِرةْ
فَيمْنحُني الانْفعالَ البرىء
قاتمٌ ومضيء
خامدٌ وجرىء
يباغتُني في المَجيء
ويكسرُني عندما يتحوّلُ في صفحةِ الذّاكرةْ

* * *

اذا فرَّ منْ رئتي سيّدي
وصارَ صديقَ المسافةِ والانبهارِ وفاتحةً للغدِ
سَيَخْطفُني منْ يَدي
يُعَمّدُني في الجحيمِ ويصهرُني كالحديدْ
وُيبْدعُني منْ جديدْ

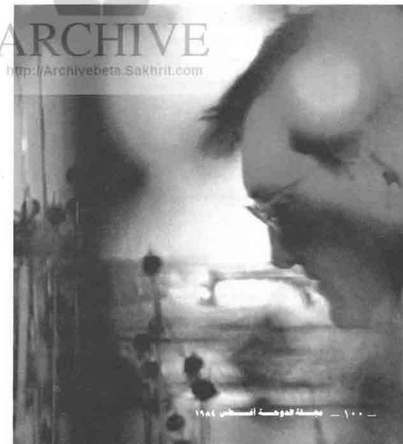
احـــــذروا.. المضــــادات الحيويــــة خطــــر!

علاج جديد
يمنع الإصابة بالحساسية

بقلم: الدكتور نبيـل سـليم

توصل عالم فرنسي مع فريق من اطباء مستشفى « نيكر » الى أسرع وأسهل طريقة لتحديد نوع المواد المسببة للحساسية ، والطريقة الجديدة التي لا تسبب اي متاعب للمريض بل تجعل العلاج اكثر سهولة .

العالم الفرنسي وهو يجري اختبارات تجربته العلمية المثيرة في المعمل القومي للصحة والابحاث الطبية في باريس



ولكن كيف تتم هذه الطريقة التي سوف تنتشر قريبا في كل دول العالم ؟ وما هي اخر ابحاث علاج الحساسية ؟ .

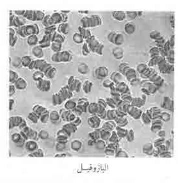
لقد تركزت تجربة الدكتور جاك بنفينيست المسئول عن الابحاث في المعمل القومي للصحة والابحاث الطبية في باريس مع فريق من الأطباء حول نوع من كرات الدم البيضاء تسمى « بازوفيل » Basophil وهي المسئولة عن الاصابة بالحساسية في جسم الانسان ، فعندما تتفاعل هذه الكرات البيضاء مع مادة مسببة للحساسية ، تخرج منها ذرات صغيرة تحمل مواد كالهستامين (Histamine) التي تسبب الالتهابات المقرونة بالحساسية Alergosis

والبازوفيل له من الخلايا التي تقبل الصبغة القاعدية فهو عندما يتفاعل مع إحدى الاصباغ القاعدية يصطبغ باللون الاحمر ويفقد هذه الخاصية عندما يتفاعل مع المواد المسببة للحساسية التي تسبب خروج الذرات الصغيرة الحاملة للهستامين منه .. ومن هنا بدأ « د . جاك بنفينيست » تجاربه وتوصل الى ان ياخذ بضع نقط من دم شرياني من ذراع مريض الحساسية ووضعها في انبوبة اختبار تحتوي على محلول يمكنه تحطيم كرات الدم الحمراء ، وكذلك تلوين « البازوفيل » باللون الاحمر . ثم اخذ كميات صغيرة من هذا المحلول





الزجاجة اليسرى هي التي بها المادة المصنعة للعلاج



البازوفيل

وجعلها مع المواد المختلفة المسببة للحساسية ، وكلما فقدت العينة اللون الاحمر دل ذلك على ان المريض لديه حساسية من هذه المادة ، وعلى ذلك ، يمكن بواسطة عينة صغيرة من الدم تحديد نوع المواد المسببة لحساسية صاحب العينة وكذلك مدى حساسيته لهذه المواد .

وهذه التجربة ستكون قريبا في خدمة الاطباء في كثير من دول العالم وسوف يتم تداولها تجاريا على شكل صندوق اختبار صغير يحتوي على زجاجة بها مادة ملونة هي « صبغة التوليدين الأزرق » ، وكذلك مجموعة من انابيب الاختبار البلاستيك بها مادة تمنع تجلط عينات الدم المأخوذة من المريض ، كما تحتوي على شرائح مصفوف عليها عينات المواد المسببة للحساسية .



تجربة العالم الفرنسي التي يتم بها ترسيب المادة المصنعة في المعمل والتي تحقن لعلاج حساسية البنسلين

الثياب المطاطية من اكثر مسببات الحساسية عند الأطفال

مميزات التجربة

ومن خصائص التجربة انها لا تعرض المريض نفسه للمواد المسببة للحساسية مثلما يحدث في التجارب الحالية ، وبالتالي لا تعرضه لازمات حساسية شديدة قد تصل الى مرحلة الخطورة كما في حالات الربو وهي حساسية الرئة ، وانما تتطلب التجربة فقط ٣ر٥ ملليمتر كعينة من دم المريض ، وهي تعطي نتائج محددة عن نوع وكمية المواد المسببة للحساسية للمريض باختلاف انواعها بما في ذلك الرطوبة والاتربة وشعر الحيوانات ولدغ الحشرات والأدوية والغذاء وكل ذلك بدون تعرض المريض لأي خطر .

وتتميز التجربة فوق كل ذلك بانها قليلة التكاليف وتعطي نتائجها في ساعة واحدة ولا يوجد حتى الآن علاج حاسم للحساسية سواء استخدم المريض ادوية الحساسية العادية او لم يستخدمها ، ولذلك تهدف ابحاث العلماء الآن إلى إيجاد طريقة تمنع الاصابة بالحساسية ، وقد تركزت تجاربهم للوصول الى هذا الغرض على الخلية نفسها ، وقد اقترب العلماء من ايجاد نظام للعلاج يعمل على سطح خلايا « البازوفيل » هذا وقد استطاع علماء من جامعة بيرن من منع تشابك خلية « البازوفيل » مع جزيء البنسلين الذي يسبب حساسية لبعض المرضى وذلك باستخدام « البنسيلويل » وهو احد جزيئات البنسلين والمسئول عن حدوث الحساسية ، وجعله يتحد ببعض الجزيئات الاخرى مما يحول دون تفاعله مع البازوفيل ، ويتم بعد ذلك حقن هذه المادة المصنعة في المعمل لمرضى لديهم حساسية من البنسلين .

وقد نجحت هذه المادة الجديدة في علاج المرضى دون ظهور حالات حساسية بنسبة ٨٠٪ بينما ظهرت على ١٠٪ من المرضى حساسية من المادة الجديدة ، وهناك ابحاث اخرى تهدف الى منع سطح خلية « البازوفيل » من اتخاذ اشكال معينة تساعد على اتحاد الجزيئات المسببة للحساسية فيها مما يسبب خروج الحبيبات الصغيرة منها وتظهر بسببها أعراض الحساسية على المريض .

ومن جهة اخرى ما زال البحث العلمي يتقدم في سبيل القضاء على الآثار الجانبية لكل المضادات الحيوية ، وهذه

علاج جديد
يمنع الإصابة بالحساسية



تقول الابحاث العلمية الحديثة ان « التتراسكلين » ومشتقاته لها خواص سامة خطيرة في حالات متعددة .

احدى محاولات العلم من اجل الحد من اخطار استعمال التتراسيكلين ، وان كنا نعلم جميعا ان هناك مضادات حيوية اخرى لها اضرار جانبية لا تقل خطورة عن التتراسيكلين ، ولكن اخطار التتراسيكلين الشديدة والتي انتشرت بشكل مزعج هي التي حدت بقسم المعلومات العلمية التابع للسكرتارية الفنية لقطاع الدواء بمنظمة الصحة العالمية الى إصدار بحثا او نشرة علمية عن خطورة إســاءة استخــدام التتراسيكلين وتاثيره السام في الانسان عموما والسيدات الحوامل والاطفال بوجه خاص .

ذو الأقنعة الخطيرة

ويباع التتراسيكلين في الاسواق حاملا اسماء كثيرة اهمها «السيجماميسين» ، والفيبراميسين ، والهوستاسيكلين ، وسيجماسيد ، والتتراسيد ، وهذه الانواع تكون في صورة بودرة او كبسول ، اقراص ، امبولات ، قطرة ، معلق ، مراهم ولبوس .

ويقول البحث ان التتراسكلين استخدم على نطاق واسع وبنجاح منذ اكثر من ١٧ عاما على انه مضاد حيوي مامون عند استخدامه باعتدال لمدة قصيرة ، وفي بعض حالات النزلات الشعبية الحادة التي تتطلب مدة اطــول في العــلاج ، فان الاعراض الجانبية التي تظهر على المريض تكون بسيطة إذا كانت صحته العامة جيدة ، واكثر هذه الأعراض الجانبية انتشارا هي الدوخة والقيء والاسهال ، ويمكن التغلب عليها إذا تناول المريض الدواء بعد الاكل

وهي تزول بعد نهاية العلاج مباشرة .

ولكن هناك حقائق جديدة بدات في الظهور بعد ذلك وهي ان التتراسكلين ومشتقاته لها خواص سامة خطيرة في حالات متعددة .

ففي عام ١٩٦٣ وجد العالم دوجلاس ان ٦١ مريضا ممن عولجوا بواسطة التتراسكلين من امراض حادة في الجهاز التنفسي ، ظهر ترسيب للدواء في أظافر ايديهم وارجلهم ، والأغرب من ذلك ان ضمن هؤلاء المرضى ٦ سيدات حوامل ، وجد ان اطفالهن فقدوا ـ عندما بلغوا سن التسنين ـ لون الأسنان الطبيعي ، مما يدل على ان ترسيب التتراسيكلين حدث في المشيمة واستمر لمدة طويلة بعد ذلك .

ومما يؤكد ذلك ان العالم كوهلان كان يجري في نفس الوقت ابحاثا عن الترسيب واسبابه ، على اجنة الحيوان والانسان ، واثبت ان مادة التتراسيكلين تخترق المشيمة بسرعة وسهولة ، وتتداخل في تكوين ونمو الهيكل العظمي ، وإذا استخدم فى علاج الحوامل خلال الأشهر الاخيرة من الحمل ، فانه يترسب في الهيكل العظمي للجنين البشري ، ويؤثر في نمو العظام ، وفي تاخر نمو الجسم عموما .. ولكنه لم يسبب اي تشوه فى العظام إلا في حالة واحدة ولد فيها الطفل مشوه الذراعين ، وكانت امه قد تناولت التتراسيكلين لمدة اربعة ايام في بداية حملها .

وقد ثبت ايضا علاقة التتراسيكلين بالاصابة بتليف الكبد والمرارة مما يؤدي في بعض الاحيان إلى الوفاة .

وتناول كمية كبيرة من التتراسيكلين لمدة طويلة يؤدي إلى الاصابة بالسرطان والجلطات الدموية وارتفاع ضغط الدم داخل المخ وارتفاع درجة الحرارة . كما يؤثر في الاصابة بمرض السكر .

تحذير

ويمكن الآن ان نقول إنه لا يجب على الاطلاق استخدام التتراسيكلين إلا تحت إشراف دقيق من الطبيب وفي الحالات القصوى التي لا يفيد فيها العلاج بواسطة المضادات الحيوية الاخرى ، وخاصة عند السيدات الحوامل والاطفال ، وما هو جدير بالذكر ان اتحاد الادوية الفيدرالي يمنع استخدام التتراسيكلين في نفس الوقت مع مضاد حيوي اخر لانه لا يعود بالفائدة في علاج المريض ، إذ ربما يتسبب إلى حد كبير في ظهور أعراض جانبية سيئة ومتزايدة في هذه الحالة .

نبيل سليم

خيبة أمل شهرزاد

شعر: حسن شكري فلفل



وحين يطلعُ النهارْ
تعودُ للمحارِ شهرزادْ
وتسكتُ الحكايا
وينزوي لِضَيقِ ذاتِه شهريارْ
يفتِّقُ السكونْ
يسترجِعُ الاحلامْ
ويقدحُ الزنادْ
فقصَّةٌ بالفُها
وقصَّةٌ تُعادْ
وليلةٌ جديدةْ
بخورُها
فى عالمِ المزادْ
اجواؤها والمِسْكُ والدخانْ
فى عتمةِ السكونِ والجمادْ
يُتابِعُ الشطَّارْ
فى قاربِ البحَّارْ
وينتشى
محاولا ان يُدرِكَ الأسرارْ
لكنَّ شهرزادْ
يُدرِكُها النهارْ
وينزوي لِضَيقِ ذاتِه شهريارْ

ترجيعة :

يا شهرزادُ كفــاكِ قصَّةَ فارس
فتكتْ بــــه الارزاء والانــواءُ
قُصِّى على ذاك العليــلِ حكايــةً
تُغْنِيــهِ عمَّــا يرتجيه الـــداءُ
فهو المــــريضُ ولا رجــاءَ لبُرئه
اســـتفحلتْ فى ذاتِــه الادواءُ
ما داك طَـــرْحَ فراشِــهِ وهُمومِــه
هــل يُرتجى بُرْءٌ له وشِــفاءُ ؟

وهي تزول بعد نهاية العلاج مباشرة .

ولكن هناك حقائق جديدة بدات في الظهور بعد ذلك وهي ان التتراسكلين ومشتقاته لها خواص سامة خطيرة في حالات متعددة .

ففي عام ١٩٦٣ وجد العالم دوجلاس ان ٦١ مريضاً ممن عولجوا بواسطة التتراسكلين من امراض حادة في الجهاز التنفسي ، ظهر ترسيب للدواء في أظافر ايديهم وارجلهم ، والاغرب من ذلك ان ضمن هؤلاء المرضى ٦ سيدات حوامل ، وجد ان اطفالهن فقدوا ـ عندما بلغوا سن التسنين ـ لون الأسنان الطبيعي ، مما يدل على ان ترسيب التتراسيكلين حدث في المشيمة واستمر لمدة طويلة بعد ذلك .

ومما يؤكد ذلك ان العالم كوهلان كان يجري في نفس الوقت ابحاثا عن الترسيب واسبابه ، على اجنة الحيوان والانسان ، واثبت ان مادة التتراسيكلين تخترق المشيمة بسرعة وسهولة ، وتتداخل في تكوين ونمو الهيكل العظمي ، وإذا استخدم في علاج الحوامل خلال الأشهر الاخيرة من الحمل ، فانه يترسب في الهيكل العظمي للجنين البشري ، ويؤثر في نمو العظام ، وفي تاخر نمو الجسم عموما .. ولكنه لم يسبب اي تشوه في العظام إلا في حالة واحدة ولد فيها الطفل مشوه الذراعين ، وكانت امه قد تناولت التتراسيكلين لمدة اربعة ايام في بداية حملها .

وقد ثبت ايضا علاقة التتراسيكلين بالاصابة بتليف الكبد والمرارة مما يؤدي في بعض الأحيان إلى الوفاة .

وتناول كمية كبيرة من التتراسيكلين لمدة طويلة يؤدي إلى الاصابة بالسرطان والجلطات الدموية وارتفاع ضغط الدم داخل المخ وارتفاع درجة الحرارة . كما يؤثر في الاصابة بمرض السكر .

تحذير

ويمكن الآن ان نقول إنه لا يجب على الاطلاق استخدام التتراسيكلين إلا تحت إشراف دقيق من الطبيب وفي الحالات القصوى التي لا يفيد فيها العلاج بواسطة المضادات الحيوية الأخرى ، وخاصة عند السيدات الحوامل والأطفال ، وما هو جدير بالذكر ان اتحاد الادوية الفيدرالي يمنع استخدام التتراسيكلين في نفس الوقت مع مضاد حيوي اخر لانه لا يعود بالفائدة في علاج المريض ، إذ ربما يتسبب إلى حد كبير في ظهور اعراض جانبية سيئة ومتزايدة في هذه الحالة .

نبيل سليم

خيبة أمل شهرزاد

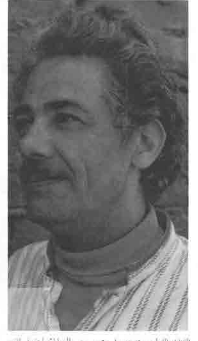
شعر: حسن شكري فلفل



وحين يطلعُ النهارْ
تعودُ للمحارِ شهرزادْ
وتسكتُ الحكايا
ويَنزوي لِصْقَ ذاتِهِ شهريارْ
يفتّقُ السكونْ
يسترجِعُ الاحلامْ
ويقدحُ الزنادْ
فقصّةٌ بالفُها
وقصّةٌ تُعادْ
وليلةٌ جديدةٌ
بخورُها
في عالَمِ المزادْ
اجواؤها والمِسْكُ والدخانْ
في عتمةِ السكونِ والجمادْ
يُتابِعُ الشطّارْ
في قاربِ البحّارْ
وينتشي
محاولا ان يُدرِكَ الأسرارْ
لكنّ شهرزادْ
يُدركُها النهارْ
وينزوي لِصْقَ ذاتِهِ شهريارْ

ترجيعة :

يا شهرزادُ كفاكِ قصّةَ فارس
فتكتْ به الارزاءُ والانواءُ
قُصّي على ذاكَ العليلِ حكايةً
تُغْنيهِ عمّا يرتجيه الداءُ
فهو المريضُ ولا رجاءَ لبُرئه
استفحلتْ في ذاتِهِ الأدواءُ
ما داك طرْحَ فراشِهِ وهُمومِهِ
هل يُرتجى بُرءٌ له وشِفاءُ ؟



الفنان القطرى محمد على. هجر حي الصاغة ليتفرغ للفن

عازف الربابة .. إحدى لوحاته البديعة التي استقاها من وحي الفن الشعبي في الريف

محمد علي.. فنان قطري

صائغ الذهب الذي اتجه إلى الرسم

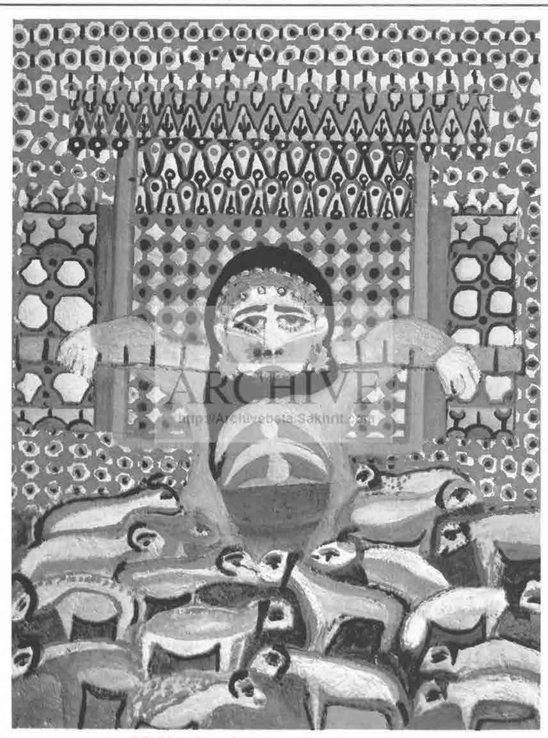
- ترك مهنته في حي الصاغة ، ليقيم أول معارضه عن مأساة الشعب الفلسطيني
- لا يتقيد بالواقع ، ولديه قدرة واضحة على استخدام الألوان في صخب وقوة
- عالمه البساطة والشوارع الضيقة والحيوانات الخرساء ، وهو لا يعرف الابتسامات المصنوعة ولا المظاهر الخادعة

بقلم : صبحى الشاروني

شارع الأزهر يزدحم جانباه بسيارات النقل التي تقف لصق الرصيف لتفرغ أو تستقبل بضائعها ، أما نهر الشارع فمزدحم بالسيارات التي تتابع متباطئة لكثرتها ... ومن هذا الشارع العريض يتفرع شارع الغورية ، العتيق المزدحم بالبشر والحوانيت الصغيرة المتجاورة وعربات باعة اللبان والعطارة والبخور والبضائع الملونة .

عندما تنحرف يساراً لتدخل شارع ، حوش قدم ، تنتقل فجأة من هذا الجو الصاخب الى شارع هادئ ضيق متعرج ، تحده جدران قديمة مرتفعة تشير الى تاريخه ، وتخف حدة الضوء الساطع ، ومنه تتفرع حارة ، حوش قدم ، حيث المنازل المتهالكة وكأنها تتعانق أو تتساند .. تدخل احداها لتصعد على درجات متآكلة ، وتعبر ممرات مظلمة لتصل في النهاية الى حجرة الفنان ، محمد علي ، .. عرضها متران وطولها ثلاثة أمتار وبها نافذة ضيقة وحيدة مرتفعة . في هذه الحجرة المزدحمة ينام الفنان ويأكل ويعيش ويرسم ...

الجدران مغطاة بلوحاته الملونة ، وفي أحد أركان الحجرة بقية اللوحات مكدسة فوق بعضها ، والفنان يستقبلك مبتسماً مرحباً ويعرض عليك أعماله بفخر مع كلمات قليلة هي اسم اللوحة والمصادر التي استوحى منها رسمه .. انه لا يعرف القراءة ، ولا يعرف من الكتابة إلا حروف اسمه ، فهو لا يجيد الحديث لكنه يجيد التعبير عن أفكاره بالخطوط والألوان .



راعية الغنم .. لوحة تتميز بالتلقائية والصدق والبساطة ، مع جراة وانطلاق في الالوان

محمد علي.. فنان فطري

صائغ الذهب الذي اتجه إلى الرسم



الطفولة في حارته كما احس بها الفنان وقدمها في صدق وواقعية

المهرج .. لوحة لا تظهر فيها اعماق خادعة رغم ان خطوطها لا تلتزم بقواعد الفن المدرسي !

الفن الفطري : ما هو ؟

مع نهاية القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام بظاهرة الفن الفطري .. البعض يعتقد أن هذه الظاهرة بدأت مع نضج المجتمع الصناعي والبعض الأخر يتصور أنها ظاهرة قديمة لكن الاهتمام بها لم يبدأ الا منذ أقل من قرن واحد ..

كان أول الفطريين وأشهرهم هو « هنري روسو » الفرنسي (١٨٤٤ – ١٩١٠) الذي كان موظفاً بالجمارك ولذلك لقب بالجمركي .. وسمى فنه (بالفن الساذج) وهناك من يلقبه : « أشهر البدائيين » .. وفي بعض البلاد أطلق على أمثال هنري روسو اسم الفنانين « الوحشيين » .

ومع تزايد الاهتمام بهذا النوع من الفن أقامت تشيكوسلوفاكيا في مدينة براتسلافيا معرضاً دورياً دولياً في المتحف الوطني السلوفاكي مرة كل ثلاث سنوات بالتعاون مع هيئة اليونسكو منذ عام ١٩٦٦ : للفن الفطري في العالم ، وسميت الجائزة الكبرى لهذا المعرض باسم « الجمركي روسو » اعترافاً بريادته لهذا الفن .

وقد اتفق النقاد ومنظمو هذا المعرض الدولي — الذي لم تشارك فيه من الدول العربية غير العراق — على اطلاق الفن الفطري (أو — انسيتيك) واستبعاد التسميات الأخرى ، لأن السذاجة تتضمن قلة الإدراك ، والوحشية تدل على القسوة والعنف ، والبدائية لا تتفق مع سكان المدن الذين يخرج من بينهم معظم هؤلاء الفنانين .

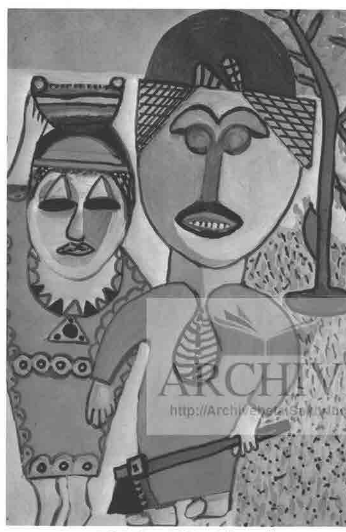
فالفنان الفطري هو الذي لم يتلق تعليماً . مع توفر القيم الفنية فيما يبدعه من اعمال .. انه فن ينبع من القلب ومن الغريزة مباشرة دون أي اعداد أو تدريب مدرسي سابق .. فن يمارسه أصحابه في أوقات الفراغ ، ويتميز بالنقاء وقوة التعبير .. لم يتجه

اصحابه من أجل البيع كما هو الحال عند الفنان الشعبي ، ولا للعرض أو ليكتب عنه النقاد كما يفعل الفنانون الدارسون .. ان اهدافه تنتهي بانجاز العمل الفني .. والفنان الفطري يكتفي بالاستمتاع والتلذذ أثناء الرسم أو النحت ، ويتميز بأعلى درجات الصدق والاخلاص ، فهو يحقق التعبير أو التنفس أو التسامي بالغرائز المكبوتة ، وفي نفس الوقت تتضمن أعماله مواصفات الجمال الفني مثل : الايقاع والتوافق والتقابل والتوازن والاستقرار وما الى ذلك .

واذا كان تقييم أعمال كبار الفنانين ينظر بعين الاعتبار الى قدرة الفنان على التعبير بتلقائية عن المشاعر الدفينة ، فان أهم ما يميز الفن الفطري أنه يحقق هذا الجانب وحده .. وهو قوة التعبير التلقائي بغض النظر عن الخبرات المكتسبة على مدى تاريخ الفن .

صحيح هناك أوجه تشابه بين الفن الفطري من جانب وفنون الطفل وفنون الشعوب والقبائل البدائية وفنون الانسان الأول الذي سكن الكهوف وانتاج الفنان الشعبي الذي يجمل الأدوات والمنتجات التي يصنعها .. من جانب آخر .. لكن وجه الاختلاف بينه وبين كل الفنون يتركز في أنه ينبع من الفطرة الانسانية الصافية بدون تقليد لا للانتاج السابق ولا لمظهر الاشياء ، دون التأثر بالثقافات التي وصلت اليها حضارة الانسان أو مناهجه العقلية .

ورغم وجود صفات مشتركة بين انتاج الفنانين الفطريين أنفسهم الا أن العجب في أمر هذا الفن أن كل فنان فطري يختلف أسلوبه عن الآخرين ويتخذ مظهراً لا يشاركه فيه أحد ويتمتع بنوع من التفرد داخل اطار هذا النوع من الفن .. ويلقى اعجاباًواسعاً من جمهور المثقفين ..



منظر من وحي الريف بجمال خضرته وبساطة وطيبة اهله

الطريق الى الرسم

ولد فناننا في مايو عام ١٩٣٠ وظل حتى عام ١٩٥٢ يعمل في « الصاغة » يشكل الذهب والمعادن النفيسة صانعاً منها الأسلاك والسلاسل والحلي .. وكان يرسم عليها رسوماً فرعونية تعلمها في البداية وظل يكررها في ملل . وبدأ يحاول رسم أشياء أخرى غير تلك التي يشكلها على المعدن النفيس ، بعد أن يفرغ من عمله .

في تلك الفترة تعرف على « الشيخ إمام » الذي جاء يسكن في « حوش قدم » ، وتصادف أن سكن في نفس المنزل ، وانضم الشاعر أحمد فؤاد نجم اليهما وكانوا ثالوثاً لا يفترق . فعاشوا معاً : الشاعر يكتب قصائده والشيخ امام يلحنها ويغنيها بينما « محمد علي » يعمل في الصاغة ويصحبهما بعد أن يفرغ من عمله في المساء .

وذات يوم اقترح عليه « أحمد فؤاد نجم » أن يترك عمله في « الصاغة » ويعمل معها كأحد أفراد الكورس أو بمعنى أصح أن يكون هو الكورس الوحيد وضابط الايقاع ... فترك عمله وتبعهما ..

وظل حتى عام ١٩٦٨ يرسم في وقت الفراغ حتى تركة الشيخ امام والشاعر وبقي هو وحيداً .. فانصرف للرسم معظم الوقت حتى زاره أحد الفنانين وأعجب باعماله وشجعه على الاستمرار في الرسم .. فراح يرسم أقنعة ووجوهاً من مخيلته . وفي عام ١٩٧٠ بدأ يرسم مجموعة كبيرة من اللوحات التي تصور انفعالاته وتخيلاته عن مأساة الشعب الفلسطيني وأقام أول معارضه لهذه الأعمال . وعند انعقاد مؤتمر القمة العربي بالقاهرة زارت وفود المؤتمر معرضه . وبيعت معظم اللوحات . وقد عاد الشيخ امام ونجم إليه في ذلك الوقت وشاهدا نجاحه .. فتفرغ تماماً للرسم .

كانت كل لوحاته سياسية تعبر عن القصائد السياسية التي يضعها الشاعر .. إنه لا يعرف القراءة والكتابة ولكنه يستمع اليها من خلال الشيخ امام ويعتمد في رسمها على أحاسيسه فقط .. فكان أحمد فؤاد نجم يكتب والشيخ امام يلحن ويغني ومحمد علي يترجم القصائد الى خطوط وألوان .

لقد غير نمط حياته . ورغم كفاحة في الحياة

محمد علي .. فنان قطري

صائغ الذهب الذي اتجه إلى الرسم




باثع الخبز بدراجته التي يطوف بها الاحياء الشعبية

مقهى شعبي ، حيث نرى الرؤية العفوية للفنان في عالم بهيج مليء بالالوان الصارخة

ورؤيته الصادقة للأشياء فانه راح يعبر عن كل ذلك بألوان حادة صارخة .. ثم بدأت تهدأ حدة التمرد وراح يرسم ما يعن له من أفكار خارج اطار الشعر السياسي وبدأ يعبر عما حوله .. واصبحت لوحاته متفائلة . وان كانت تعبر عن الناس المطحونين الذين يعانون الفقر والبراءة . فألوانه البراقة تتضمن نوعاً من الشجن . حيث يجتمع الحزن والفرح في آن واحد .

لكنه لم يتوقف عن التعاون مع أصحاب العمر . وقد قام محمد علي بتصميم الغلاف وعمل الرسوم الداخلية لآخر ديوان أصدره الشاعر أحمد فؤاد نجم تحت اسم « أغنيات الحب والحياة » .

مميزات فنه

لوحات محمد علي تتضمن مميزات كل الفنانين الفطريين : التلقائية والصدق والبساطة . وهو يلتزم عادة بالبيئة التي حوله . ولا تخرج أشكاله عن دائرة محدودة تدور حولها أعماله . ورغم أن خطوطه لم تلتزم بقواعد الفن المدرسي التي تفرض نفسها على الفنان الدارس الا انها تبدو بسيطة في غير تكلف . والألوان تتميز بالانطلاق والجرأة .

إنه يخلط الحقيقة بالخيال ولا يتقيد بالنسب أو قواعد المنظور . فاللوحة عنده تحتفظ بشكلها المسطح ولا تظهر فيها أعماق خادعة .. الرؤوس عادة أكبر مما يجب .. العلاقة بين الأشخاص والأشكال مسرحية غير منطقية تمنح ابداعه طابعاً سريالياً وعاطفياً .. وفي غمرة الانفعال يقوم الفنان بالاسقاط الفوري لمشاعره وأفكاره . المساحات كبيرة ملونة في معظم انحاء اللوحة .. ثم يتوقف عند احدى هذه المساحات وكأنه يستريح قليلاً فنرى زخرفة أو ثرثرة تشكيلية : اذ نجده يضع تفاصيل دقيقة كزخارف الدانتلا تتخذ عادة شكلاً هندسياً فتعطي للوحة نوعاً من الطرافة والبراءة وخفة الظل كما في لوحته « راعية الغنم » .

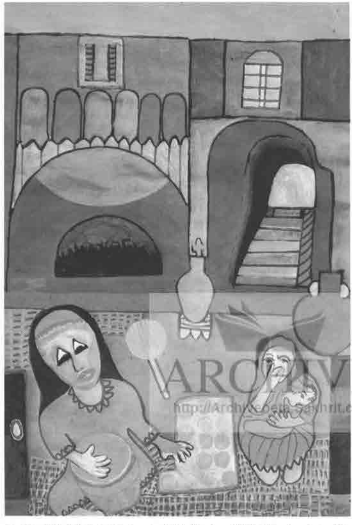
انه لا يعرف شيئاً عن المدارس أو المذاهب الفنية وربما لم يسمع عنها من قبل ، لم يتقيد بالواقع انما قدم الانفعالات والاشكال المنعكسة في ذهنه عن الواقع .. يتميز بمقدرة واضحة على استخدام الالوان التي تبدو شديدة الثراء في صخبها وقوتها ..

وهو يصور المكدودين والمضحكين والمشعوذين .. مثل السقا والمداح وقارئ البخت وجمهور الأفراح والموالد .. لوحاته مزدحمة كجمهور الغورية .. فهو يعيش الحياة في الحي الشعبي الفقير ولا يتطلع اليه من الخارج ، لهذا يخرج في لوحاته جانباً مما يتضمنه مخزون الخبرات الجمالية المترسبة بشكل خافت في اعماق ذاكرة كل منا وهذا ما يجعله متواصلاً معنا .. وفي لحظات التسامي والانسجام والتلذذ بالعمل الفني يخرج من أعماقه العناصر المكبوتة تحت طبقات العقل الواعي ، لتحقق بطريقة لا ارادية وفي أشكال فنية عناصر سيريالية تهيأت الظروف لظهورها بغير افتعال .

وبالاضافة للبيئة الشعبية التي يصورها نجد الرؤية العفوية في عالم بهيج يعج بالالوان الصاخبة وهو يرسم الناس والحيوانات بمنطق واحد فتحس أنهم يعيشون في عالم من السعادة .. يقترب فنه من فنون القبائل الافريقية خاصة في تحويره للعناصر والوجوه التي تذكرنا بالاقنعة الافريقية بالوانها المتباينة .. ومن السهل أن نلاحظ التطابق بين مجموعته اللونية والوان الفنانين الوحشيين « الفوف » أمثال « جورج روو » و « هنري ماتيس » .. بل وهناك نسب بينها وبين ألوان التعبيريين .

هذا المزج نجده مجتمعاً فما يشبه سذاجة الطفل اذ يصور عالماً من الاحلام والرؤى الكابوسية من العقل الباطن ، مما يحقق للمشاهد احساساً بالدهشة والجدة معاً ، ونحن واثقون أنه لم يقصد تحقيق كل هذه التأثيرات ، وانما جاءت عن تلقائية وفطرة ، فهي الموهبة وحدها بدون شك .

والغريب أن لوحاته تمنحنا احساساً بالمرح مرة والكآبة مرة ، والجدية أو السخرية أو الروحانية مرات .. ونلمس ذلك من الاشكال ومن خلال تكوين اللوحة وتنظيمها أيضاً .. والفنان يتردد أحياناً على معارض الفنانين الدارسين لهذا تتطور اعماله وتتجدد لكنها لم تفقد أصالتها وطزاجتها بعد .



داخل بيت ريفي .. احدى اللوحات التي رسم فيها البيئة الشعبية بعيدا عن التعقيدات الفنية والمذاهب الغربية

جمهور الفنان

ان معارض الفنان تزدحم بالمشاهدين وكان آخرها في بداية عام ١٩٨٤ .. وقد بيعت معظم المعروضات .. وجمهور هذا المعرض يتكون أساساً من المثقفين والفنانين ، بينما يقبل على شراء لوحاته أيضاً السياح الأجانب الذين يفدون على حجرته المتواضعة في « حوش قدم » .. أما سكان الحي نفسه فيعتبرون ما يفعله مهنة أو حرفة مماثلة لمهنهم .. لا يهتمون بتأمل أعماله أو الفرجة عليها ، فالجمهور من الطبقات المتوسطة .

ومع هذا فالفنان الفطري يعيش في عالم بعيد عن المجتمع الذي يثني على أعماله ويهنئه بها ، انه ينتمي الى عالم آخر هو عالم البساطة والشوارع الضيقة والحيوانات الخرساء والناس الشعبيين الذين يدفنونه بعمق ولا يعبر عن واقعهم أحد غيره ، فهو ليس رجل القاعات المفروشة بالابسطة ، والمضاءة بالثريات ، ولا عالم الجمل المنمقة ، والابتسامات المصنوعة والمظاهر الخادعة .

لهذا أشفقت عليه عندما أكد لي أنه سيقيم معرضاً لهذه الأعمال في هولندا بالاشتراك مع فتاة هولندية زارته في حجرته ووجهت اليه الدعوة ليعرض الى جانبها هناك . وبقي أن ننتظر أثر هذه التجربة على فن محمد علي .

صبحي الشاروني



هذه الفراشة الأوربية الخضراء تتمتع بميزة لونية تجعلها تندمج وتختفي بين الأوراق !

الزهور الطائرة

- في العصور الوسطى كان الناس يخشون ظاهرة سقوط "المطر الملون" غير مدركين أنها تعني ميلاد مخلوق وديع هو الفراشة
- عدوها اللدود "النمل" وهي تواجه خطره بإفراز عصارة حلوة المذاق!
- عالم فرنسي يطالب بالسجن المؤبد لكل من يقتل فراشة!

محمد مروان جميل مراد



زهرة من الزهور الطائرة التي أصبحت مهددة بالانقراض في العالم ، والتي يطالب العلماء بحمايتها من ايدي هواة صيد الفراشات !

كانت السيارة ما تزال تدرج على الطريق الظليلة بين صفين من شجر باسق ، حين انتبهت من تأملي العميق على صوت مرافقي « سميث » يقول :

ـ .. هيه .. عش رجبا تر عجبا ..

وسرني كثيراً ان أراه قد حفظ المثل العربى عن ظهر قلب ، ولما يمض غير يوم واحد على ترديدى له بعد زيارتنا المدهشة لمدينة « العناكب » ! ..

وكان « سميث » قد صحبني يوم امس إلى مزرعة « بيل جون » صاحب اغرب هواية فى العالم ، وامضيت نهارى استمع الى الشخص الوحيد فى أوربا كلها ، المهتم بهواية جمع « بيوت العناكب » وهو يسرد لي بشغف وحماس حكاياه مع هــذه « المخلوقات الدقيقة » ويكشف اسرارها العجيبة .. لقد أسلم الرجل نفسه سنوات طويلة للطبيعة فى كل مكان ، ووقف جهده على دراسة هذه المخلوقات ، وبيوتهــا الدقيقة ليفهمها ويتعرف على اشكالهــا واحجامها وتركيبها الغريب ، ولم يترك صاحبنا « مستوطنة » للعناكب فى اكثر مناطق العالم إلا وزارها ، وجمع اكبر عدد ممكن من بيوت العناكب ، وحفظها بطريقة علمية ، لا تغير لمسة فى تركيبها الرائع وهندستها الفنية ، ثم قام بتطوير هوايته ، حين عمل على تربية العناكب بنفسه وتوفير الأجواء الملائمة لها .

كان « بيل » ينتظر بالساعات مراقبا عناكبه الجديدة ، ليعرف ان كانت قد ألفت بيئتها الجديدة ، وقد تمر ايام قبل ان يعبر العنكبوت عن رضاه ، ويشرع ببناء بيته الأنيق ، مبشراً « بيل جون » برضاه ، فاذا



فراشة بيضاء جميلة تمتص رحيق الازهار

اكتمل البيت قام الرجل برفعه من جانبيه ، بواسطة شريحتين زجاجيتين ، وما لبث ان ضمهمـا معا وثبتهمـا بشريط لاصق وبذلك يتم حفظ البيت العنكبوتى إلى الابد كما تحفظ الصور التذكارية فى البومها الخاص .

يدهشك « بيل جون » بان فى العالم الآن اكثر من ٥٠ الف نوع من العنـاكب ، وما تزال هناك اعداد كبيرة لم تكتشف إلى الآن ..

عالم الفراش

ارتطم راسى بسقف السيارة حين عبرت مرتفعا ترابيا ، فتوقف شريط تاملاتى ، وعدت أتذكر اننى فى الطريق إلى مكان فريد اخر فى مقاطعة « كنت » للقاء جديد عجيب ، ثم انعطف السائق نحو بوابة واسعة ، ومالبث ان توقف فى ممر ظليل ..

ـ أسف .. بشان « المطب » ، قـال « سميث » ، ولكن بعد قليل لن تكون نادما ابداً ..

ومع الخطوة الأولى ، جاءتنى اصوات غريبة ، هى مزيج من الهسهسة والرفيف الناعم ، كانت تعلو وتنخفض تماما ، كوشوشة النسمات الرقيقة فى اغصان الشجر المتمايلة .. فما اقتربت اكثر ، حتى رايتنى امام مشهد خلاب لا انساه ! .. ملايين الفراشات ، من كل حجم ونوع ، تتطاير فى كل صوب ، كما لو ان فنانا يرش الفضاء بازهار ملونة .. هل هو حلم ؟!

صافحني صاحب المزرعة الخيالية : « مايكل ديكنز » بابتسامة صافية ورحب حين علم بموضوع دراستى الصحفية ، بان يسرد علي تفاصيل عمله ، كلها :

ـ إن عالم الفراش ، الشاعرى الأسر ، يشكل منجما لمعلومات الدارسين فى علوم الطبيعة والعلوم الاخرى ، فهذه الزهرات الملونة الطائرة كانت من الازمنة الغابرة ، رمزاً لخدمة الحياة البشرية ، وفى الأساطير ان الصبية الجميلة « تسيشى » خطفت يوما على يد حبيبها وصارت حكايتها معينا لا ينضب لخيال الفنانين ، يستلهمون منها لوحات معبرة ، تصورها على شكل فراشة تبسط جناحيها المزركشين ، وتهم بالانطلاق إلى زهـرة متفتحـة .. وغدت حكاية « تسيشى » فى عهد « الرومان » نوعاً من المغالاة التى لا تستحق فى الأصل ان تمزج بروايات الملائكة « وقد شبهت بها ، فقيل عنها « إنها مثل الملائكة تطير على اشعة جميلة ، وتستمد طاقتها من الافلاك العليا وتعبر المحيطات وتتغذى على نـور الشمس » !

وفى العصور الوسطى ، كان الناس يخشون ظاهرة سقوط « المطر الملون » ، لكن العلماء اليوم ، يعرفون ان هذه الظاهرة علامة على ميلاد مخلوق وديع اسـمه « الفراش » .. كيف ؟!

● المعروف ان حياة الفراشة تبدا بالبيضة ، وهذه عملية بالغة الدقة والحساسية .. هنالك نوع تضع انثاه (٢٠) بيضة فقط ، ونوع تضع انثاه الآلاف .. لكن النسبة المئوية لليرقيات التى تبقى على قيد الحياة ، تنمو وتكبر ، لا تزيد ابداً على ١٠ بالمئة ، وبعد ايام تخرج اليرقات .

ـ انظر ها هى ذى تخلع شرانقها امامك ، مجرد دودة صغيرة خضراء منقطة بالاسود اعضاؤها كاملة ، عدا الغدد المنتجة ، الأمر الذى يضطر اليرقة إلى ان تحيا حياة كسل واتكالية ، غالباً ما تجعلها قادرة على الدفاع عن نفسها ، والهرب من عدوها اللدود « النمل » الذى لا يمنعه من التهامها إلا كونها تفرز عصارة حلوة المذاق ، ذات تركيب كحولي ، يسهل حفظه كمؤونة لفصل الشتاء ، وما يفعله النمل هنا ، هو الضغط على الجدار الخارجى للحلقة العاشرة فى جسم اليرقة ، فتخرج العصارة الحلوة ويلهو بها النمل .. بينما تتغذى اليرقة من البيض فترة تكفى لمرحلة التحول ، وما تلبث ان تصبح فراشة ، سرعان ما تفلت من سجانيها ..

فى مرحلة اليرقة هذه ، تثبت بعض الحشرات نفسها على بطن ورقة خضراء ، بينما تقبع انواع اخرى فى زوايا من الأرض ، وتحيط بعض الانواع نفسها بغطاء رقيق ريثما تنمو اجنحتها ، ويزداد رقة بملامسة الهواء ، وتفاعله مع سائل ازرق يحتوى على الحبيبات الملونة التى ما إن تنفض الفراشة جناحيها للخروج من الكيس المحيط بها ، حتى تتناثر فى الجو .. وتلك الحبيبات هى « المطر الملون » السالف

الذكر .. تلتجيء الفراشة لاقرب مخبا وتبدا بتنظيف نفسها مما علق بجسمها من سائل ملون ، وتتسلق غصنا عاليا فتتعرض للهواء ، وما تلبث اجنحتها ان تجف وتصبح جاهزة للطيران ..

.. كان « ديكنز » مسترسلا فى حديثه ، وهو ينقل عينيه بين اقفاصه البللورية ، وتابع يقول : لكن هذه المخلوقات الوديعة لم تعد تعيش ، كما سبق ، فى طبيعة مفتوحة ، ان الخطر يتهددها ، ويؤدى إلى تضاؤل اعدادها سنويا ، ولا يزال الكثيرون عاجزين عن ادراك خطورة الامر ..

ـ ماذا تعنى ؟!

ـ إن الطبيعة تخطو نحو الموت بتثاقل .. صحيح ان عددا كبيرا من الحشرات قد انقرضت ، لكن الامر يصبح اكثر مدعاة للاسى حين يتصل بالفراشات ..

لقد بدا القلق ، منذ فترة غير قصيرة ، يساور المهتمين بحماية البيئة ، من كارثة محتملة ، وهى انقراض عدد كبير من الفصائل النباتية ، التى ترتبط استمراريتها بلقاح محدد تمنحه لها الفراشات المتنقلة من نبتة لاخرى ، وراح هؤلاء المختصون بحماية البيئة فى فرنسا ، يرفعون أصواتهم احتجاجا على صيادي نهاية الأسبوع الذين ينطلقون بشباكهم إلى الحقول لاصطياد فراشات « التايبس » الخضراء ، والتى اصبحت تباع فى السوق السوداء بسبب ندرتها وجمالها الخلاب .. وذهب الامر باحد علماء الحشرات « روجيه



لبست لوحة فنية .. ولكنها فراشة ملونة بالوان بديعة ، وقد اكتشف العلماء حتى الآن مائة الف رسم مختلف للفراشات



يرقة الفراشة هي خير مثال للتمويه وخداع الاعداء بالوان والشكل اللذين يعطيان لها الحماية فوق اغصان النباتات

فولا » إلى رفع شعار « كل من يقتل فراشة يقتل انسانا » ، والمطالبة بالسجن المؤبد لكل من يقتل واحدة من هذه المخلوقات اللطيفة ! .

وليس الصيادون وحدهم هم قتلة الفراش ، ولكن هناك اصحاب الحدائق الذين يرشون حدائقهم بالمبيدات السامة فضلا عن اولئك الذين يحيطون الاراضى بالسياج الشائكة ، وبرك الماء .

الحسناء النادرة

وقادنى « ديكنز » . وهو يخفي ملامح اسى تنم عنها نظرة عينيه .. قادنى إلى قفص جديد تتراقص فيه ، فراشات صغيرة زرقاء فاتنة ، وقال :

ـ هذه « فراشـــة الانجليز الاثيرة » : « ماكولينيا اريون » .. ولكنها اليوم نادرة الوجود ، ولم يبق من وجود لها الا فى بضع مستوطنات متناثرة فى الريف الانجليزى ، وحين جرب بعض الخبراء إكثار هذا النوع فشلوا ، فقد باضت الفراشات فى حقل للصعتر اقيم خاصة لاستضافتها ، لكن البيض ظل مقفلا .. وهكذا فان الانجليز الذين حافظوا على الأسرة المالكة ، برغم كل الهزات التى تعرضت لها بريطانيا ، لم يستطيعوا المحافظة على ملكة اسرة الجمال اسمها : « ماكولينيا » !

وليت الامر اقتصر علينا هنا ، إذن لكانت الكارثة هينة ، ولكن المختصين فى الولايات المتحدة ايضا ، لاحظوا ان الفصائل الاحدى وأربعين من فراشات البلاد ، تواجه خطرا محدقا ، ولهذا قام البروفيسور « برنارد سيرفى » صاحب المؤلفات الكثيرة حول التطور العكسي للطبيعة ، يطلق النفير ويعلن بان انقراض الحشرات هو مقدمة



فراشة اسيوية نادرة ، يكمن سر جمالها في الدنابين بين الالوان الباهتة والالوان الزاهية



الفراشة «النمر» رغم هذا الجمال فان لها رائحة ينفر منها الانسان والكائنات المفترسة !

لانقراض البشرية ، ولست ادري ان كان هذا النفير سيضع حداً لعملية القضاء الجماعية التى يتعرض لها الفراش فى كل مكان ..

بالنسبة لي ـ يقول « ديكنز » بدأ الامر مجرد هواية في منتهى الروعة . عن طريقها تمكنت من معرفة الشيء الكثير عن العالم المدهش الذي تعيش فيه هذه الكائنات ذات الالوان الخلابة .. وكنت ارجع الى الكتب والنشرات التي توضح لي معارف كثيرة عنها ، من حيث دورة حياتهـــا وأشكالها وانواعها ، واماكن وجودها ، وكيفية الحصول عليها دون صعاب .. ثم كانت نقطة التحول الهامة ، حين التقيت مع «شيلا» زوجتي ، فجبنا معا ارجـــاء انجلترا ، وانطلقنا بعد ذلك في العالم ، نجمع كل ما نريده من انواع الفراش ، من امريكا اللاتينية ، ومن الهند ومدغشقر ومن ماليزيا واليابان .. وأخيراً وعلى مساحـــة خمسة افدنة هنا في مقاطعة « كنت » شرعنا نجسد احلامنا في هذه المزرعة الهادئة ، التي تحولت في زمن يسير الى احد المراكز الجيدة لتربيـــة الفراشـــات بانواعها المختلفة ، وتطور الامر الى تصديرها الى كل مكان ، واصبح عدد زبائننا القادمين من الخارج يزداد سواء في افريقيا او اوربا ونيوزلندا والامريكتين ، ونحن نزودهم بدليل سنوي مقابل اشتراك سنوي .. واخبرني بان مزرعته تزود معظم محطات التليفزيون واستديوهات السينما بما تحتاج اليه من الفراشات الحية التي يبلغ عدد انواعها نحو ٦٠٫٠٠٠ نوع . ويؤكد « ديكنز » بان مزرعته لم تكن يوماً مجرد مصدر للمعيشة وحسب ، بقدر ما يريدها ان تكون مختبراً عالمياً لدراسة الفراشات ، وهذه هي رسالته الهامة على حد تعبيره ..

مهرجان الالوان

وتقدم ، من جديد ، الى قفص في الركن ، واشار الى فراشة ترفرف باجنحة مزركشة منقوشة برسوم غاية في الروعة .. كانت اشبه « بطاووس » يتباهى بطلته البهية :

ـ هذا نوع من اكبر واجمل الفراش في العالم .. إنه يعيش في المناطق المدارية كالبرازيل وافريقيا الوسطى . واسترسل في الحديث بزهو من يملك نوعا نادراً من الفراش لا يقدر بثمن : الوان الفراش لا تزال موضع اهتمام الباحثين الذين ينتقلون من اكتشاف لآخر ، فكـل جنـاح مرصـع بفسيفساء من الرقاقات المتناهية الدقة التي تشكل الوانا خلابة بانكسار الأشعة ، وقد كشف هؤلاء حتى الآن عن مئة الف رسم مختلف دون ان يعرفوا القانون الذي يحكم هذا المهرجان اللوني .

وقبيل اشرافنا على نهاية الجولة ، قدم لي « ديكنز » كتابا من تاليفه اسماه « دنيا الفراش » وغمز لي بطرف عينه : هذا كنز ثمين ، ان كنت مهتما حقا بمتابعة الأمر ، في السيارة ونحن ننهب طريق العودة ، قرات مقدمة الكتاب :

« اذا رايت الفراشات محومة في بستان .. مثل شلال ملون ، يرش العالم بالنور والعطر .. فاستحلفك بكل مقدس ، ان ترفق بها .. فلربما كانت هي الفراشات الاخيرة التي تمتع بها ناظريك قبيل الانقراض !! » .

محمد مروان جميل مراد ـ الكويت

نافذة ثقافية

بقلم : محمد العزب موسى

قلب نمر وضمير ذئب

أصدرت احدى دور النشر البريطانية مؤخرا كتابا عن الامبراطور الصيني القديم شيه هوانج تي أول موحد للولايات الصينية في القرن الثالث قبل الميلاد . وباني سور الصين العظيم الذى يمتد ١٥٠٠ ميل بين الجبال والوهاد ليدفع عن بلاده هجمات البرابرة .

ان دراسة مثل هذه الشخصية أمر مشوق للغاية لأنها تتعلق بقوى النفس البشرية وفلسفة الخير والشر والحكم والاستبداد في العصور القديمة .

فقد كان شيه هوانج تي من أقوى وأبشع الاباطرة في تاريخ الصين الطويل . كان له على حد تعبير المؤرخ ول ديورانت قلب نمر . وضمير ذئب . وكان لايصنع الخير أبدا في حياته . ويقال انه في صغره دفع بأبيه الى الانتحار . وبأمه الى الجنون . وقد تولى العرش وهو في الخامسة والعشرين وشرع فورا في توحيد الصين لأول مرة في تاريخها فحارب جميع الولايات وانتصر عليها خلال تسع سنوات . ثم سخر شعبه في اقامة السور العظيم الذى عد وما زال من عجائب الدنيا . وكان كحاكم يجمع بين فلسفة نيتشه في تمجيد القوة وارادة بسمرك في الحكم بالحديد والنار . وهذا مامكنه من اخضاع تلك البلاد الشاسعة تحت ادارة مركزية قوية لم يكن لها مثيل في تاريخ الصين من قبل أو بعد الى أن ظهر ماوتسي تونج بعد ٢٣ قرنا .

وفي شيخوخته ازداد شيه هوانج تي قوة وفظاظة وفقد الثقة بكل المحيطين به . فكان يجلس والسيف على فخذيه فاذا أنس من أى مسئول بالبلاط ايماءة أو كلمة لا تعجبه قفز واقفا وأطاح برأسه بضربة واحدة . حتى أصبح بلاطه وقاعة عرشه أشبه بالمذبح . وعندما يأوى الى النوم لا يجعل أحدا يعرف في اية حجرة من حجرات القصر المائة ينام . ولما حانت منيته وادرك انه هالك لا محالة أعد لنفسه قبراً منيعاً وأمر بأن تدفن معه ثلاثة آلاف فتاة على قيد الحياة . ووضع آلات ميكانيكية في قبره تستطيع أن تقتل أو تصطاد كل من يحاول اقتحام القبر . كما أمر بأن يدفن معه العمال الذين يحملون جثته فلا يدلون على المكان الذى دفن فيه .

كان شيه هوانج تي هذا يشعر بأكبر العداء ازاء فريق معين من الناس . هم الشعراء والنقاد والفلاسفة والمؤرخين وطلاب الفلسفة الكونفوشية بالذات . فاعدم بضع مئات منهم . وأمر باحراق كل المؤلفات وكل كتب الاقدمين « كي يرتفع عبء الماضي عن كاهل الحاضر » وقتل آلاف الاشخاص الذين حاولوا اخفاء بعض الكتب . ولذا فقد اضطر العلماء والطلاب الى حفظ جميع المؤلفات القيمة وجميع الاشعار القديمة عن ظهر قلب كما تمكن آخرون عن اخفاء بعض الكتب في مغارات سحيقة بالجبال .

وعندما مات شيه هوانج تي ظلت جثته ملقاة في قصره عدة أيام دون أن يجرؤ أحد على الاقتراب منها . الى أن أنتنت وأزكمت الأنوف فاضطر عبيده الى نقلها في قافلة سمك لاخفاء رائحتها .

وسرعان ما عادت الكتب والاشعار الى الظهور .. وانتصرت الكلمة !

عقبة في وجه البحث العلمى

ذكرت احصائية لليونسكو انه خلال عام ١٩٨٠ ناقشت جامعات العالم ٧٠ الف رسالة علمية للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراة . وأصدرت المؤسسات ذات الطابع العلمى أو الاقتصادى أو التكنولوجى ٥٠٠ الف تقرير ، ونشرت المجلات العلمية ١٥٠ الف بحث في مختلف فروع المعرفة . كما صدر ١٢٠٠ تقرير مفصل عن المؤتمرات والندوات العلمية .

وقدرت الاحصائية انه من المتوقع على سنة ٢٠٠٠ أن يصل عدد الابحاث والدراسات والمقالات التي تصدر سنويا الى عشرة ملايين يمكن أن يضمها ١٤٠ الف مجلد ضخم .

وفي الماضي كان العلماء والباحثون والمثقفون في العصور الخالية يسافرون الى آخر الدنيا للحصول على أى جديد في ميدان تخصصهم كان الواحد منهم يبدد أثمن الوقت وأعز المال من أجل العثور على كتاب جديد . أو مناقشة عالم آخر . او الاحتكاك بثقافة مغايرة .

كان نقص المعلومات وندرة المراجع عندئذ من اكبر العقبات التي تحول دون التقدم العلمى والفكرى . أما الأن فقد انقلبت الآية تماما . وأصبحت الوفرة هى العقبة .

فهذه التلال الهائلة من الابحاث العلمية بالاضافة الى مئات الالوف من الكتب الجديدة التي تقذف بها المطابع كل عام . أصبحت عقبة كئودا في وجه البحث العلمى . اذ لا يمكن أن يحيط أى باحث بكل مايصدر في فرع تخصصه من منشورات . وقد افترض لو أن باحثا في فرع الكيمياء العضويةوحدها يتقن ٣٠ لغة اتقانا تاما وانه عكف على قراءة ماينشر من ابحاث في هذا الفرع لمدة عام كامل على أساس ٤٠ ساعة عمل في الاسبوع وبواقع اربعة أبحاث في الساعة فانه لا يحيط في نهاية العام باكثر من جزء واحد من عشرين جزءا من المادة المتاحة .

وهذا هو السبب في ظاهرة الازدواجية الخطيرة التي أصبحت تعوق البحث العلمى . فالنقطة الواحدة قد يبحثها عشرة أشخاص في نفس الوقت . وربما تكون قد قتلت بحثا أيضا من قبل . وكان من الاجدى توفير هذه الجهود لبحث نقطة أخرى . وهذه الظاهرة اكثر ماتكون خطرا بالنسبة للدول النامية لأنها لا تملك ترف اهدار جهود باحثيها على هذا النحو .

كيف السبيل الى علاج هذا الوضع ؟ هذا هو السؤال الذى لا يستطيع أن يجيب عليه البحث العلمى الحديث !



لوسيان بيترلان



انه واحد من ابرز الشخصيات الفرنسية التي ناصرت قضايانا العربية باقتناع وحماس ، فهو لا يتكلم العربية ، ورغم ذلك يقول دائما : انا افكر بالعربية ، وقلبي عربي ، ولكن هذا لا يعني انني مجنون بحب العرب ، ولكنني عموما احترمهم !

وفي حوار مع المفكر الفرنسي « لوسيان بيترلان » عند زيارته للدوحة في بداية شهر يناير من هذا العام ، ناقشته في عدة قضايا هامة حول أهداف جمعية التضامن الفرنسي التي تاسست في عام ١٩٦٧ ، وعن الدور الايجابي الذي قام به من اجل اطلاق سراح الاسرى الفلسطينيين والعرب داخل اسرائيل ، وعن النفوذ اليهودي داخل فرنسا ، وكيفية حل القضية الفلسطينية ، ورايه في الخلاف الطارىء على منظمة التحرير ، وتقييمه للمعارضة الاسرائيلية ، والابعاد السياسة لحرب الخليج والحرب اللبنانية ، وغير ذلك من القضايا الساخنة التي فرضت نفسها على الأحداث في المنطقة .

قبل ان ندخل في هذا الحوار الهام مع المفكر الفرنسي « لوسيان بيتر لان » كان لابد ان نلقي قليلا من الضوء على حياته ..

فقد ولد في مدينة (كوربفوا) في ١٥ يوليو عام ١٩٣٢ ، وهي مدينة تقع في ضواحي باريس ، ولم يكد يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى التحق بصفوف الحركة الديجولية ليناضل معها ، الأمر الذي قاده الى الجزائر ، في عز اندلاع الحرب الاهلية ضد مشروع الجنرال ديجول لانهاء الاستعمار الفرنسي في الجزائر . وسار بالتزامه حتى النهاية ، وخاض (الحرب الارهابية) التى يروى فصولها فى كتابه (كنا كلنا ارهابيين) وفيه روى قصة الكفاح المسلح ضد ارهاب (منظمة الجيش السري) الفرنسية في الجزائر .

وعند عودته الى باريس لم يلتحق بقافلة « الديجوليين الفدائيين » بل ظل يعمل في نصرة القضايا العادلة ، حتى اسس جمعية التضامن الفرنسى العربي عام ١٩٦٧ ، واصبح امينها العام ثم رئيسها منذ عام ١٩٧٨ .

يحدثنا لوسيان بيترلان رئيس الجمعية عن النضال اليومى ضد الدعاية الصهيونية في فرنسا واروبا بشكل عام ، يحدثنا عن مشاكل الجمعية مع العرب وفي سبيل العرب .

للصهاينة دعامة قوية والعرب غائبون

● هل تتفضل وتحدثنا عن جمعية التضامن الفرنسي العربي وعن اهدافها .

● ● انشانا الجمعية عام ١٩٦٧ باسم جمعية التضامن الفرنسى العربى لاظهار تضامننا وصداقتنا مع العرب وخاصة من عانى منهم من اعتداء ١٩٦٧ . اسسها فى البداية (لوي تير نوار) وكان وزيرا للاعلام عند الجنرال ديجول ، وكنت الامين العام للجمعية ، ثم خلفته واصبحت رئيسها منذ عام ١٩٧٨ . هذه الجمعية دعمها الجنرال ديجول ماديا ، وقال وقتها « لتيرنوار » ان « للصهاينة دعامة قوية فى فرنسا والعرب لا يمثلهم شيء عندنا » وافهم الجمعية ان تكون قريبة من العرب بعيداً عن روح الاستعمار والفوقية ، وان تظهر من الحضارة العربية والاسلامية ما ندين به فى حضارتنا لهم ، وان تناضل ضد العنصرية فعندنا مليونى عربي ، واول ما تعرفت على العرب كان ذلك فى الجزائر فى مارس عام ١٩٦٠ ، اي قبل عامين من استقلال الجزائر ، وكنت اعنى ببث البرامج الاذاعية فى راديو الجزائر ، وبدات حركة ديجول لاعطاء الجزائر استقلالها ،

أجرى الحوار : ياسر السباعي

وصحيح ان الجزائريين انتزعوا استقلالهم ولكن كان هناك بعض الجنرالات الفرنسيين الذين رفضوا ذلك فانشاوا (منظمة الجيش السرى) الفرنسي الارهابي فى الجزائر التى حاربناها بكل قوتنا ، وبعدها عدت الى فرنسا لانشاء الجمعية وتبنينا مهمة شرح القضية الفلسطينية ودعمنا كل القضايا العربية .

حرب الخليج لا تدور فقط فى الخليج

● ما هو الهدف من زيارتكم لدولة قطر ؟

● ● جئت الى قطر بناء على دعوة من جامعة الدول العربية ، بعد ان زرت السعودية والكويت والامارات لاشرح للمسئولين العمل الذى نقوم به ولاطلب منهم حضوراً اكبر فى الغرب ، لأننا نعتقد ان الحرب القائمة فى لبنان او الخليج لا تدور فقط فى هذه المنطقة ، انها حرب ذات نتائج مفيدة لاعداء العرب فى فرنسا ، وهى حرب سياسية دبلوماسية وعسكرية . إنها حرب شنها الصهاينة منذ ثلاثين عاما حرب دعائية دائمة فى فرنسا وامريكا ، فهم ذوو دعم مادي وسياسي يسمح لهم بالاستمرار فى التوسع . المال ياتيهم من الغرب وامريكا ، فالغرب هو الذى خلق اسرائيل ، لذلك علينا ان نناضل لدى الغرب لدعم القضايا العربية . المهم إذن أن اشرح للمسئولين دور المنظمات الصهيونية النشطة ، وبالمقابل علينا ان نقوم باعمال مضادة لهم ، وهذا ما شرحته لمجلس وزراء الاعلام العرب فى عام ١٩٨٢ ، صحيح اننا لسنا عربا ولا مسلمين ولكننا قريبون منهم ان الحرب مع اسرائيل فى فرنسا حرب نفسية اعلامية ، فهي تسمم افكار الغرب ، وعلى كل حال اشعر بيقظة عربية فى هذا المجال ، تستخدم نفس اساليب الأعداء .

لن يفهمني العرب لو زرت اسرائيل

● هل سبق وزرت اسرائيل ؟

● ● كلا .. ابدا . اعتقد ان ذلك ليس ممكنا حاليا . لقد طلب مني الفلسطينيون (مثل بسام الشكعة وتوفيق زياد) ان اذهب إلى اسرائيل وهذا صعب لانى رئيس جمعية تتضامن مع العرب ، ولن يفهمني العرب لو زرت اسرائيل .

لست مجنونا بحب العرب ولكن قلبي عربي :

● هل تتكلم العربية ؟

● ● كلا ولكن افكر بالعربية . امضيت الكثير من جهدي فى دعم تعليم اللغة العربية فى فرنسا ، ولكنى لم اتعلمها لصعوبتها . قلبى عربي ولكني لست مجنونا بحب العرب ، ولكني احترمهم .

كانت مشكلة فرنسا مع العرب هي ازالة الاستعمار :

● تاسست جمعيتكم او (جمعيتنا) عام ١٩٦٧ فلماذا لم تؤسس قبل ذلك ، علما بان المشكلة بدات منذ عام ١٩٤٧ ؟

● ● المشكلة بدات فعلا فى عام ١٩٦٧ . فحتى عام ١٩٦٢ (استقلال الجزائر) كان لفرنسا مشكلة ازالة الاستعمار مع الوطن العربى . كنت مناضلا ديجوليا منذ كان عمرى ستة عشر عاما فى عام ١٩٤٨ ، وكان فى الجامعات بعض الفرنسيين الذين يعملون لصالح العرب ثقافيا واقتصاديا فارادت جمعيتنا اعطاء البعد السياسي .

لو انه يعطيني جزءا من طائرته

● ما هى مصادر تمويلكم ؟

● ● التمويل هو مشكلتنا . من اهم مصادر الاعلان في مجلتنا (فرنسا والبلدان العربية) ، فالحكومة الفرنسية خفضت مساعداتها لنا . إننا نطلب من الجامعة العربية والدول العربية فقط نشر اعلاناتها فى مجلتنا والاشتراك فى شرائها ، فلدينا امانة عامة دائمة تتطلب الكثير من المصاريف . ان من اهداف تنقلاتي فى الدول العربية إفهام المسئولين اننا بحاجة الى الدعم المادي . ومشكلتنا هى نفس مشكلة الجمعيات الأخرى فى ايطاليا وسويسرا والمانيا . لقد طلبت من احد الوزراء العرب (مازحا) ان يعطيني جزءا من طائرته .. ولكن !

شعوب عربية

● فى منشوراتكم تتكرر جملة (شعوب عربية) فهل تعاملونا كشعوب ام كشعب واحد ؟ .

● ● لا نعطي اهمية لهذه المصطلحات فليس من الممكن ان نعتبر ان الجزائريين واليمنيين مثلا شعب واحد ، فهناك خصوصيات تفرق بين هذين الشعبين وهذا طبيعي . صحيح ان هناك وحدة بين الشعوب العربية اكثر من الشعوب الاوربية ولكن .. لا تفهم مني اني انتقد .. المسالة مسالة اشكال التعبير .

لا فرنسيون مؤقتون ولا اسرائيليون اجانب :

● هل عندكم فى الجمعية بعض الأعضاء اليهود العرب او الفرنسيين ؟

● ● نعم .. ولكن قليل جدا ، منهم مثلا الفرنسيون ذوو الأصل اليهودى ، عندنا : (ميشيل راشلين) و (لانا ليفين) و (عمانويل ليفين) وهم مواطنون فرنسيون ويؤكدون فرنسيتهم . واسرائيل دائما تغريهم ، ولكنهم لا يريدون ان يكونوا فرنسيين مؤقتين او اسرائيليين اجانب فى فرنسا .

نتعامل مع يهود يرفضون الصهيونية :

● هل لديكم علاقات مع المعارضة الاسرائيلية ؟

● ● لدينا علاقات مع اسرائيليين مناهضين للصهيونية ، وكذلك مع (الجمعية الاسرائيلية لحقوق الانسان) برئاسة الدكتور (اسرائيل شارل) ونستعمل نفس اساليبهم فى فضح الاستعمار والتعذيب . ولدينا علاقات مع يهود مستقيمي الراي يسمون حركتهم

أنا لا أتكلم بالعربية ولكني أفكر بها وقلبي دائماً مع العرب

(ليتوري كارتا) وهم متدينون ويناهضون الصهيونية بكل اخلاص ويرفضون الدولة الصهيونية اليهودية . ولدينا ايضا علاقات مع (حركة السلام الآن) ولكن فيهم بعض الغموض فهم مع السلام في لبنان وضد الحرب فيها ، ولكن البعض منهم ضد الحوار مع منظمة التحرير او مغادرة الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ . المهم هو العلاقات مع العالم العربي . نحن لسنا جمعية يسارية لمجرد تضامننا مع الشعب الفلسطيني ، بل نمثل كل التيـــارات العربية المناهضة للصهيونية .

ساهمنا في اطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين والعرب

● سمعت انكم ساهمتم في تبادل الأسرى بين منظمة التحرير والصهاينة ؟

● ● فعلا : لقد اتصل بي وسيط صحافي صديق كان قـــد طلب منـــه الاسرائيليون معرفة شروط المنظمة لعملية التبادل . طلبت من المنظمة معرفة شروطها فاستلمت الشروط ونقلتها بدوري ، وعلى اثر ذلك تم التبادل ، وكانت هناك محاولات قبل ذلك لاطلاق سراح الأسرى سواء عن طريق كرايسكي او غيره ، ولكنها لم تؤد الى شيء ، وقد كتبت مقالا في جريـــدة ((لوموند)) الفرنسية عن عملية التبادل .

لسنا عرباً اكثر من العرب

● ان من يتابع نشاطاتكم واهدافكم يعتقد انكم عرب اكثر من العرب احيانا !

● ● هذا كلام جميل ! المشكلة ان بعض الدول العربية تريد ان نتبنى اراءها ونقوم بالدعاية لنظامها فقط . ان هذا لصالح اسرائيل وضد العرب . لقد اصـــدرت مجلتنا (فرنسا والبلدان العربية) اعدادا خاصة عن اقطار الوطن العربي بغية إظهار كل ما هو ايجابي عند العرب مما يظهرنا احيانا كوكلاء دعاية وكعرب اكثر من العرب انفسهم . إننا نريد من العرب ان ينهوا صراعاتهم الداخلية ، فالأمة العربية موجودة ، وكذلك الدول العربيـــــة بكل خصوصياتها ، ولكن إذا تغيرت بعض الانظمة العربية مستقبلا فهذا شانها وليس شاننا ، ومع ذلك فنحن لسنا عربا اكثر من العرب .

الاستشراق بين العلم والجاسوسية

● يميز العرب في الاستشراق (بين العلم والجاسوسية الثقافية) فهل يعمل معكم بعض المستشرقين وهل تميزون بين كلا النوعين من الاستشراق ؟

● ● يعمل معنا جاك بيرك ومكسيم رودنسون وروجيه جلودي واخرون من قريب او من بعيد ولكني لا اتعامل مــع (جواسيس) مستشرقين . اعرف بعض المستشرقين الغامضين واعرف بعض المستعربين المعادين للعـــرب ولكني لا اتعامل معهم .

افران الغاز النازية ليست فكـــرة مختلقة :

● الكاتب الفرنسي (فوريسون) اصدر كتابات يدحض فكرة افران الغاز النازية التي استغلها الصهاينة في دعايتهم وعلى اثـــر نشر الكتـــــاب تم توقيف ومحاكمة هذا المؤلف . فماذا قدمتم له ؟

● ● لا اعتقد ان دليل (فوريسون) قوى في كتابه . إن رئيسنا (لوي تيرنوار) كان رئيسا للمقاومة الفرنسية في (شايو) ضد النازيين ومساعدا لـــ (جان مولان) عذبه رجال الجستابو ، وراى غرف الغاز ، وراى ما عاناه اليهود ، ليس اليهود وحدهم بل فئات اخرى . ولكن لا نقول باي حال من الاحوال ان افران الغازفكرة مختلقة . انها موجودة وقد استغلها الصهاينة فعلا . ان من عانى من افران الغاز ــ اي اليهود ــ اصبحوا جلادين ارهابيين في ايامنا هذه واعتقد ان الفلسطينيين يدفعون ثمن غلطة ارتكبتها المانيا النازية .

لن ينتصر الفلسطينيون بدون الدعم العربي .

● ما رايك بالخلاف الطارىء على منظمة التحرير ؟

● ● هذا سؤال محير ! اعتقد انه حدث نفس الشيء في المقاومة الفرنسية والثورة الجزائرية . إنه خلاف حول الاستراتيجية ، ومع ذلك فهذا امر يخص الفلسطينيين وحدهم ، وببساطة نامل وجود استراتيجية محددة مع العالم العربي ، لانه في رأيي لن ينتصر الفلسطينيون بدون الدعم العربي ، ففرنسا لن تاتي لتحرر فلسطين ، ولن تتحرر فلسطين إلا بالتلاحم العربي كما حصل في قمة فاس ، ان مقررات قمة فاس كانت كلها ضد اسرائيل ولصالح العرب .

اذا الصراع في منظمة التحرير شيء طبيعي ومنطقي يحدث في كل الحركات الثورية .

هذا هو دور قطر في القضية

● في عام ١٩٨٠ اجرت مجلتكم (فرنسا والبلدان العربية) لقاء صحفيا مع سعادة الاستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى . فما هي برايكم ثمرة هذا اللقاء ؟

● ● لقد نشرنا موضوعا عن المكانة التي تحتلها قطر في الوطن العربي بغية اعطاء صورة جيدة عن قطر . ان من اهداف زيارتي اعطاء الراى الفرنسى صورة عن الدور الذى تلعبه دول الخليج . إنها دول واقعية ومعتدلة تحاول ان تلعب دور الوسيط بين الدول العربية المختلفة في الراي ، واظن ان هذا هو دور قطر في القضية .

للمسلمين والمسيحيين واليهود مستقبل مشترك :

● هل تعاطفك مع العرب يعني انك تكره اليهود او الاسرائيليين او الصهاينة ؟

● ● انا لا اكره احدا . على اليهود ان يتمكنوا من العيش مع العرب اينما كانوا والا يشعروا بفوقيتهم او دونيتهم . انهم كالاخرين ، والعرب نفس الشيء امـــا الاسرائيليون فهناك الطيبون منهم الذين يريدون انهاء الحرب ، فامهات وزوجات المحاربين الاسرائيلين واولادهم يريدون ان يعيشوا بهدوء مثل الاخرين ، وهناك ايضا متهورون يريدون قتل الجميع واعتقد ان جو الحرب يفرض عليهم ذلك . امل ان تخف الكراهية ، وان تعتبر ان لليهود والعرب مسيحيين ومسلمين مستقبلا مشتركا واحدا . إنها امنية ! إن الحرب العالمية

الثانية بين الشعوب الاوربية كلفتنا ٦٠ مليون ضحية ! وها نحن نحاول ان نتقرب من بعضنا فى اوربا .

اخترت العرب عندما اشتدت حملات العداء ضدهم

● لماذا اخترت التضامن مع العرب بالذات رغم وجود امم اخرى اقرب الى الفرنسيين من العرب ؟

● ● لقد وجدنا مع العرب فى مناخ سياسي واحد . كان لدي اعتبار خاص عن العرب فى وقت إشتدت حملات العداء ضدهم وخاصة بعد حرب عام ١٩٦٧ . عندنا فى فرنسا جمعيات تضامن مع البولونيين والافغان وجنوب افريقيا . اخترت العرب لاني اعرف الجزائر ولأن عندنا جالية عربية كبيرة وقوية . ولانه من الظلم ان يدفع العرب ثمن غلطة ارتكبها الأوربيون . لقد عينتني الحكومة الاشتراكية اداريا فى (معهد العالم العربي) رغم انهم يعرفون اني ديجولى ، فكل الحكومات المتعاقبة دعمت جمعيتنا لانهم يعرفونها كوجه من وجوه فرنسا تجاه العرب .

الحل في فاس

● ما هو برايك حل القضية الفلسطينية ؟

● ● اعتقد ان الحل يكمن فى قرارات قمة فاس . سؤالك هذا طرحته بنفسي على الرئيس سليمان فرنجية . فى فاس وافق المؤتمرون على الدولة اليهودية وانشاء دولة فلسطينية فى الأراضي المحتلة وقال لي فرنجية « إذا وافقت اسرائيل على هذا فان العالم العربي كله سيوافق بدون استثناء » والحالة هذه فان اسرائيل لاتوافق لان هناك اعتبارات اخرى مثل صراع الشرق والغرب الذي تلعب فيه اسرائيل دورا كبيرا ، وهناك ايضا مصالح خارجية باستمرار الحرب . وإذا ما وافقت اسرائيل على الحوار مع المنظمة بالاشتراك مع الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، وأوربا فاننا نكون اقرب الى السلام .

اليهود اقوياء فى الأحزاب والمعارضة

● مَنْ مِنْ هؤلاء الفرنسيين باعتقادك اقرب الى العرب : الديجوليين أم الجيسكارديين أم الاشتراكيين أم الشيوعيين ؟

● ● برايي وبشكل منطقي ان الشيوعيين يدعمون القضية الفلسطينية ولكنهم ليسوا مع كل العرب وهذا مخالف لجمعيتنا ، وفى بقية الاحزاب هناك من يعمل لصالح العرب . اعتقد ان جاك شيراك هو اقرب سياسي الى العرب ولكن فى الأحزاب الثلاثة الاشتراكي والجيسكاردي والديجولى هناك من يناصر اسرائيل كسياسة داخلية فى كل حزب . فالاصوات اليهودية بسبب قوتها فى احزاب الاغلبية وفى المعارضة ايضا ، تؤثر احيانا على مسيرة هذه الاحزاب .

العرب ساميون ومع ذلك يتهمنا الصهاينة بالعداء للسامية

● هل تتهمكم المؤسسات الصهيونية بالعداء للسامية علماً بأن العرب ساميون ايضا ؟

● ● نعم . وهناك ايضا بعض الصحف تتهمنا بذلك وقد اقمنا الدعاوى ضدهم . وهناك حملة عدائية ضدنا أخرها انه قبل مغادرتي باريس مؤخرا استلمنا رسالة تهديد . لقد عانينا من الاعتداءات فى (شايو) و (ليون) و (باريس) حيث فجروا مكاتبنا . إنهم لا يتهموننا بالعداء للسامية فقط بل باخفاء الارهابيين ايضا .

اما كون العرب ساميين وننتهم نحن بالعداء للسامية فهذا مالا افهمه . ولكن الآن فى الغرب عندما نقول العداء للسامية يفهم منها فقط العداء لليهود ، واليهود فى هذه الحالة لا يعتبرون ان العرب ساميون .

العرب لا يثقون باصدقائهم

● ما الذى لا يعجبك فى العرب ؟

● ● اولا الصراع بين العرب انفسهم وكذلك عدم اعتنائهم بصورتهم فى الغرب وعدم قيامهم بالجهد الكافي لاثبات حضورهم .إنهم لا يثقون باصدقائهم ، وعندما نقوم بعملنا يظنون اننا تجاريون او مخابرات . المشكلة هى مشكلة ثقة .

● ها هي ١٧ سنة مرت من نضالكم فى سبيل العرب و ٣٧ سنة من نضال العرب فى سبيل قضاياهم ، واسرائيل مازالت تتوسع فكيف تعلل ذلك ؟

● ● اعتقد ان اسرائيل استفادت من الغرب لانها تعتبر نفسها جزءاً من الغرب ونتيجة من نتائج الحرب العالمية الثانية . كما ان الرأيين الغربي والشرقي يعتبران ان لليهود الحق فى إقامة وطن لهم ولكنهما لم يعتبرا ان هذه الدولة ستقوم على حساب العرب . إن اسرائيل خطيئة اوربية يدفع العرب ثمنها غاليا . اعتقد ان على الدول العربية التى خرجت من المرحلة الاستعمارية ان يمارسوا استقلالهم وسيادتهم وان يتفهموا واجبهم . ربما يلعب البترول دورا ولكن امل الا يكون البترول فقط فى اعتبار العرب . عليهم أن يتحدوا ليلعبوا دورهم التاريخي على المستوى العالمى . إن التاريخ يقول ان العرب هم الشركاء المقرون للاوربيين باستثناء فترة القطيعة عندما جاء العرب الى اوربا والاوربيون جاءوا الى العرب ، كل بحروبه القديمة ! لقد جاءت اسرائيل بتمويل الغرب ودعم الولايات المتحدة ومجاملة الدول الاشتراكية

نهضة العرب كانت مشرقة

● من (الحروب الصليبية) الى (جمعيات التضامن) فترة طويلة . كيف تراها ؟

● ● هذا اول سؤال يوجه لي فى حياتي ..

إنها فترة كان العرب فى تاريخنا غائبين او اعداء من وجهة نظر العداء بين الاسلام والمسيحية الكاثوليكية . إنها فترة قال عنها المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون « لم يكن العرب متحضرين جدا ولا منحطين جداً » وهذا موقف غامض تجاه الحضارة العربية . اعتقد ان نهضة العرب كانت فى ذلك الوقت مشرقة ، واعتقد انها ذات معنى اكبر من النهضة اليهودية ، اقصد انشاء دولة اسرائيل .

ياسر السباعى

السباحة في شرايين العودة

شعر: أحمد أحمد إبراهيم

أسميكِ – اختلاج الصدور –
شظيّه
فأيّ شظاياكِ بعثرني
فانفجرت الى آهةٍ
ودخانٍ ..
ونارٌ ..
ليلقانيَ الطعنُ
في الأرض شوكا
وفي الدرب سداً
وبين البنايات سوطا
يعيدُ ابتسامة عمري
إلى الانشطارْ
وحين أرى « باقة »
قد رسمت عليها « بنات السماء »
أستعيد التطوح تحت المشانقْ
فأوغلُ في الانسحاب المباغتْ
وأجلد كوكبة الواقفينَ
على كل خط ارتطام الثوابتْ
فيطرح ظهرى – إذا ما استدرتُ –
على هدبهم جبل الانهزامْ
[فليس الذى بيني وبينكِ واصل
وبيني وبين الواصلين حجابُ]
ورغم انفصال امتدادى
عن الوارثينَ
عن القاطنينَ
بأشجان نحر يديًا
عن الكاتبين الأغانيَ
بالمسح فوق المقاعدْ
عن السابحينَ مع الموج – شرقاً وغرباً –
بدون رويّهْ
عن الحاملين المباخرَ
بين يدىْ تبر سيف [أميّهْ]
أعود إليكِ
ولو وزعتني شظاياكِ في كل شبرٍ
خليّهْ
أسميكِ
إن جفت الأرض – سيبا
وإن ضاقت الجُدُر اللاعنات اللعينة – غيبا
وزهراً نديًا ... وسراً خفيّا
وتأتين – إن أقبل الصبح – همساً
يحوط سريرى
وتلتف كفاكِ – إن هاجم الحزن بابي –
فترحل كل المواجعْ
أسميكِ إنسان عين هوى [السندباد]
يقود خطاى إليكِ
يقوى خطاكِ إليَّ
لمنذ [تجارحَ] قلبي وإياكِ عشقا
سرى دمنا
فيكِ ... فيَّ
أسميكِ بيت القصيدِ
– إذ اما أردتُ –
ومفتتحاً بالنشيدِ – إذا ما ابتهلتُ
وميناء حتى الوحيد
– اذا ما تغربت ... تهتُ –
وملحاً وخبزاً
– إذا ما طعمتُ الطيورَ ...
الرحيقَ المصفّى –
فجعتُ
ورغم اندفاق البحار بصدرى المهشم
طويت على بئر حبكِ قلبي
فلا تذكريني إذا ما رأيت انطفاء الدرارىْ
على وجنتيَّ
فأحببت غيركِ حين عشيتُ
بشلال غيم ...
تمزقت – والأرض حبلى –
بكل خيوط التواصلْ
تقيد جنّ المنيّهْ
ورغم اعتصامك في كوكبٍ
غير أرضي
ورغم بقايا التسارر في
زمن الفتق – سيدتي الفاطميّهْ –
ورغم حطامي
أسميكِ ....
آهٍ ....
أسميك ماذا .. ؟
أسميكِ ... أمي ... الصديقة
أختي ... الحبيبة
أمنيتي ... والحقيقه
وأندسّ بين ذراعيكِ
– واهبةَ الطيبِ والطيبينْ –
وأملأ جفنيك من دمع روحى النقيّهْ
ولو وزّعتني شظاياكِ
في كل شبرٍ
خليّهْ ...

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● صلاح الدين يفاوض الإنجليز ●● مقاومة التدخين



بقلم: أحمد أحمد بدوي

استعاد صلاح الدين بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، بعد ان ظل في ايدي الصليبيين زهاء تسعين عاما، وقد أثارت عودته إلى حظيرة الاسلام ثائرة فرنج اوربا، وبذل رجال الدين كل جهد، ليوقظوا غضب الجماهير، وليشركوا ملوك اوربا وامراءها في حرب صليبية جديدة، وأرسل صاحب صور صورة المقدس في ورقة، وصور فيها صورة كنيسة القيامة التي يحجون إليها ويعظمون شانها، «وفيه قبة قبر المسيح، وصور على القبر فرساً، عليه مسلم قد وطيء قبر المسيح، وبال الفرس على القبر، وأبدى هذه الصورة وراء البحر في الأسواق والمجامع، والقسوس يحملونها ورءوسهم مكشوفة، وعليهم المسوح وينادون بالويل والثبور...» وقد كللت جهودهم بالنجاح، فاقبل على القتال جند كثيف، على رأسه أعظم ملوك أوربا، وهم إمبراطور ألمانيا فردريك باباروس، وملك فرنسا فيليب اوغسطوس، وملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد.

أقبل الصليبيون على فلسطين من كل مكان بالبر والبحر والتام شملهم في صور، التى أوى إليها الصليبيون من جميع انحاء سوريا وفلسطين، وقر رايهم على مهاجمة عكا، لحصانة موقعها. ولان الطريق اليها شاطىء البحر حيث تحميهم سفنهم، وكان البحر اعظم مساعد لهم، يحمل اليهم المواد الحربية والمؤن والرجال وقد وصلوا امام عكا في ١٥ رجب سنة ٥٨٥ هـ، ووضعوا عليها الحصار.

عندما سمع صلاح الدين بحركة الفرنج جمع امراءه للاستشارة، وكان رايه ان يهاجمهم في الطريق قبل ان يصلوا إلى عكا، ولكن امراءه اقنعوه بان الخير في ان تدور المعركة امام عكا. وعندما ذهب صلاح الدين إلى عكا وجد الفرنج قد احاطوا بها، ومنعوا كل اتصال بها، فعسكر صلاح الدين في مواجهتهم. ويقول المؤرخون: لو أن صلاح الدين عمل تبعاً لرايه الخاص، وهاجم الصليبيين قبل ان يحاصروا المدينة لأنقذها، ولكن تلك إرادة الله

صمدت عكا امام الفرنج زهاء عامين، نال اهلها فيهما الضر، وانهك الضعف فيهما رجالها، وبلغ منهم العجز إلى غاية لم يجدوا بعدها بدا من التسليم، وكانت قوى صلاح الدين يومئذ مبعثرة، في البلاد، فكان جيش يراقب بوهمند أمير انطاكية، واخر مقيم في الرها مواجه لطرابلس للدفاع عن الحدود، وثالث يراقب صور، ورابع في دمياط والاسكندرية، ليحتاط ضد الصليبيين القادمين من البحر، ولذلك كان جيش السلطان اقل عدداً من الصليبيين، وبرغم طول الحصار لم ير صلاح الدين ان يسلم البلد للعدو، وعمل اهل عكا ما استطاعوا للاحتفاظ بمدينتهم، ولكنهم امام كثرة العدو اضطروا إلى ان يصالحوه على ان يسلموا إليه البلد وجميع ما فيه، ويقدموا إليه ضريبة مالية كبيرة، ويخرجوا بانفسهم سالمين هم وذراريهم ونساؤهم. ولما علم صلاح الدين بذلك انكره إنكاراً عظيماً، وعزم على ان يحول بين اهل عكا وبين التسليم، ولكن ما راعه إلا اعلام الفرنج

صلاح الدين يفاوض الانجليز

تنصب على أسوار المدينة يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ هـ . ولم يف ملك الانجليز بما وعد به أسرى المسلمين ، بل احضرهم مكبلين بالحبال ، وحمل عليهم هو وجنده حملة الرجل الواحد ، فقتلوهم ضربا وطعنا بالسيف ، ولم يطق ملك فرنسا المقام مع ريتشارد ، فعاد إلى بلاده ، وبقى ريتشارد يعمل وحده .

لما فرغ الفرنج من إصلاح امر عكا ساروا مع شاطىء البحر إلى حيفا ، وخرج المسلمون بازائهم يضايقونهم ، حتى وصلوا إلى يافا فملكوها ، وكانوا على ان يملكوا عسقلان والقدس ، فجمع صلاح الدين امراءه ، واستشارهم فيما يفعل ، فاشاروا عليه بتخريب عسقلان ، وقالوا له : قد رايت ما كان بالامس ، وإذا جاء الفرنج إلى عسقلان ووقفنا في وجوههم نصدهم عنها فهم لاشك يقاتلوننا لننزاح عنها وينزلون عليها ، فاذا كان ذلك عدنا إلى مثل ما كنا عليه على عكا ويعظم الامر علينا ، لان العدو قد قوي باخذ عكا وما فيها من الاسلحة وغيرها ، ونحن قد ضعفنا بما خرج عن ايدينا ، ولم تطل المدة حتى نستعيد غيرها ، فوافق صلاح الدين على تخريبها مرغما : وتركها صلاح الدين إلى القدس ، وامر بعمارة سوره وتجديد ما رث منه . واما الفرنج فرحلوا إلى الرملة واخذوا يجددون عسقلان ، واجمعوا امرهم على المسير إلى بيت المقدس .

بدا حديث الصلح يومئذ بين ملك الانجليز وصلاح الدين ، وكان العدو هو الذي بدا بطلب الحديث في هذا الصلح ، إذ اراد ان يتحدث إلى الملك العادل ، وكان اول ما دار من حديث بين الفريقين ان قال الفرنج : «إنه قد طال بيننا القتال ، وقد قتل من الجانبين الرجال الابطال ، وإنا نحن جئنا في نصرة إفرنج الساحل ، فاصطلحوا انتم وهم ، وكل منا يرجع إلى مكانه» ، ولما علم ملك الانجليز بمقدم الملك العادل ، واجتمع به وابدى له الرغبة في الصلح ، فقال له الملك العادل : انتم تطلبون الصلح ولا تذكرون مطلوبكم فيه حتى اتوسط بينكم وبين السلطان . وهنا بدا ريتشارد بذكر اعلى شروطه للصلح ، مظهرا صرامة وقوة إذ قال : «القاعدة ان تعود البلاد كلها إلينا وتنصرفوا إلى بلادكم» ، ولم تكن هذه القاعدة بطبيعة الحال مما يقبله الملك العادل ، فاخشن له في الجواب ، وجرت بينهما منافرة ، انصرفا بعدها على غير اتفاق ، ثم دارت بين الفريقين بعض المعارك ، عاد بعدها ملك الانجليز يعجم عود الملك العادل في امر الصلح عله يلين ، على غير جدوى .

طلب ريتشارد إلى الملك العادل مرة اخرى ان يرسل رسولا من لدنه ليتفاوض معه في امر الصلح ، فارسل إليه رسولا يثق به ، ظل يفاوض الملك حينا طويلا ، ومع ذلك لم يتزحزح الملك إلا قليلا عن موقفه ، فقد عاد الرسول واخبر العادل بما دار بينه وبين ريتشارد الذي قال للرسول : لا ارجع عن كلام اتحدث به مع اخي وصديقي - يعني العادل - فكتب العادل رقعة انفذها إلى السلطان تتضمن شروط الصلح التي عرضها ملك الانجليز وفيها : «إن المسلمين والافرنج قد هلكوا ، وخربت البلاد ، وخرجت من يد الفريقين بالكلية ، وقد تلفت الاموال والارواح من الطائفتين ، وقد اخذ هذا الامر حقه ، وليس هناك حديث سوى القدس والصليب والبلاد ، والقدس متعبدنا ما ننزل عنه ولو لم يبق منا إلا واحد . واما البلاد فيعاد إلينا ما هو قاطع الاردن ، واما الصليب فهو خشبة عندكم لا مقدار له ، وهو عندنا عظيم فيمن به السلطان علينا ونصطلح ، ونستريح من هذا التعب» .

ولما وصلت الرسالة إلى السلطان استدعى ارباب الشورة في دولته ، وشاورهم في الامر ، وانتهى التشاور الى موقف حازم ، إذ ارسل السلطان في جواب الرسالة يقول لملك الانجليز : « القدس لنا كما هو لكم ، وهو عندنا اعظم مما هو عندكم ، فانه مسرى نبينا ، ومجتمع الملائكة فلا تتصور ان ننزل عنه ، ولا نقدر على التفريط بذلك بين المسلمين . واما البلاد فهي ايضا لنا في الاصل ، واستيلاؤكم كان طارئا عليها ، لضعف من كان فيها من المسلمين في ذلك الوقت ، وما يقدركم الله على عمارة حجر منها ما دام الحرب قائما ، وما في ايدينا منها ناكل بحمد الله مغله وننتفع به ، واما الصليب فهلاكه عندنا قربة عظيمة . لا يجوز لنا ان نفرط فيها إلا لمصلحة راجعة للاسلام هي اوفى منها »

وفشل مشروع اخر للصلح عرضه ملك الانجليز على العادل ، إذ اراد ان يتزوج العادل باخته ، على ان يعطيها اخوها بلاد الساحل التي بيده من عكا إلى يافا وعسقلان وتكون ملكة الساحل ، على ان يكون مستقر ملكها بالقدس ، ويكون العادل ملك الساحل ، وان يسلم إليه صليب الصليبوت ، وتكون القرى والحصون لطائفتين من فرسان الافرنج هما الداوية والاسبتار ، وان يطلق اسرى الفرنج والمسلمين . واذا استقر الصلح على هذه القاعدة رحل ملك الانجليز على بلاده . وقد قبل صلاح الدين هذا المشروع ، إذ به تكون بلاد الشام كلها تحت سيطرة صلاح الدين واخيه . ويقال إن سبب الفشل يعود إلى ان اخت الملك لم تقبل ان تتزوج من العادل لانه مسلم ، وظن ريتشارد ان العادل يقبل ان يتنصر ليتمم هذا الزواج ، ولهذا ابقى باب المفاوضات مفتوحا .

وبرغم ان العادل لم يتنصر ، ولم يتم الزواج ، توثقت صلة المودة بين الملكين ، وحدث في اجتماع تم بينهما ان سال ريتشارد الملك العادل ان يلتمس من السلطان صلاح الدين الاجتماع به ، فلما وصلت هذه الرسالة شاور السلطان الجماعة في الجواب عنها ، وبدا له راي ناجح موفق ذلك انه قال : « الملوك إذا اجتمعوا يقبح منهم المخاصمة بعد ذلك ، فاذا انقطع امر حسن الاجتماع ، والاجتماع لا يكون إلا لمفاوضة في مهم ، وانا لا افهم بلسانك ، وانت لا تفهم بلساني ولابد من ترجمان بيننا نثق انا وانت به ، فليكن ذلك الترجمان رسولا حتى يستقر امر وتستتب قاعدة ، وعند ذلك يكون الاجتماع الذي يعقبه الوداد والمحبة » قال الرسول : ولما سمع ملك الانجليز هذا الجواب استعظمه ، وعلم انه ليس من الهين ان يظفر بما يريد من السلطان . وكان صلاح الدين لا يرى الصلح مع الفرنج ، ويؤمن بان المصلحة في دوام الجهاد حتى يخرجوا من الساحل ، ويعتقد ان الفرنج لا تؤمن غائلتهم ، ويرى ان هذا واجبه في الحياة وتحدثه نفسه بانه لو حدث به حادث الموت لا تكاد تجتمع هذه الجيوش التي تحت قيادته .

مضت الرسل بين الفريقين تحدث في الصلح لتقرير قواعده ، مع قيام الحرب بينهما ، ولم يستطع الطرفان ان يصلا إلى حل حاسم برغم كثرة الرسل ، وكثرة ما عرض من مشروعات . وقر راي العدو على مهاجمة القدس والاستيلاء عليها ، ومضى يعد العدة لذلك ، فاحضر السلطان الامراء

عنده ، وقر رأيهم على الاجتماع عند الصخرة والتحالف على الموت . غير ان الفرنج وقد اشرفوا على القدس حدث بينهم خلاف ، دفعهم إلى ان يعودوا ناكصين على اعقابهم ، وفرح المسلمون بهذه العودة .

وتجدد حديث الصلح مرة ثانية ، وارسل ملك الانجليز رسولا يقول : قد هلكنا نحن وانتم ، والاصلح حقن الدماء ، ولا ينبغي ان تعتقد ان ذلك لضعف مني ، بل للمصلحة ، ولا تغتر بتاخري عن منزلي ، فالكبش يتاخر لينطح » .

وارسل رسالة اخرى فيها رفق وخضوع ونزول عن كثير مما كان يطمع فيه ، ويقول له في هذه الرسالة : « إني راغب في مودتك وصداقتك ، وانه لا نريد ان يكون فرعون بملك الارض ، ولا يظن ذلك فيك ، ولا يجوز لك ان تهلك المسلمين كلهم ، ولا يجوز لي ان اهلك الافرنج كلهم ، وهذا ابن اختي الكندهري قد ملكته هذه الديار ، وسلمته إليك ، ليكون هو وعسكره تحت حكمك ولو استدعيتهم إلى الشنق سمعوا واطاعوا .

ويقول : ان جماعة من الرهبان المنقطعين قد طلبوا منك كنائس فما بخلت عليهم بها ، وانا اطلب منك كنيسة ، وتلك الامور التي كانت تضيق صدرك مما كان يجري في المراسلة مع الملك العادل تركتها واعرضت عنها ، ولو اعطيتني خربة قبلتها » . فلما سمع السلطان هذه الرسالة جمع ارباب مشورته فاجمعوا على المحاسنة وعقد الصلح لما كان قد اخذ المسلمين من الضجر والتعب فكتب صلاح الدين إليه : « إذا دخلت معنا هذا الدخول فما جزاء الاحسان إلا الاحسان . إن ابن اختك يكون عندي كبعض اولادي ، وسيبلغك ما افعل معه ، وعسقلان وما وراءها يكون خرابا لا لذا ولا لكم .. » وقد كاد الصلح يتم لولا إصرار ملك الانجليز على ان تبقى عسقلان وبعض البلاد عامرة بيده ، فقد ارسل إلى صلاح الدين رسالة يقول فيها : « إن الملك يسال ويخضع لك ان تترك له هذه الأماكن الثلاثة عامرة ، واي قدر لها في ملكك وعظمتك ، وما من سبب لاصراره عليها ، إلا ان الافرنج لم يسمحوا بها ، وقد ترك القدس بالكلية ، فلا يطلب ان يكون فيه رهبان ولا قسوس ، إلا في القيامة وحدها ، فانت تترك له هذه البلاد ، ويكون الصلح عاما ، فيكون لهم كل ما في ايديهم من الداروم إلى انطاكية ، ولكم ما في ايديكم ، وينتظم الحال ، وإن لم



صلاح الدين الايوبي

ينتظم الصلح فالافرنج لا يمكنونه من الرواح ، ولا يمكنه مخالفتهم » . وانقطعت مفاوضات الصلح عندما اعلن الملك انه لا لا يمكن ان يخرب من عسقلان حجرا واحدا

استعد صلاح الدين للحرب ، ومضى بجيشه إلى يافا وافتتحها وكانت قلعتهما على وشك ان تسقط في يده لولا ان انجدها جيش الفرنج ، وقد اعجب ملك الانجليز بالسرعة التي استولى بها صلاح الدين على يافا ، وقال : ما ظننت انه ياخذ يافا في شهرين ، فكيف اخذها في يومين . وارسل رسولا إلى السلطان يقول له : « بالله عليك اجب سؤالي في الصلح ، فهذا الامر لابد له من اخر ، وقد هلكت بلادي وراء البحر ، وما في دوام هذا مصلحة لنا ولا لكم » فاجابه السلطان : « إنك كنت طلبت الصلح اولا على قاعدة ، وكان الحديث في يافا وعسقلان ، والآن قد خرجت يافا ، فيكون لك من صور إلى قيسارية » ، فجاء رسول الملك يقول : « إن قاعدة الافرنج انه إذا اعطي واحد لواحد بلدا صار تبعه وغلامه ، وانا اطلب منك هذين البلدين : يافا وعسقلان ، وتكون عساكرهما في خدمتك دائما ، وإذا احتجت إلي ، وصلت إليك في اسرع وقت ، وخدمتك كما تعلم خدمتي » ، فاجابه صلاح الدين : «حيث دخلت هذا المدخل ، فانا اجيبك بان نجعل هذين البلدين قسمين : احدهما لك ، وهو يافا وما وراءها ، والثاني لي ، وهو عسقلان وما وراءها » ، فارسل إليه الملك يشكره على اعطائه يافا ، ويجدد السؤال في عسقلان ، ويقول : « إنه إن وقع الصلح في هذه الأيام سار إلى بلاده ، ولا يحتاج ان يشتي هاهنا » ، فاجابه السلطان في الحال إجابة المؤمن الواثق بقوله : « اما النزول عن عسقلان فلا سبيل إليه واما تشتيه هاهنا ، فلابد منها ، لانه قد استولى على هذه البلاد ، ويعلم انه متى غاب عنها اخذت بالضرورة ، كما تؤخذ ايضا إذا اقام إن شاء الله تعالى . وإذا سهل عليه ان يشتي هاهنا ، ويبعد عن اهله ووطنه مسيرة شهرين وهو شاب في عنفوان شبابه ووقت اقتناص لذاته ، افلا يسهل علي ان اشتي واصيف ، وانا في وسط بلادي وعندي اولادي واهلي ، وياتي الي ما أريد ، وانا رجل شيخ ، قد كرهت لذات الدنيا ، وشبعت منها ، ورفضتها عني ، والعسكر الذي يكون عندي في الشتاء غير العسكر الذي يكون عندي في الصيف ، وانا اعتقد اني في أعظم العبادات ، ولا ازال كذلك حتى يعطي الله النصر لمن يشاء » ..

ومضى السلطان يطلب فرصة يحارب فيها العدو ، ولكن الملل كان قد دب إلى عسكر الفريقين وكانت قد جدت امور تستدعي عودة ملك الانجليز إلى بلاده ، فارسل رسولا إلى الملك العادل ، وقال له : قل لاخي الملك العادل يبصر كيف يتوصل إلى السلطان في معنى الصلح ، ويستوهب لي منه عسقلان ، وامضي انا ، ويبقى هو في هذه الشرذمة اليسيرة ياخذ البلاد منهم فليس لي غرض إلا إقامة جاهي بين الافرنج ، وإن لم ينزل السلطان عن عسقلان فياخذ لي منه عوضا عن خسارتي على عمارة سورها .

فلما سمع السلطان ذلك سيرهم الى الملك العادل ، واسر إلى ثقة عنده ان يمضي إلى الملك العادل ، ويقول له : إن نزلوا عن عسقلان فصالحهم ، فان العسكر قد ضجروا من ملازمة القتال ، والنفقات قد قلت .

وانتهت المفاوضات بين العادل والملك بالنزول عن عسقلان وعن طلب العوض عنها ، وتم توقيع المعاهدة على ان يسود السلام ثلاث سنين من تاريخها وهو الاربعاء الثاني والعشرون من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، ونادى المنادي في الاسواق : الا إن الصلح قد انتظم في سائر بلادهم ، فمن شاء من بلادهم ان يدخل إلى بلادنا فليفعل ، ومن شاء من بلادنا ان يدخل إلى بلادهم فليفعل . قال ابن شداد وكان حاضرا ذلك اليوم : « وكان يوما مشهودا ، غشى الناس من الطائفتين فيه من الفرح والسرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى » .

صلاح الدين يفاوض الانجليز

اما موقف صلاح الدين من الصلح فقد اوضحه ابن شداد بقوله : « ان الصلح لم يكن من إيثاره ، فانه قال لي في بعض محاوراته في الصلح : اخاف ان اصالح ، وما ادري اي شيء يكون مني ، فيقوى هذا العدو ، وقد بقيت لهم هذه البلاد ، فيخرجوا لاسترداد بقية بلادهم ، ونرى كل واحد من هؤلاء الجماعة قد قعد في راس قلعته ، يعني حصنه ، وقال : لا انزل ، فيهلك المسلمون . هذا كلامه ، وكان كما قال لكنه راى المصلحة في الصلح ، لسآمة العسكر ، وتظاهرهم بالمخالفة ، وكانت مصلحته في علم الله تعالى ، فانه اتفقت وفاته بعيد الصلح ، ولو كان اتفق ذلك في اثناء الوقعات لكان الاسلام على خطر ، فما كان الصلح إلا توفيقاً وسعادة له » .

امضى صلاح الدين معاهدة الصلح مرغماً ، لما شاهده في الجند من ملل ، دل عليه احجامهم عن منازلة العدو في مواقف عدة . وكان يامل ان يجدد قواه في هذه المدة من السلم ليستخلص ما بقى في يد الفرنج ، وبرغم طول الجهاد ومشقات القتال هذه المدة الطويلة في حرب الفرنج ، وقف صلاح الدين للفرنج وقفات حطمت آمالهم ، فلم يظفروا بغير امتلاك عكا ، واضطروا إلى النزول على ما شرطه السلطان . وفي ذلك يقول ابن الساعاتي بمدح صلاح الدين :

سل عنه قلب الأنكتير ، فـان في خفقانـه ما شئت من انبائـه
لولاك امّ البيتَ غيـر مدافـع واسـال سيل نداه في بطحائـه
وبكتِ جفـون القدس ثانيـة دمـا لترنّمِ النـاقوس في افنائـه

وكان إعجاب مؤرخي المسلمين عظيماً بصبر الانجليز ، وسياستهم في اللين حيناً والشدة حيناً اخر ، ولكن غلب سياستهم إيمان صلاح الدين وقوة ثباته ورباطة جنانه .

أحمد أحمد بدوي
١٩٥٣

مقاومة التدخين


زكي مبارك

بقلم : الدكتور زكي مبارك

شاع وذاع أن الدخان يشحذ الفكر ، ويوقظ الذهن ، من اجل هذا كثر المدخنون من الشعراء والكتاب والسياسيين ، حتى صار من المالوف ان نرى صور الساسة والوزراء وفي افواههم السجائر النحاف او السمان ، وحتى صار من العسير ان نتصور شاعراً او زعيما خلت حياته من عبق الدخان .

في العام الماضي قام الدكتور شخاخيري بتاليف رابطة لمقاومة التدخين ، ومضى يستهدي المفكرين والمؤلفين والوزراء كلمات

في استنكار التدخين ولم يكتف بذلك ، وانما اندفع فنظم سلسلة محاضرات في «دار الحكمة» .. دعا إليها اشهر المحاضرين ليقاوم افة التدخين .

والدكتور شخاخيري رجل مخلص ، ودعوته هذه تستحق التاييد ، ولكنها معرضة لاخطار سانص عليها في هذا

الحديث لاهدم الأساس الذي قامت عليه ،

ولعل الله يتفضل فيكتب لي النفع مما تعلمت ، لانني مع الاسف من المسرفين على انفسهم بالتدخين .

شاع وذاع ان الدخان يشحذ الفكر ،

ويوقظ الذهن ، ومن اجل هذا كثر المدخنون من الشعراء والكتاب والسياسيين ، حتى

صار من المالوف ان نرى صور الساسة والوزراء وفي افواههم السجائر النحاف

او السمان ، وحتى صار من العسير ان نتصور شاعرا او زعيما خلت حياته من عبق الدخان .

صلاح الدين يفاوض الأنجليز

اما موقف صلاح الدين من الصلح فقد اوضحه ابن شداد بقوله : « ان الصلح لم يكن من إيثاره ، فانه قال لي في بعض محاوراته في الصلح : اخاف ان اصالح ، وما ادري اي شيء يكون مني ، فيقوى هذا العدو ، وقد بقيت لهم هذه البلاد ، فيخرجوا لاسترداد بقية بلادهم ، ونرى كل واحد من هؤلاء الجماعة قد قعد في راس قلعته ، يعني حصنه ، وقال : لا انزل ، فيهلك المسلمون . هذا كلامه ، وكان كما قال لكنه راى المصلحة في الصلح ، لسآمة العسكر ، وتظاهرهم بالمخالفة ، وكانت مصلحته في علم الله تعالى ، فانه اتفقت وفاته بعيد الصلح ، ولو كان اتفق ذلك في اثناء الوقعات لكان الاسلام على خطر ، فما كان الصلح إلا توفيقا وسعادة له » .

امضى صلاح الدين معاهدة الصلح مرغما ، لما شاهده في الجند من ملل ، دل عليه احجامهم عن منازلة العدو في مواقف عدة ، وكان يامل ان يجدد قواه في هذه المدة من السلم ليستخلص ما بقى في يد الفرنج ، وبرغم طول الجهاد ومشقات القتال هذه المدة الطويلة في حرب الفرنج ، وقف صلاح الدين للفرنج وقفات حطمت آمالهم ، فلم يظفروا بغير امتلاك عكا ، واضطروا إلى النزول على ما شرطه السلطان . وفي ذلك يقول ابن الساعاتي بمدح صلاح الدين :

سل عنه قلب الأنكتير ، فـــان في
خفقانـــه ما شئت من انبائـــــه
لولاك امّ البيتَ غيـــــر مدافـــع
واســـال سيل نداه في بطحائـــه
وبكتِ جفـــون القدس ثانيـــة دمـــا
لترنّم النـــاقوس في افنائـــــه

وكان إعجاب مؤرخي المسلمين عظيما بصبر الانجليز ، وسياستهم في اللين حينا والشدة حينا اخر ، ولكن غلب سياستهم إيمان صلاح الدين وقوة ثباته ورباطة جنانه .

أحمد أحمد بدوي

١٩٥٣

مُقاومَة التّدخين



زكي مبارك

بقلم : الدكتور زكي مبارك

شاع وذاع أن الدخان يشحذ الفكر ، ويوقظ الذهن ، من اجل هذا كثر المدخنون من الشعراء والكتاب والسياسيين ، حتى صار من المالوف ان نرى صور الساسة والوزراء وفي افواههم السجائر النحاف او السمان ، وحتى صار من العسير ان نتصور شاعراً او زعيما خلت حياته من عبق الدخان .

في العام الماضي قام الدكتور شخاخيري بتاليف رابطة لمقاومة التدخين ، ومضى يستهدي المفكرين والمؤلفين والوزراء كلمات

في استنكار التدخين ولم يكتف بذلك ، وانما اندفع فنظم سلسلة محاضرات في «دار الحكمة» .. دعا إليها اشهر المحاضرين ليقاوم افة التدخين .

والدكتور شخاخيري رجل مخلص ، ودعوته هذه تستحق التاييد ، ولكنها معرضة لاخطار سانص عليها في هذا

الحديث لاهدم الأساس الذي قامت عليه ،

ولعل الله يتفضل فيكتب لي النفع مما تعلمت ، لأنني مع الاسف من المسرفين على انفسهم بالتدخين .

شاع وذاع ان الدخان يشحذ الفكر ،

ويوقظ الذهن ، ومن اجل هذا كثر المدخنون من الشعراء والكتاب والسياسيين ، حتى

صار من المالوف ان نرى صور الساسة والوزراء وفي افواههم السجائر النحاف

او السمان ، وحتى صار من العسير ان نتصور شاعرا او زعيما خلت حياته من عبق الدخان .

لن اقف موقف الواعظ في دفع هذه الآفة ولكني ساقف موقف المؤرخ ، ثم اترك الحكم للقراء فيما ساسوقه ، من بيانات .

اول امة عريقة في التدخين هي امريكا القديمة ، امريكا الامريكية ، لا امريكا

الاوربية ، اعني امريكا التي سبقت عهد كولمبس ، وسبقت عهد الاتصال بالاوربيين والاسيويين .

فما الذي استفادت امريكا القديمة من التدخين ؟ هل فتق اذهان اهلها إلى الوان من الفكر والعقل والبيان ؟ هل جعل لاهلها ماضيا في رفع دعائم الحضارة الانسانية ؟

كلا ، وإنما تركها التدخين امة بلا تاريخ ، واقدم الامم في رفع راية العقل هم المصريون والبابليون واليونانيون ، فهل عرف هؤلاء التدخين حتى ننسب رقيهم إلى هذا المرض الفظيع ؟

هل عرف العرب التدخين حتى نرد السبب في تفوقهم إلى الدخان ؟

هل دخن الجاحظ والغزالي وابن رشد والبحتري والمتنبي وابو فراس ؟

اترك التاريخ القديم واذكر شواهد قريبة جداً من تاريخ مصر الحديث :

أعظم كاتب سياسي بإجماع الأراء هو المرحوم عبدالقادر باشا حمزة ، ولم يكن يدخن ابدا ، وما اذكر اني رايته طلب فنجان قهوة في اي وقت وهو يكتب اصعب المقالات .

ومن عظماء كتابنا الزيات والاستاذ العقاد ، وهما لا يعرفان التدخين . وهذا كلام لا يكاد يصدقه القارىء ، ولكنه الواقع ، ولا حيلة في إنكار الواقع (١) .

ولو أن الله اراد ان انتفع بما تعلمت لتذكرت اني الفت كتاب « الأخلاق عند الغزالي » وكتاب « النثر الفني » قبل ان اعرف التدخين ، فمتى انتفع بما تعلمت ؟

اما بعد فقد دعاني إلى كتابة هذه الكلمات حوادث اغضبتني ، لان فيها دعاية إلى التدخين ، وهو مرض يفتك بشبان هذا الجيل .

الحادث الاول : في الاسبوع الماضي وقف الاستـــاذ زهير صبري يستجوب الحكومة في مجلس النواب عن تسعير

الحاجيات الضرورية ، فلما وصل إلى السجائر قال : إن السجائر قد غلت مع ان «كيف» القهوة والشــــاي لا يحـلـو إلا بسجارة (؟!) فهل فاته ان في هذا الكلام

إيحاء باهمية السجائر في الحياة اليومية ؟

الحادث الثاني : في الاسبوع الماضي ايضا «تفضلت» الإذاعة اللاسلكية فاذاعت اغنية تنطق بفضائل السجائر ، اغنية منقولة عن احد الافلام السينمائية ..

وانا سانبت هذه الاغنية في هذا الحديث لغرض واحد : هو تاريخ الحياة الأدبية ، فما يجوز لمؤرخ الادب أن يترك شيئا بلا تقييد ، ولو كان في الدعوة إلى الدخان . وسادعو الاذاعة اللاسلكية بعد ذلك إلى التفرقة بين جو الرواية وجو الغناء .

عنوان الاغنية «خد سجارة وهات سجارة» وهي من الشعر الملحون :

السجـــارة في الحيـــاة زيي انا
تتحرق وتضحي روحها لأجل غيرها
عمرهافي الدنيا ما شــــافت هنـــا
تحيا بين النار عشان يرتاح ضميرها
خـــد سجـــــارة ، وهـــــات سجارة
السجارة إن كنت يوم حندوق حنانها
تلقي نفسك في حيـــــاه غير الحياه
تلقي طيف اللي تحبه بين دخانها
لما فكرك يبقى ســـــارح في هواه
خد سجــــــارة ، وهـــــات سجـــــاره

انت زعلان ؟ خد سجارة ، خدها مني
بالله ولعهـــــا واطفي الشوق بنارها
انت تبقى في جوها عايش مهني
والسجارة تبقى زيي في مرارهـــــا
خـــد سجـــــارة ، وهـــــات سجارة
السجارة لما تيجي وتواســـيك
تنكوي بنارك ومن شوقك تبوسهـــا
هي تصـــون الجميل حـــرام عليك
بعد ما تحرقهـــــا بالأقدام تدوسهـــا
خد سجـــــارة ، وهـــــات سجـــــاره

هذه القطعة قوية جدا في الابانة عن الغرض الذي نظمت فيه ، ولكن محطة الاذاعـــــة تنسى ان ما يبيحه جو الرواية لتصوير

إحدى الحالات النفسية لا يباح عرضه على جمـــاهير بريئة يؤذيهـــا الايحاء بجمال الدخان .

جو الرواية المسرحية او السينمائية قد يدعو إلى تجميل إحدى الرذائل ولكنه قد يسوق بعد ذلك عبرة تقتل السم الذي بثه المنظر الأول ، وبهذا يتعادل النضال بين السم والترياق .

فما عذر محطة الاذاعة في ان تبث داء بلا دواء ؟

الحادث الثالث : رايت في احد الافلام ممثلا يدخن باسراف مع انه صديق اعرفه منذ سنين ، وهو يبغض الدخان ، فلما سالته عن السبب اجابني بان الافلام المصرية تجعل الناس جميعا مدخنين .

فما هذا الذي نرى ؟

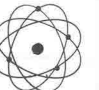
انزور الحياة المصرية لتشابه الحياة الأمريكية ؟

انكذب على الواقع في سبيل الفن ، مع ان غاية الفن هي أن يجسم المحاسن والعيوب ، حين يراد به تهذيب الاخلاق ؟ اللهم حوالينا ولا علينا !!

زكي مبارك
١٩٤٣

حاشية :

(١) عرفت اخيرا أن الزعيم الوطني مصطفى باشا كامل لم يعرف التدخين.



تقديم : لبنى الريدي

الربوت المقاتل

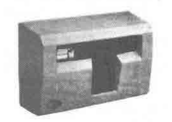
عرضت إحدى الشركات الامريكية مؤخرا نموذجا لربوت مقاتل يقوم بجميع الاعمال الدفاعية بما في ذلك قتل العدو . وهو اشبه في شكله بدبابة صغيرة . ويضم ميكروكمبيوتر ودوائر ذكاء اصطناعي واجهزة رصد بعيدة المدى بحيث يمكنه حراسة منطقة واسعة مثل قاعدة عسكرية او مطار ، وتحديد هوية اي متسلل والتصدي له .

ولقد تم تزويد النموذج بمدفعين رشاشين وجهاز لاطلاق القنابل . ولكن يستطيع المشتري تحديد نوع الأسلحة واجهزة الرصد المطلوب تزويد الربوت بها . كما يحدد ايضا مدى قدرة الربوت على التصرف وما إذا كان سيحتاج إلى اوامر من قيادة المراقبة الموجودة في محطة بعيدة قبل فتح النار على المتسلل أم إنه يستطيع اتخاذ القرار وحده .

ويعتبر هذا الربوت وسيلة مثالية لحماية انابيب البترول والقواعد الجوية والمناطق العسكرية الحساسة او حتى لحراسة قصور الشخصيات الهامة . وهو يتكلف مائتي الف دولار . إلا ان الخبراء يعتقدون ان استخدامه على المدى الطويل في اعمال الحراسة اقل تكلفة من الحارس الادمي فضلا عن ان الربوت مطيع ينفذ كل ما يطلب منه ولا ينام اثناء نوبات الحراسة .

كما سوف يستخدم هذا الربوت لحراسة السجون بحيث إذا رصد اي تجاوز من سجين يطلب منه التوقف عن الحركة ويرسل على الفور إشارة إنذار للحراس الادميين . ويتزايد اهتمام الباحثين العسكريين بالربوت المقاتل في الولايات المتحدة ويأملون في التمكن من تصميم وتنفيذ ربوت ذكي يستطيع المناورة والاختفاء وتدمير الدبابات المعادية لانه ستكون له القدرة على التمييز بين القوات المعادية والقوات الصديقة . إلا ان مثل هذا الربوت لن يصبح حقيقة واقعة قبل عشرين عاما .

تصوير اللص متلبسا !



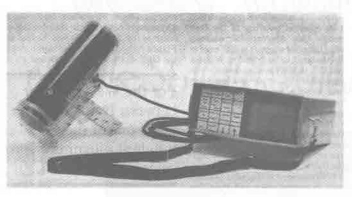
ابتكر السويسريون جهازا امنيا يصور اللص متلبسا ، فهو يقوم بثلاث وظائف في ان واحد : يرصد اي تسلل بواسطة نظام رصد يعمل بالاشعة تحت الحمراء ، ويطلق في الحال صفارة انذار قوية شدتها ١١٠ ديسيبل . ويقوم في الوقت نفسه بالتقاط صورة للمتطفل او اللص . وذلك بفضل كاميرا «بولارويد» للتصوير الفوري موجودة داخل الجهاز .

وتلتقط هذه الكاميرا صورة كل ست ثوان وتظل الصور التي تمثل الادلة الدامغة داخل صندوق الكاميرا المصفح . وتستطيع الكاميرا التقاط عشر صور دون الحاجة إلى تغيير الفيلم كما إنها مزودة بفلاش ذاتي التحكم . وبالتالي يمكن التعرف على اللص حتى وإن تمكن من الهرب .

ويتميز الجهاز بصغر حجمه (٣٧ سم ٢٤ سم ١٦ سم) وخفة وزنه (٦ كيلوجرامات) بحيث يسهل تركيبه في اي مكان فهو يثبت في الجدار بواسطة ثمانية براغي ويوصل باقرب مصدر للتيار . ويقاوم هذا الجهاز المنيع اي محاولات للتخريب فهو مزود بصفائح تدريع مزدوجة صنعت من البولي كربونات . وفي حالة انقطاع التيار الكهربي يستمر الجهاز في عمله بنفس الكفاءة لمدة ٧٢ ساعة وتتم برمجته أسبوعيا فتحدد مواعيد التشغيل المطلوبة بحيث يعمل بعد ذلك من تلقاء نفسه كما يمكن تشغيله بواسطة جهاز تحكم من بعد يعمل بالأشعة تحت الحمراء .

ويتحكم ميكروكمبيوتر في جميع وظائف هذا الجهاز المتطور كما يبين الاحداث الثلاثة الأخيرة التي قام بتسجيلها ويستخدم مجموعة من الاشارات الموسيقية للتنبيه إلى انقطاع التيار او إلى التقاطه للصور .

جـــــهاز إلكتـــــروني لتحليـــل الطــــلاء



يتسمم الاف الأطفال سنويا بسبب ارتفاع نسبة الرصاص في الطلاء المستخدم في دهان الجدران والأبواب والحواجز الخ . وظل فحص السطوح

المدهونة للكشف عن ارتفاع نسبة الرصاص في مادة الطلاء مكلفا ويستغرق وقتا ولا يعطي في النهاية نتائج اكيدة

إلى ان ابتكرت إحدى الشركات الأمريكية

جهاز تحليل الكتروني يتميز بدقته وسهولة تشغيله فضلا عن صغر حجمه .

ويتكون الجهاز من وحدتين متصلتين ، الوحدة الأولى تاخذ شكل مسدس يزن رطلا ونصف ، اما الوحدة الثانية فعبارة عن صندوق يضم ميكروكمبيوتر وشاشة عرض صغيرة . ويحتوي المسدس على مصدر اشعاعي هو عبارة عن كمية صغيرة من الكوبلت ـ ٥٧ .

فعند تقريب المسدس من السطح المراد فحصه والضغط على زناده يحدث انفجارا صغيرا وتنبعث اشعاعات ضعيفة تتفاعل على الفور مع اي اثار للرصاص من الطلاء، وتتولى دوائر الكترونية في المسدس

التحكم فى التفاعل ونقل النتائج إلى الميكروكمبيوتر في الوحدة الثانية لتحليلها بحيث تظهر نسبة الرصاص على الشاشة .

ويستطيع الجهاز اختزان ٤ الاف قراءة في ذاكرة الميكروكمبيوتر لاستخدامها فيما بعد او لطبعها على طباعة الكترونية توصل به . ويستبدل المصدر الاشعاعي كل ١٤ شهرا . ولتوفير اكبر درجة من الامان لاستخدام هذا الجهاز وضع الكوبلت المشع في عبوة من الستنل ستيل مغلقة بغلاف واق من النحاس والتنجستين .

إشـــارات المـــــرور داخــــل سيارتك !

يقترح الباحثون الالمان فكرة تصميم جديد للوحة السيارة يضم إشارات المرور بهدف تخفيض استهلاك الوقود .

ويعتمد التصميم الجديد على وجود اتصال بين نظام التحكم في إشارات المرور الذي يتولاه الكمبيوتر وبين إشارات ضوئية خاصة في لوحة السيارة بحيث تنبه

هذه الاشارات السائق إلى ضرورة تخفيض او زيادة السرعة .

فعندما يقلل السائق سرعة السيارة فانها تفقد جزءا من قوتها الدافعة ومن عزم تحركها بحيث يستهلك المحرك كمية اكبر من الوقود عند زيادة السرعة مرة اخرى .

وهو ما يحدث في كل مرة تقف السيارة في إشارة مرور . في حين يمنح نظام الاتصال المقترح بين لوحة السيارة وإشارات المرور الأوتوماتيكية فرصة اكبر لعدم تغيير السرعـة . فعندمـا تضيء إشـــارة المرور الخضراء في لوحة السيارة فمعنى ذلك ان الإشارة التالية في الطريق ستكون خضراء عند وصول السيارة إليها . وبالتالي لا يضطر السائق إلى خفض سرعة سيارته .

والشيء نفسه ينطبق على إشارة المرور الحمراء بحيث يمنح السائق فرصة تقليل سرعته تدريجيا .

ولضمـــان دقـــة هـــذا النظـــام ترسل المعلومات الخاصة بتشغيل إشارات المرور قبل الدورة الزمنية ،للاشـارة الضوئيــة والوقت الذي تستغرقه كل واحدة منها إلى الميكروكمبيوتر الموجود في السيارة . وتكون هذه المعلومات مختزنة الكترونيا قرب تقاطع الطرق في المدن الكبيرة . وتحدد

المسافة التي تبعدها السيارة في كل لحظة عن إشارات المرور المختلفة عن طريق تحديد موقع جهاز الارسال والاستقبال الفوري الذي يرسل المعلومات إلى ذاكرة الميكروكمبيوتر وتحـــديد سرعـة تحـرك السيارة .

ويؤكد الباحثون ان هذا النظام يساعد على انسياب حركة المرور وتوفير استهلاك الوقود وتقليل نسبة التلوث في المدن .

القصة الكاملة لأحسن فيلم في مهرجان "كان" ٨٤

باريس ـ تكساس

وعودة البحث في العلاقات بين الآباء والأبناء

لقطة تجمع بين الطفل ووالده .. بعد ان توطدت بينهما العلاقة .. واتفقا على البحث عن

لذلك عندما عرض مهرجان «كان» في مسابقته الرئيسية .. فيلم «باريس ـ تكساس» .. لم يختلف احد على ان هذا الفيلم هو احسن افلام المسابقة .. كان الاستقبال له في العرض الاول بالمهرجان ، نوعا من الاستفتاء الجماعي ..

ساد الصمت والترقب طوال مدة العرض والتي استغرقت الساعتين والنصف .. اكثر من خمسة الاف ناقد وصحفي من جميع انحاء العالم يجتمعون في قاعة واحدة .. ولا يحاول احد منهم أن يغادر القاعة مللا او ضيقا .. بل انتظمت الانفاس وتلاحقت المشاعر مع مشاهد الفيلم في انسجام وتوحد .. حتى انتهى

«ناستاسيا كينيسكي» ـ في دور الام ... وهي تجلس خلف الحاجز الزجاجي»



تستطيع أن تحكم على الفيلم الجيد من بين عشرات الأفلام ..
إنه ذلك الفيلم الذي يقترب منك ، وتشعر معه بالتواصل والمتعة
وليس صحيحاً أن الفن هو نوع من التعالي ، وتعقيد الأمور السهلة ، وإغراق المتفرج بالشكوك في مقدرته على الفهم .
الفن .. هو البساطة والصدق ..
والفنان الحقيقي .. هو الذي يستطيع أن يخلق هذا الانسجام بين ما يعرضه .. وبين عقليات وأمزجة المتفرجين ، مهما اختلفت ثقافاتهم وجنسياتهم واهتماماتهم .

الأم .. وهما ينتظرانها أمام المنزل المرسوم عليه تمثال الحرية .



الفيلم .. وبشكل تلقائي وقف الجميع يصفقون اعجاباً وتقديراً ..

في تلك اللحظات .. كان كل منهم يعطي صوته لصالح الفيلم .. في استفتاء حر تماماً .. وبعد تلك الليلة الحافلة ، خرجت كل التوقعات ، وتعليقات النقاد ، ترشح هذا الفيلم لجائزة احسن فيلم في مسابقة المهرجان هذا العام .

وعندما اعلنت نتائج لجنة التحكيم ، في نهاية المهرجان ، تأكدت كل التوقعات .. وفاز فيلم « باريس - تكساس » بجائزة احسن فيلم ، والذي اخرجه الالماني الشاب فيم فاندر والذي يبلغ من العمر ٣٩ عاما واتوقع الآن ان تكتسح ايرادات هذا الفيلم ، كل الارقام القياسية لايرادات الأفلام عام ٨٤ .

ذلك لان هذا الفيلم يناجي أنبل المشاعر الانسانية في العلاقة بين الآباء والأبناء ، وهذه المشاعر لا تعرف القدم ، ولا تنزوي مع تطور العصر والهموم المستحدثة .. بل ان هذه المشاعر تتأكد لدينا ، انها أهم غطاء لنا وحماية لوجودنا في دوامة الحياة العصرية ، وفي صراعنا المادي اليومي ..

العزف على وتر الأطفال

ومنذ خمسة اعوام بالضبط .. والسينما الامريكية تطرق ابواب المنازل وتسأل عن الأطفال بين العلاقات الأبوية المهشمة .

فمنذ النجاح المذهل لفيلم «كرامر ضد كرامر» عام ٧٩ ، والذي فاز بخمس جوائز اوسكار عام ٨٠ .. ومن قبله بشهور - في نفس العام - حقق فيلم « البطل » نجاحاً ملحوظاً .. والسينما الامريكية - بالذات - لا تكف عن تناول موضوع تمزق الأسرة وضياع الأبناء .

باريس ـ تكساس

وعودة البحث في العلاقات بين الآباء والأبناء

وظهر العديد من الافلام .. الفروق بينها في معيار الصدق في التناول ، ومدى البراعة في تجسيد المشاعر والغوص في الاعماق .

ولم تفلس هذه الافلام .. ولم تغلق السينما الامريكية دفاترها من هذا الموضوع .. بل ادركت من كل تجاربها السابقة .. ان اعادة النظر في العلاقات الاسرية والعزف على وتر الاطفال .. ليس مشكلة محلية تهم المجتمع الامريكي فقط .. ولكن مشكلة تهم الغرب كله .. وايضا يتعاطف معها الشرق بحكم تراثه الانساني والحضاري الذي يعتمد على كيان الاسرة وقد اصبح انفصال الابوين ، وتشتت الابناء ، وفقدان الحب والحنان .. ظاهرة عالمية ارتبطت بامراض الحياة العصرية .

ويجيء فيلم «باريس ـ تكساس» ليتوج هذا البحث السينمائي .. وليؤكد لنا ان موضوع العلاقات الاسرية .. موضوع متجدد دائما .. وان كل «حالة خاصة» هي في حقيقتها تعبيرا عن «حالة عامة» .

المخرج « فيم فاندر »



الأب في رحلة النسيان .. يحاول الهرب من لقاء اي شخص يعرفه

قصة الفيلم

«والحالة» التي يقدمها فيلم «باريس ـ تكساس» تبدا على الشاشة بلقطات متتالية لرجل متهالك ، تعدى الاربعينات من عمره ، يجوب البراري والارض الممتدة الى مالانهاية .. وقد ادركه الوهن والعطش .. وجسدت ملامحه الممصوصة ، وثيابه المهترئة .. رحلته الطويلة العبثية ، والتي ظل يسير فيها لايام وشهور .. دون ان يكون في تخطيطه هدف محدد لهذه الرحلة .. سوى ان يهرب بنفسه بعيدا عن كل الذين يعرفهم .. معتمدا الصمت التام !

وكانه انسان اراد ان يقطع كل جذوره .. وان ينسى الكلام .

وعندما يسقط مغشيا عليه .. من شدة الارهاق والعطش .. تلتقطه احدى سيارات مستشفى صغير في هذه البقعة النائية .. ويبدا الطبيب في علاجه .. حتى يصبح قادرا على ان يفتح عينيه ويتكلم ..

ولكنه لا يتكلم ابدا .. يحاول الطبيب ان يعرف من هو .. ومن اين جاء ، وهو لا يرد على اي سؤال .. وانما يفتح عينيه في ذهول ودهشة .. ويفتش الطبيب في جيوبه واوراقه علّه يعثر على اي شيء يدل على هويته .. ويعثر بالصدفة على ورقة بها رقم تليفون .. ويدق الرقم .. لنكتشف انه منزل شقيقه الذي يفاجأ بالخبر .. ويستقل سيارة مسرعا لياتي الى ذلك المستشفى البعيد عن اي عمران ..

وعندما يصل .. تكون في انتظاره مفاجاة اخرى .. الطبيب يخبره ان شقيقه قد اختفى من المستشفى منذ الصباح الباكر .. وانه لا يعرف اين ذهب .

ويشعر الشقيق بالصدمة وخيبة الامل .. وكانه ما كاد ان يمسك بخيط ، حتى افلت منه .. ويبدا في البحث عنه في تلك الصحراء الممتدة عبر كل الاتجاهات .. واخيرا يعثر عليه ، بقعة سوداء متحركة وسط الصخور والرمال .. يقترب منه وينظر اليه طويلا ويساله بلهفة : الا تذكرني .. انا شقيقك .؟ !

والرجل يبادله النظرات بعيون مذعورة ، مرتبكة .. وكانه يحاول ان يهرب من هذه المواجهة .. وبالفعل يسرع الخطى في الاتجاه الذي كان يسير فيه ، دون ان يلتفت وراءه !

ويجري شقيقه ليلحق به في توسل واصرار .. ويدعوه لان يركب معه سيارته .. فمن العبث السير في هذه الصحراء الجرداء .. ويسرع الشقيق بفتح الباب الجانبي الامامي .. ويدعوه للركوب .. ولكن الرجل في تردد وحذر شديد ، يختار ان يجلس في المقعد الخلفي !

المهم .. انه ركب السيارة .. وينطلق بها الشقيق يقودها وبين الحين والآخر ينظر للمقعد الخلفي .. وطوفان الاسئلة الحائرة لا ينقطع .. والرجل صامت تماما لا يرد ، ولايتكلم .. وعيونه تائهة في عالم حزين !

ونفهم من تساؤلات الشقيق .. انه انقضت اربعة اعوام على غياب اخيه .. حتى ظنوا انه مات ..

اربعة اعوام في التجوال بلا هدف في هذه البراري والصحراء القاحلة بولاية تكساس على حدود المكسيك ..

اربعة اعوام من الصمت المتعمد .. ومحاولة نسيان كل شيء حتى اسمه وعنوانه !

العودة الى الحياة

ويحاول الشقيق ان يستخرج اية معلومات عن غيابه المفاجيء والممتد طوال هذه السنوات .. ولكن بلا جدوى ..

يتوقف بالسيارة امام احد الفنادق الصغيرة على الطريق .. ويستاجر غرفة بالفندق .. ويدعو اخاه لكي يستريح قليلا ويستحم ويحلق ذقنه . ريثما يذهب الى المدينة القريبة ليشتري له بعض الملابس الجديدة ، لكي يرتديها بدلا من هذه الخرق الكالحة .. وحذاء جديدا بعد ان تهرا حذاؤه تماما .

ويومىء له الاخ في استسلام .. ودون ان يفتح فمه بكلمة واحدة !

ولكن عندما يعود الشقيق من رحلة المدينة ، حاملا اكياس المشتريات من الملابس الجديدة .. يفاجا باختفاء اخيه من الفندق !

ويكاد يفقد اعصابه من غرابة هذه التصرفات .. ويحاول بصبر شديد ان

يتماسك وهو يبحث عنه في الطرق المحيطة بالفندق واخيرا يعثر عليه وهو يسير مذهولا على قضبان شريط قطار .. يسرع اليه غاضبا ، متسائلا في دهشة ، «لماذا لا تثق في .. انا شقيقك .. واريد ان اساعدك .. لماذا تهرب مني » ؟ !

ويستسلم الاخ في تردد وصمت .. ويركب السيارة مع شقيقه .. ولأول مرة يجلس في المقعد المجاور له .. ولكنـــه لا يتكلم !

ويعودان الى الفندق .. لنرى الاخ وقد اغتسل وحلق ذقنه وارتدى الملابس الجديدة .. ويتعمد شقيقه ان يتحدث بالتليفون امامه وبصوت مرتفع .. ونفهم انه يتحدث مع ابن اخيه الطفل .. يبلغه الخبر السعيد «هل تذكر والدك» لقد عثرنا عليه .. وسوف ياتي معي الى المنزل .

ولاتبدو اية تعبيرات على وجه الاخ .. بل يحاول الخروج من الغرفة متجها الى الشرفة .. يساله شقيقه في محاولة دفعه للكلام .. هل تذكر ابنك «هنتر» .. عندما تركته كان في الثالثة من عمره .. وكانت صدمة غيابك عنه قاسية .. ظل يبحث ويسال عنك طويلا .. وبذلت انا وزوجتي جهدا مضنيا لكي نخفف عنه الصدمة .. انه يعيش معنا .. وهو الآن في السابعة من عمره !

ويستقبل الاخ هذه المعلومات ، بلا تعليق .. او انفعال .. حتى تظن انه فقد الذاكرة والنطق !

ويثور شقيقه لكل هذا الصمت والتجاهل .. ويصرخ فيه وقد فلتت اعصابه : «انا لا اعرف ما الذي حدث لك .. لماذا لا تخبرني بكل شيء .. انا شقيقك ...» !

ولا رد .. سوى الصمت الثقيل ..

ويواصل الشقيق ثورته : «لقد فاض بي .. ومللت هذا السكوت لماذا لا تتكلم ..؟ !!

واخيرا ينطق الاخ .. وياتي صوته وكانه قادم من بئر عميق .. ويقول « اريد أن اذهب الى باريس » .

ويفاجأ الشقيق بان أخاه قد تكلم .. ينظر له بدهشة وحب .. « ماذا تقول » .. ويكرر الاخ نفس العبارة .. موضحا ما يقصده على الخريطة الصغيرة التي يحتفظ بها في جيبه .. وصورة لمكان قاحل وسط الصحراء .. وليست باريس التي يعنيها سوى اسم ذلك المكان الصغير باحدى مدن ولاية تكساس ..

ويضحك الشقيق لهذه المفاجاة .. وتذوب جبال الثلج بينهما .. ويتواصل الحوار .. ويتحدث الاخ عن ابنه الطفل لأول مرة متسائلا .. هل السنوات الأربع التي غابها .. زمن طويل لكي ينساني فيه ابني ؟ !

وتنطلق بهما السيارة .. يتبادلان قيادتها عبر مئات الاميال لكي يصلا الى لوس انجلوس .. الى منزل شقيقه .. والى لقاء طفلـــه .

اللقاء بين الطفل وابيه

وحتى هذا الجزء من الفيلم .. لم نعرف سبب غياب هذا الرجل واختفائه لمدة أربع سنوات . . وايضا لم نعرف ما الذي حدث مع زوجته وادى الى انفصالهما .. وترك طفلهما الصغير في رعاية شقيقه .

كل ما اعطاه لنا سيناريو الفيلم ، حتى ذلك الجزء .. هذا التتابع المدهش لصورة رجل شارد ، من الواضح انه تلقى صدمة شديدة ، قرر بعدها ان يعتزل العالم ، وان يصنع لنفسه عالما خاصا به .. عالما من الصمت والحزن .. ثم محاولة شقيقه لاعادته الى الحياة .. الى الكلام .. والى الابتسامة .

يلعب دور ذلك الرجل ، الممثل الامريكي «هاري دين ستانتون» .. ويلعب دور الشقيق «دين ستوكويل» .

وينتقل بنا الفيلم ـ بتشويق شديد الاناقة والمنطقية ـ الى الجزء الخاص بلقاء الأب بطفله بعد غياب اربع سنوات ..

في أول لقاء .. يستقبل الطفل والده ببرود وجفاف .. ولا يتحمس حتى لمصافحته .. فهو لا يذكره ، ولا يعرفه .. ويستدير الطفل الى لعبه ، وكان شيئا لم يحدث .. والاب ينظر له بشرود ولا يحاول ان يفرض نفسه عليه .. ويلوذ بالصمت .

وقد تعود الطفل ان ينادي عمه بلقب «بابا» !! وزوجة عمه بلقب «ماما» .. والاثنان يعاملانه بالفعل كانه ابنهما .. ولكن الآن وقد تغير الموقف وعاد الاب الحقيقي .. اصبح عليهما ان يصححا الادوار وينبهان الطفل الى وجود والده .. ولكن الطفل لا يقبل هذا التغيير المفاجىء .. ويتقبل الاب هذه المسائل بكثير من الصبر والحكمة .. ويخطط لانشاء علاقة مع ابنه الصغير ..

يقترح مثلا .. ان يقوم بتوصيله في الصباح الى مدرسته .. ولكن الطفل يرفض باصرار وحجته انه لا يذهب الى المدرسة سيرا على الاقدام .. بينما كل زملائه ياتون الى المدرسة داخل السيارات !!

ويتقبل الأب هذا المنطق بدهشة .. ولكن دون ان يحاول الاعتراض ..

ويفكر في حيلة اخرى .. ان ينتظر ابنه على باب المدرسة بعد نهاية اليوم الدراسي .. ربما قبل ان يعود معه سيرا على الاقدام الى المنزل .. ولكن الطفل يفطن الى هذه الحيلة ، وما ان يرى والده ينتظر على الرصيف المقابل .. حتى يهرب منه .. ويحتمي بزميل له جاءت امه بسيارتها لتاخذه !

ويقلق الشقيق من استمرار هذا الوضع بين الطفل ووالده .. وذات مساء يطلب من الطفل ان يذهب لوالده ويجلس بجواره فهو يريد ان يتحدث اليه .. ولكن الطفل ببراءة شديدة يتساءل .. « في اي شيء يريد ان يحدثني .. انني لا اعرفه .. »!

ويفكر الشقيق ان يستخرج من مكتبته فيلما سينمائيا قصيرا كان قد صوره منذ سنوات لرحلة جمعت العائلتين معا .. الاب والام والطفل .. ثم هو وزوجته ..

ويبدا عرض الفيلم في صالة البيت .. ويقوم الشقيق بالتعليق محاولا تنبيه الطفل الى اللقطات التي تجمع بينه وبين والده .. انها رحلة على شاطىء البحر بكل ما فيها من لحظات لهو وسعادة ..

وينتبه الطفل في البداية .. ولكن سرعان ما يصيبه الملل وينهمك في لعبه .. في نفس الوقت الذي نلمح فيه مدى التعاسة والحزن على وجه الأب كلما ظهرت على الشاشة صورة زوجته . يغمض عينيه في مرارة وكانه لا يريد أن يرى صورتها .. او يتذكرها !!

وتنتهي هذه الامسية .. بلا نتيجة بالنسبة للطفل .. وموقفه لم يتغير من والده ..

كيف يبدو منظر الآباء ؟

وتبدو براعة سيناريو الفيلم في الطريقة التي يسرب بها المعلومات لنا .. وفي تاكيده على المشاعر الانسانية وادق الاحاسيس .. ففي احد المشاهد نرى الأب منهمكا في البحث داخل مجموعة من المجلات المصورة .. تساله خادمة المنزل عما يبحث .. يرد ببساطة شديدة .. انني ابحث عن صورة

باريس - تكساس

وعودة البحث في العلاقات بين الآباء والأبناء

اب .. ثم يتساءل بصدق وبراءة .. كيف يبدو منظر الأباء ؟

تجيب الخادمة وهي تكتم دهشتها .. إن الأباء يختلفون .. قل لي كيف تريد ان تبدو .. هل تريد ان تكون ابا غنيا .. أو ابا فقيرا ؟

ويقع في حيرة .. ويهز راسه مجيبا «اريد ان اكون .. وسط» .

وتبتسم له الخادمة وهي تقول .. «ليس هناك شيء اسمه وسط » إن الاباء المحترمين يرتدون الملابس الانيقة .. ويتحركون في عظمة وكبرياء .. ويتكلمون في ثقة ..

ويتحرك امامها .. منفذا الصورة التي رسمتها له ..

وتضحك لعذوبة المشهد .. لنفاجا بالمشهد التالي مباشرة .. وقد ارتدى الأب الملابس الانيقة .. وقف على الرصيف المقابل لباب المدرسة ينتظر خروج طفله .. وما ان يراه حتى يبدأ الاب في تمثيل دور العظمة والثقة .. ويقف الطفل مشدودا للمنظر ثم ينفجر ضاحكا ..

ويفرح الأب لهذه النتيجة .. ويواصل السير بطريقة كاريكاتيرية ساخرة .. والطفل يرقبه على الرصيف الآخر ، ويضحك وقد اعجبته اللعبة .. ويبدأ يسير مشدودا الى حركات ابيه .. كل منهما على رصيف .. وكل منهما ينظر للآخر في ود واتصال ..

وبسرعة وبحركة رشيقة وملهوفة .. يعبر الأب الطريق ، ليصل الى الرصيف الآخر ، ليسير بجوار طفله في سعادة ومرح .

حدث التجاوب في لحظة .. ويصل المشهد الى قمته .. وتتوج الموسيقى هذا اللقاء في نشوة بالغة .

هل تذكر شكل امك ؟

وتتحول العلاقة بين الطفل ووالده .. الى نوع من الارتباط الحميم والصداقة .. ويشعر الأب أن سعادة ابنه لن تكتمل إلا بعودة امه اليه .. ويقرر ان يبحث عنها .. ولا يكتم هذا القرار عن شقيقه .. الذي يحاول أن يثنيه عن هذا البحث الصعب «لقد مضت اربع سنوات .. وكل شيء تغير .. ومن المستحيل ان تعثر عليها الآن .. فلا أحد يعرف مكانها» .

ولكن الأب يرد بتصميم .. «ولكني ساعثر عليها» .. يشتري سيارة مستعملة (نصف نقل) .. ويذهب بها الى باب المدرسة ينتظر خروج طفله ، ليبلغه قراره بانه ذاهب للبحث عن امه .. يطلب منه الطفل ان يذهب معه « انني اريد ان ارى امي » .. ولا يملك الأب غير الموافقة !

ويركب الاثنان السيارة .. لتنطلق بهما الى مدينة « هيستون » .. فالاب يعرف انها تعيش هنا .

في الطريق .. كان الطفل يسال والده .. «كيف تتوقع شكل ماما .. الان » .

يهز الأب رأسه في حيرة قائلا : « لا اعرف .. ولكن هل تذكرها انت» ؟ !

يرد الطفل « قليلا » !

ويخرج الأب صورة الام من جيبه .. ويقدمها لطفله .. والذي يتاملها بامعان .. ويدرك الاب مشاعر طفله ، فيطلب منه ان يحتفظ بالصورة لنفسه !

وينام الطفل على كتف ابيه .. باحساس من الامان والدفء .

عبر الحاجز الزجاجي

وسط ناطحات السحاب في مدينة هيستون .. نصل الى ذروة الفيلم .

يعرف الأب ان زوجته السابقة .. تذهب الى احد البنوك في المدينة في يوم محدد من كل شهر لتضع نقودا في حساب طفلها

وامام البنك يقف الاب بسيارته ومعه طفله .. يرصدان حركة الخارجين منه .. ويلمح الطفل امه تستقل سيارة حمراء صغيرة .. ويبلغ والده .. لتنطلق سيارتهما خلفها .

تتوقف سيارة الام امام منزل في احد الشوارع الجانبية .. على المنزل مرسوم من الخارج صورة لتمثال الحرية .. يطلب الأب من ابنه ان يبقى بالسيارة .. ريثما يتاكد من حقيقة المنزل ..

في الداخل .. نكتشف ان المكان احد بيوت اللهو !

يخرج الأب .. لياخذ ابنه الى غرفة في احد الفنادق بالمدينة .. ويطلب منه ان ينتظره هنا .. حتى يعود إليه بامه ..

ويوافق الطفل في استسلام وحب .. وايضا في لهفة لعودة امه .

ونعود مع الأب الى هذا المنزل المرسوم على جدرانه الخارجية .. تمثال الحرية ..

هنا في هذا المنزل .. مجموعة من الحجرات الصغيرة .. كل حجرة مزودة بمقعد وجهاز تليفون .. يجلس « الزبون » على المقعد ويدير رقما بالتليفون .. فتظهر امامه عبر حاجز زجاجي ، الفتاة المطلوبة ، ليبدا الحديث معها من خلال التليفون .. بحيث يراها أمامه .. ولا تراه هي .. فالزجاج الفاصل بينهما يتيح للجالس في الحجرة ان يرى .. بينما الفتاة على الجانب الآخر لا ترى إلا مرآة ضخمة !

نوع من اللهو الامريكي !!

ويدير الأب عدة ارقام .. وتتوالى امامه عدة نماذج من فتيات .. ولكنه يريد واحدة بالذات .. إنه لا يعرف رقمها .. ولكنه

الطفل الصغير « هانتر كارسون » الذي وقف لأول مرة امام الكاميرا .. ولقطة من الفيلم وهو يجلس في غرفة الفندق







لقطة من ايام السعادة والتي جمعت الام وطفلها الصغير قبل ان تقرر الهرب وترك كل شيء

يستطيع ان يحدد مواصفاتها الشكلية .. وتاتي له.

انها زوجته السابقة (تلعب الدور : فاستسيا كينسكى) .

وما ان يراها .. حتى يهتز جسده بالتاثر والمرارة .. ويرتعش صوته .. وتبادره هي ـ التي لا تراه ـ بان تقول له : «انا مستمعة جيدة .. فلتبدا الكلام ..»

ولا يستطيع صوته ان يخرج .. ويختنق بالدموع التي تسيل على وجنتيه في صمت حزين .. وتكرر هي نداءاتها « من الممكن ان استمع الى اي سؤال .. يبدو ان هناك شيئا تريد ان تقوله .. لا تخف .. انا اعرف كيف احفظ السر ».

ولا يستطيع النطق .. كان الانفعال قد فاض به .. حتى انه لم يستطع البقاء .. فانصرف مهرولا .. وصوتها عبر الحاجز الزجاجي ما زال يردد « انا منصتةٌ لك .. استرخ .. وتكلم .. لا تعلق انا افعل هذا طول الوقت .. هذه مهنتي » !

ويعود الأب الى ابنه في الفندق .. وكانه يلوذ به ..

ولكنه ما جاء الى هنا .. إلا لكي يعيد الام الى طفله .. ويتسلل خارجا من غرفة الفندق .. وقد ترك رسالة صوتية مسجلة لطفله .

ويعود الى بيت اللهو .. ويدير الرقم .. وتاتي هي .. وعندما يراها .. يستدير بمقعده .. ويعطي لها ظهره .. حتى يستطيع ان يتكلم كما يريد ..

ويبدا الكلام .. إنه يحكي عن اثنين احبا بعضهما .. كانت تصغره باعوام .. وكان هو يغار عليها .. احبها بجنون ولكنها شعرت ان هذا الحب يقيد حريتها .. وتاكد لها هذا الاحساس عندما انجبت طفلها .. كانت قلقة دائما بالنسبة للنقود .. طموحها المادي يفوق قدرته .. فقررت ان تترك كل شيء وتهرب ..

انه يحكي .. ويبكي ..

وتدرك هي ان هذا الصوت تعرفه .. انه صوت زوجها .. وتنطق اسمه .. ولكنه يواصل حكايته .. وكانه يريد ان يخلص من الكابوس الذي جثم على صدره طوال السنوات الماضية ..

يقول : لقد احب اثنين في حياته .. زوجته وطفله .. ولكنهما ذهبا .. ولم يحتمل البقاء .. كان يريد ان يهرب الى مكان لا يعرفه فيه احد .. ولا يتكلم فيه مع احد .. ظل يجري وسط الطرق حتى غابت الشمس .. ثم اشرقت الشمس مرة اخرى وهو ما زال يجري .. خمسة ايام متواصلة .. حتى اختفى ..

ويصل هذا المشهد الى ذروته .. وهي تحاول ان ترى ملامح زوجها .. ولكن الحاجز الزجاجي امامها لا يتيح لها إلا ان تشاهد نفسها في المراة .. وتتحول الى امراة عاجزة ملهوفة .. تحاول ان تجد منفذا للتوصل اليه ولكنها لا تستطيع شيئا .. وتتحرك في الغرفة الزجاجية وكانها نمر جريح !

تطلب منه ان تراه ..

يقول لها .. إنه لم يات لكي يعود اليها .. ولكنه حضر ليبلغها أن طفلها ينتظرها في الفندق .. اما هو فانه سيواصل اختفاءه ،

تصرخ فيه : «لا تذهب » .. وتحكي من بين دموعها كيف كانت تتخيله وهو غائب .. وتستحضر صورته لكي تتحدث معه !! ظللت شهورا وانا اتحدث معك .. كنت اتوقع عودتك .. فاظل متيقظة طوال الليل .. ومرت الشهور .. ولم اعد اسمع صوتك .. وتوقف كل شيء .. واخترت ان اعمل في هذا المكان لكي اسمع الاصوات » !

مشهد طويل .. يستغرق ثمان دقائق على الشاشة .. ولكنك لا تشعر ابدا بلحظة ملل .. فقد تحول الحوار الى نوع خاص من الشعر .. وجسدت ملامح الوجه معنى كل كلمة ..

وتاتي النهاية .. بلقاء الام بطفلها .. وكل السعادة تغمر الطفل وهو لا يصدق عينيه .. يحتضنان بعضهما في لهفة واشتياق .. ان الام لطفلها .. اما الاب فقد انتهت مهمته .. هكذا ابلغ الاب ابنه في التسجيل الصوتي الذي تركه له .. انه يقف الآن في الطريق يرقب اللقاء من وراء زجاج نوافذ الفندق والذي تنعكس عليه صورة ناطحات السحاب وتكاد تحاصره .. ويستقل سيارته لينطلق الى المجهول الذي اختاره ولم يجد بديلا له .

●●

هذا هو فيلم «باريس: تكساس» الذي يقدم ماساة عصرية .. عندما تنهزم البراءة امام الطموحات الخاصة .. ويجني الثمار هؤلاء الاطفال الذين يفتقدون الحب والحنان ..

كتب الفيلم .. «سام شيبرد» .. وهو واحد من المع الفنانين الامريكيين والذي اعتبره النقاد احسن من يكتب معبرا عن جيل الشباب .. وله مؤلفات مسرحية زادت عن اربعين مسرحية اخرج بعضها للمسرح .. ومثل للسينما .. وكتب لها ايضا العديد من السيناريوهات .. ولم يتجاوز عمره الآن الأربعين عاما ..

اما المخرج «فيم فاندر» فهو الشاب الخجول الصامت .. الذي عرفته السينما الالمانية واحدا من مجموعة المخرجين الشبان الجدد .. والذي اعاد الحياة والاحترام لها على خريطة السينما العالمية

وهذا الفيلم اعلان جديد بموهبته .. وايضا تاكيد بان السينما هي فن مخاطبة المشاعر النبيلة .

رءوف توفيق



قصة بقلم: محمد زفزاف

قالت :

ـ ما انا إلا ارملة عجوز لا ابناء لي ، ولا احد لي في هذا العالم سوى الله . وإذا لم ادافع عن نفسي فمن الذي سيفعل ذلك .

قالت امراة :

ـ اخشي عليك ان تقتلك إحدى الحيات ذات يوم .

ـ وإذا اراد الله لانسان ان يموت حتى بلدغة حبل ، فانه لا يمكن لاحد ان يقف في وجهه . ثم إنه بالرغم من قتلي لهذا العدد الكبير من الحيات كل السنة فانها لا تنقرض ابدا من المنطقة .

كانت معروفة بقتل الحيات ، لها طريقة خاصة في البحث عنها ، تحت اية كومة تبن او اية قطعة حجر . كانت لها اساور من جلود الثعابين ، واحزمة مختلفة الالوان رؤوس الثعابين تبيعها للعطارين المتجولين على دوابهم . مقابل سكر او شاي او زيت او صابون . قيل إنها تستعمل للسحر واحيانا لشفاء الاطفال ولكنها لم تنو قط في حياتها ان تسحر حتى لاقرب الناس إليها .. المرحوم زوجها . السحر حرام . وعاقبة الساحر لا يعلمها إلا الله ، وهي تعرف ان كل امراة ساحرة كانت نهايتها مفجعة ، كسر في الرجلين او عمى في العينين ، او إصابة في الابناء والانعام .

نظرت إليها امراة وهي تحمل قفة مليئة بالطين فوق الراس .

ـ يا اختي ! لا ادري كيف اعطاك الله هذه الشجاعة ، وهذه القوة على مهاجمة الثعابين والحيات في اوكارها .

ـ كيف اخاف ؟ لقد رايت جدي وانا صبية يمتطي فرسا في نهاية الليل وهو عار تماما مثلما خلق الله آدم . ثم طارد مجموعة من اللصوص جاءت لتسرق ابقارنا . لم يكن يخاف البرد ولا بنادق اللصوص . رايته في نهاية تلك الليلة يطلق في السهب رصاصته وراء اللصوص ، ولم يعد إلى البيت إلا ومعه الابقار . ذهبت جدتي وسترته بقطعة ثوب حتى لا نرى عورته . كيف لامراة مثلي ذاك هو جدها ان تخاف من ثعبان .

انصرفت المراة وتركت الأرملة العجوز ملفوفة في عدة اماكن من جسدها بجلود الثعابين الملونة ، تنثر الحب للدجاج ، وتنادي على ديكين ابتعدا عن المجموعة ، غرست اصابعها في الارض والقت بطوبة من التراب على الديكين اللذين انضما على الفور إلى المجموعة . لونهما زاه يلتمع تحت اشعة الشمس ، كانت تحصي دجاجاتها كل ساعتين . فربما مر من هنا ثعبان او اي حيوان آخر ، حتى ولو كان بني آدم . قبل اكثر من اربعين سنة كانت هناك ثعالب وذئاب لكنها انقرضت نهائيا ، ربما قضى عليها هؤلاء الذين ابتنوا هذه البيوت المتفرقة والتي لا يزورونها إلا في الليل يفعلون فيها اشياء مشبوهة . عدد الدجاجات لم ينقص ولن ينقص لانها حريصة على ذلك . وهي لا تبيع بعضها إلا إذا سمن . تفتخر بان دجاجها دائما هو الاسمن ، وبيضها هو الاكبر في حين ان دجاجات الآخرين لا تبيض إلا بيضا في حجم الحمام .

هشت بغصين شجرة يابس في الفضاء ، ثم توجهت نحو البيت المصنوع من التبن والطوب . لكنها رات عزوز قادما جهتها وقد ترجل عن عربته ، ابتسمت لانها فكرت في شيء تقوله له من شانه ان يغضبه . لكنه لم يكن يغضب منها ، سمعته يقول على بعد خطوات منها :

ـ كيف حالك ايتها الفارة ؟ أمازلتِ تصطادين الثعابين ؟

ـ حتى الرجال لا يستطيعون ذلك . الا تذكر عندما كنتم ثمانية واستطاع ثعبان واحد ان يهزمكم ، لم تستطيعوا قتله إلا بالماء ! اية رجولة هذه ؟ لقد اصبحتم ضحكة في افواه نسائكم وبناتكم .

ـ نحن لم نرضع سما من افواه امهاتنا ، كما فعلت انت .

ـ اية رجولة هذه ؟ لقد مات سيدكم ، سيد الرجال كلهم ، ولهذا لم ارد ان اتزوج بعده . لانه لا يمكن ان يعادل حتى قلامة ظفره .

ـ الله يرحمه ! لماذا تتحدثين عن الاموات ايتها الفارة العجوز ؟

ـ زوجتك ليست احسن حالا مني .

اخذا يضحكان . ثم القت بالغصين اليابس على الارض ، نفضت كفيها من التراب ، ثم مسحتهما في ثوب قشابتها ، قالت :

ـ هل عدت من عين الذئاب ؟

ـ نعم ، لكني تركت العربة في الطريق الثانوية عند شاطىء البحر ونقلت كيسين من العلف على ظهري حتى العربة ، وقد تجنبت الطريق الرئيسية لانك تعرفين ما الذي يستطيع ان يفعل بي رجال الجندرمة لو ضبطوني .

ـ اعرف .

ـ وكنا في حاجة ايضا إلى كيس من السكر ، سنتوزعه فيما بيننا ولهذا الغرض جئت إليك .

ـ اترك لي كيلو غراما او كيلو غرامين ، لكن ليس معي فلوس .

ـ انت واحدة منا منذ ان رحل المرحوم . منذ متى طالبناك بالفلوس ؟ تستطيعين ان تدفعي دجاجة ، سوف نرى فيما بعد عندما اتحدث إلى الجماعة .

ثم قال وهو يتوجه نحو العربة :

ـ وإذا كنت في حاجة إلى الزؤان فهو موجود ، تعالي لتاخذيه او ربما ارسلته لك مع الصبية منانة .

شعرت في اللحظة بانها ليست وحيدة حقا ، ولكنها مع ذلك تشعر بالوحدة عندما تفكر ان هذه الثعابين الملعونة تهدد دجاجاتها على مر السنة . اما عندما يصيب دجاجاتها وباء فذلك امر الله ، ولا دخل

لاحد فيه ؛ ولكنها عندما تدرك انها ماتزال قادرة على قتل ثعبان ، تتاكد من انها لن تموت جوعا ذات يوم .

لها طريقتها الخاصة في صيد تلك الحيات والثعابين ، تتربص بالثعبان كلما سمعت نقنقات الدجلج ، وعندما تعرف مكمنه ، تنقض على ذيله بسرعة ، ثم تاخذ في التطويح به في الفضاء حتى يصاب بدوخة ، ثم تخبطه مرارا على قطعة صخر صيني مرارا . تتعفر قطعة الصخر بالدم ويتلطخ المكان كذلك . وعندما تشعر بان جسد الثعبان فقد كل قوة على المقاومة ، تلقي به بعيدا ، وتبقى تتفرج عليه من بعيد لكن لا تلقي به إلا إذا كانت متاكدة من انه مات ، احيانا تنفلت بعض الثعابين وتختفي في احجار السور ، لكن الارملة العجوز بامكانها ان تظل النهار كله تنتظر خروجها . دخلت إلى البيت ، لكنها سمعت في الخارج صوتا ينادي عليها «عمتي !» عرفت الصوت للتو ، خرجت إلى الباحة ، قالت العجوز :

ـ منانة ! تعالي اقتربي . هل تريدين بيضة تسلقينها ؟

قالت الصبية :

ـ لقد ارسل لك ابي هذه المخلاة ، وهي مليئة بالزؤان .

ـ تعالي اقتربي .

كانت الصبية حافية القدمين ، تشد راسها بمنديل ممزق ، في حين تتدلى من يدها مخلاة مصنوعة من الدوم تلامس الارض ، تخلصت من المخلاة واخذت تحك عجيزتها ، ثم حكت ايضا شعر راسها ، رات العجوز ذلك ثم قالت :

ـ لقد توسخت ، لاشك انك لا تستسلمين لامك عندما تريد ان تغسلك سوف يكثر في شعر راسك القمل ، إن تكاثر القمل يقلل من عمر الانسان . عليك ان تعيشي طويلا حتى تتزوجي وتنجبي لامك اولادا .

اقتربت منها وحملت المخلاة ، علقتها عند عمود خشبي يبرز من جدار البيت ، ثم دخلت إلى البيت وخرجت ببيضة في يدها قدمتها للصبية :

ـ إياك ان تكسريها .

قالت منانة :

ـ اما تزالين تصطادين الثعابين يا عمتي !

ـ لقد اختفت هذه الايام ، ولو لم افعل ذلك لما بقيت دجاجة واحدة حية .

ـ اخاف عليك ان يعضك ثعبان ذات يوم .

ـ لا تخافي ، ما تزال عمتك قوية لقتل كل ثعابين اولاد جرار ، هل تريدين ان اسلق لك بيضة ؟

ـ لا سوف اسلقها في البيت .

ـ اسلقيها وكليها وحدك ، لا تقدمي منها شيئا لأحد .

ـ نعم .

اختفت الصبية وراء الاشجار التي كانت تقوم مقام السياج حول بيت العجوز من الجهة اليسرى الغربية ، كان هناك مجمر من الطين في مكان ما قرب باب البيت : وضعت فيه فحما ناشفا منذ ساعات وهي تنتظر ان تجتاح النار قطع الفحم ، لكن ذلك كان عبثا رغم انها سقتها باوقية كاز ، تصاعد اللهب اول الامر غير ان ذلك لم يكن له اي مفعول على الفحم الناشف . كانت تسمع احيانا فرقعة الشرارات تنبعث من المجمر فتذهب لتطل على قطع الفحم لعلها تكون قد احمرت ، وراحت مرات عديدة تسوط على المجمر بقطعة من الزنك وتنفخ بفمها ، ثم في النهاية وضعت طجينا فوق المجمر ، كان فيه شيء من السمك والجزر ، والدقيق . كان في الطجين سردينات ، ولم تدر من الذي سيشاركها الاكل هذا اليوم . كانت الآن جالسة على الرمل الحار ، لكنها سمعت الدجاجات تنقنق وتتفرق ، قالت إنه هو من غير شك ، ثعبان ولاشك ، وقفت متحفزة ، وذهبت تتربص به . جحظت عيناها تبحث ما بين الحشائش ، سمعت من ورائها منانة :

ـ عمتي ، هل هو الثعبان .

التفتت إليها :

ـ الم تذهبي إلى بيتكم ؟

ـ لا لقد تكسرت البيضة .

ـ لقد قلت لك ذلك ، ابقي هناك في مكانك حتى لا يلدغك الثعبان ، سوف اسلق لك بيضة اخرى .

تشتتت الدجاجات مذعورات ، وهي تقفز ، فوق الاعواد القصيرة هنا وهناك بحثت العجوز عن اثر الثعبان لكنها لم تجده ، كانت هناك ضفدعة راسها مدفون في جسمها تنط ببطء ، وقالت العجوز :

ـ ليس هناك ثعبان ، هناك ضفدعة فقط.

قالت الطفلة :

ـ اقتليها مثلما تفعلين بالثعابين .

قالت العجوز :

ـ لا ، انا لا اقتل الضفادع ، تعالي اقتليها انت ، تعالي لتتعلمي قتل الضفادع قبل قتل الثعابين .

اقتربت الطفلة وهي تنظر إلى الضفدعة السمينة ، قالت العجوز :

ـ انقضي عليها بسرعة ، امسكيها من قدمها ، ثم طوحي بها في الهواء حتى تدوخ ، وبعد ذلك اضربيها على هذا الحجر الصيني .

كانت منانة خائفة ، مرتعبة ، لكن حافزا قويا جعلها تنقض بسرعة وتمسك الضفدعة من قدمها ، اخذت تلوح بها في الفضاء مثل لعبة مصنوعة من الخرق ، والعجوز تشجعها «استمري إنها لم تدخ بعد» عندما اصبحت قرب قطعة الحجر الصيني ، خبطت منانة الضفدعة فتشتتت امعاؤها ، وظل مع ذلك جسدها يتحرك حركة الموت الاخيرة ، اقتربت العجوز واطلت على الجسد الميت ، ثم جرت الطفلة من يدها :

ـ هكذا افعل بالثعابين ، الآن سوف تغسلين يدك وسوف أسلق لك بيضة ، في المرة القادمة سوف اعلمك كيف تقتلين ثعبانا .







إشـــراف
ســنان المســلماني

ملاحظات هامة :

(١) اذكر على غـــلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

(٢) المسابقة العامـــة تتضمن (من ـ اين ـ مـا) والاجابة الصحيحة .

(٣) لايجوز الاشتراك فى اكثر من مسابقة فى العدد الواحد حتى لا يـــلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجـــلة الدوحة ـ ص . ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .

● لا تقبل الحلول التى لا يصاحبها كوبون المسابقات المنشور على صفحة ١٤٣ .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : مدينة في الضفة الغربية ، يطلق عليها لقب « جبل النار » ، يقاوم أهلها في استبسال خطط التهويد .. بها جامعة مشهورة .. ، ما اسم المدينة ؟

● ● ●



الصورة الثانية : علم من أعلام الغناء والتلحين في العصر العباسي ، عاصر ابراهيم الموصلي وكان ينازعه المقام الفني .. من هو ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٠٢





الصورة الأولى : ميناء وهران في الجزائر
الفائز : محمد عثمان – الاسكندرية
الفائز : ابراهيم يحى – سلطنة عمان



الصورة الثانية : أبو العباس شمس الدين
الفائز : سلامةحسن – الأردن
الفائز : حدادى نجيب – المغرب (اشتراك)

سخرية السياسي



أرسل الأديب الساخر برناردشو إلى صديقه ونستون تشرشل رسالة قال فيها : أرفق لك هنا تذكرتين لمشاهدة العرض الأول من مسرحيتي الجديدة . إحدى هاتين التذكرتين لك والثانية لأحد أصدقائك إن كان لك أصدقاء !

فرد تشرشل عليه بسخرية أشد قائلا : يؤسفني أنني لن أتمكن من مشاهدة العرض الأول ، لارتباطي بموعد سابق ، ولكنني سأحضر لمشاهدة العرض الثاني ، إن كان لمسرحيتك عرض ثان !

علي محمد علي
السودان – حلفا الجديدة

لقطة الشهر



لقطة للقارئة نجية محمود علي – عدن من اليمن
وقد فازت بالجائزة مائة ريال قطري

لن يعيش طويلا

حكي أن غلاما لقي أبا العلاء المعرى فقال : من أنت ياشيخ .. قال : فلان ...
قال : أنت القائل في شعرك :
فإني وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل
قال : نعم .
قال : إن الأوائل رتبوا ثمانية وعشرين حرفا للهجاء ، فهل لك أن تزيد عليها حرفا ؟
ودهش أبو العلاء من ذلك وقال : إن هذا الغلام لن يعيش طويلا لشدة حذقه وتوقد فؤاده

هشام الحمد – سوريا

نساء دخلن التاريخ

مجاهدة عربية من فلسطين ، وزوجها هو المجاهد الكبير عبد القادر الحسيني قائد جيش الجهاد المقدس في عام ١٩٣٥ م اقترنت بالزواج من ابن عمها الشاب الوطني الغيور عبد القادر الحسيني ، وبعد شهر واحد من الزواج كانت وجيهة تودع زوجها وهو متوجه الى جبال الخليل ليشارك اخوانه المجاهدين في مقارعة الاستعمار البريطاني في فلسطين حيث كان الاضراب المشهور في عام ١٩٣٦ .

كان بيتها ملجأ للمجاهدين ، ومخزنا لاسلحتهم ، ومطعماً لمآكلهم ، كانت تقضي الساعات الطوال لتجهيزهم من أجل القتال ، تطهو ، تغسل ، ترتق ملابسهم ، تبث فيهم روح النضال .

رافقت زوجها في بعض من المعارك التي خاضها مع الصهاينة حيث كانت تزود المقاتلين بالماء مع الكثيرات من المجاهدات .. ولها حكايات انسانية رائعة تتعلق بجهادها

انجبت ثلاثة أولاد وفتاة .. ربتهم تربية فاضلة ، وقد تخرجوا من الجامعات المصرية . في عام ١٩٤٧ وعندما أراد زوجها السفر من مصر الى فلسطين بعد قرار التقسيم قالت لرفاقه المجاهدين وهي تودعهم : أنا لست متأثرة على سفره معكم ولكنني استحلفكم بالله أن لا تبخلوا عليه بالسلاح !

وعندما نعى الناعي اليها استشهاد زوجها في معركة القسطل يوم ٨ من ابريل عام ١٩٤٨ م قالت بشجاعة المؤمنات : لا تبك يا رجل .. فيموت عبد القادر وإخوانه تعيش فلسطين .

وفي العام الماضي توفيت المجاهدة الصادقة ، وفي قلبها حسرة ابدية لانها لم تشهد تحرير القدس الحبيبة .

[من كتاب الشهيد الحى عبد القادر الحسيني] اختيار : اسحاق شحادة الزميل الاردن













مَن ؟

رحالة عربي شهير ، ولد في عام ١٣٠٤ م ، قضى ٢٨ سنة يجوب الارض شرقا وغربا ، وقطع في رحلاته مسافة لم يقطعها رحالة في العصور الوسطى ، فقد قطع ١٢٠ الف كيلومتر ، اسمه من مقطعين وثمانية حروف :

٢ ، ٣ إسم شراب موطن زراعته الأصلي الحبشة وادخل بلاد العرب في القرن الخامس عشر .

٧ ، ٦ ، ٢ ، يستخدم في البناء .

أين ؟

قام هذا الرحالة باخر رحلة له في عام ١٣٥٢ م وكانت إلى السودان الغربي ، وعاد الى مدينة عربية اقام فيها حتى وفاته في عام ١٣٧٨ ، المدينة بها جامعة اسلامية قديمة ، واسمها مكون من مقطع واحد وثلاثة حروف :

٢ ، ٣ ، ١ تعني الاعتذار .

ما ؟

املى هذا الرحالة اهم رحلاته على كاتب ببلاط السلطان ابي عنان المريني اسمه ابن جزي الذي كتب رحلاته تحت عنوان مكون من ستة مقاطع و ٣٦ حرفا :

٣ ، ٧ ، ١٧ ، ١٠ لارشاد السفن .

الاجابة الصحيحة

١ – جوهر الصقلي : قائد فاطمي ، كلفه المعز لدين الله بأن يكون قائداً لحملة فتح مصر ٩٦٩ ، وبعد أن دخل الفسطاط أسس مدينة ، وبنى الجامع الأزهر ..

ترى في أى الأعوام بني الجامع الأزهر :

(٩٦٩ – ٩٧٠) (٩٧٠ – ٩٧١) (٩٧٠ – ٩٧٢)

٢ – جمهورية داهومى دولة افريقية استعمرتها فرنسا عام ١٨٩٤ ، ترتبط الآن بعد استقلالها وقبولها عضوا بالأمم المتحدة ، بدول المجموعة الفرنسية ، وتحصل من فرنسا على مساعدات اقتصادية ، وكان أول رئيس لها هو « هوبرت ماجا » . ترى في أى عام حصلت على استقلالها :

(١٩٧٠ . ١٩٦٠ . ١٩٦٥)

٣ – ولد بأنطاكية عام ١٦٠٠ م . وكان مكفوف البصـر . وقرأ المنطـق . ودرس الطبيعيات والرياضيات . وأجاد اللغة اليونانية . ثم جاء إلى مصر وألف تذكرة عرفت باسمه . ولا يزال المرضي حتي اليوم يعالجون أنفسهم بوصفاته ..

مـن هـو ؟

٤ – في عام ١٨٧٥ تم عبور المانش سباحة .. فمن هو أول من عبر القنال الانجليزى (المانش) سباحة ؟

هنرى جوستاف – ماثيو وب – فرانك سيناترا

٥ – توجد خمس دول تمتلك القنبلة الذرية رسميا . هل يمكنك تحديدها ؟

حل مسابقة العدد ١٠٢

من : عبد الكريم الخطابي

أين : المغرب

ما : الفوسفات

الاجابة الصحيحة :

١ – ١٨٩٣

٢ – أحمد شوقي

٣ – في انتظار جودو : صمويل بيكيت

عطيل يعود : كازندزاكي

لعبة الكراسي : يوجين يونسكو

أوديب ملكا : سوفوكليس

٤ – الغاز هو أحد مركبات البروم

أسماء الفائزين في مسابقة

١ – أصل وصورة : الجبهة – الشعر – الذقن – الأذن – الحاجب – الأنف – الشارب

٢ – لوحة لم تتم : نجيب الريحاني

٣ – خيال من : موسوليني

٤ – لأقوياء الملاحظة فقط : سكين ، علم ، شمسية ، ترابيزة ، كرة ، معجون أسنان

٥ – المثل يقول : كان في جره وطلع لبره !

٦ – لعبة الظلال : رقم (٢)

٧ – دورى الكاريكاتير : رقم (١٠)

الفائزون

١ – عزة شهاوى خليل – السعودية

٢ – جانيت حليم شنودة – الاسكندرية

أسماء الفائزين

١ - فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى :
القارىء : عبده سعيد فارع - اليمن

٢ - فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى :
القارئة ميرفت محمد ابراهيم - ج.م.ع

٣ - فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى :
القارئة : إنشراح يوسف عثمان - الأردن

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ - وليد حسن فراج السعودية
٢ - لمرابط بو جمعة المغرب
٣ - سامى يوسف عبد السيد ج.م.ع.
٤ - خميس أركو سناوى السودان
٥ - شعبان عبد البديع فراج ج.م.ع.
٦ - خالد حسن احمد السودان
٧ - جهاد طاهر سعدون الأردن
٨ - طه السيد عبد الجواد ج.م.ع.
٩ - محمد طاهر القادى اليمن
١٠ - محمد بدر أحمد الامارات العربية المتحدة

استراحة الدوحة العدد ١٠٢

٣- علي صالح الصمادى - الأردن
٤- عز الدين أحمد يوسف - مصر
٥- نجوى نصر خيرى - السودان
٦- جميل زكي درويش - مصر
٧- محمد صالح أحمدمحمد - سلطنة عمان
٨- ركاب بو شعيب - المغرب (اشتراك)
٩- طارق السعيد خضير - مصر
١٠- ايزابيل ثروت يوسف - القاهرة
١١- ليلى حسين حجازى - الاردن
١٢- بدر الدين محمد نعمان - السودان
١٣- محمد أحمد السيد ابو العطا - الاسكندرية
١٤- محمد سامح عادل صدقي - أبو ظبي



قضي احد الفنانين بضع سنوات يسجل بريشته روائع الجمال حيث كان ، ولكنه لم يقنع بما ابدعته ريشته من لوحات . وراح يبحث عن اجمل شئ في الوجود ليرسمه . واثناء بحثه قابل رجلا من رجال الدين ، فحدثه عن بغيته وسأله عن رأيه . فقال له الرجل : « أجمل مافي الوجود الإيمان ... فإنك تجد مايغنيك في اى بيت من بيوت العباده ينتمى الى اى عقيدة من العقائد . »

وواصل الفنان بحثه . فصادف زوجين حديثي العهد بالزواج ، فوجه اليهما نفس السؤال . فأجابا : « أجمل شئ في الحياة الحب . إن الحب يحيل البؤس نعمة والشقاء سعادة والدموع فرحاً »

وسار الفنان في طريقه يواصل البحث . فرأى جندياً عائداً من إحدى المعارك ، يجلس متعباً على شاطئ البحر ساهماً ، فحياه وراح يحدثه . فلما فهم الجندى امنيته ، قال له : « السلام ياسيدى اجمل شئ في الوجود . والحرب اقبح شئ فيه . »

واطرق الفنان وهو يتمتم : « الإيمان والحب والسلام ... ترى كيف اصورها جميعاً ! ! ! » وعاد الى البيت وهو مكدود الذهن من التفكير . ولكنه ماكاد يدخل عتبة البيت حتي وجد بغيته . ففي عيون أطفاله رأى الإيمان مجسماً ، وفي بسمة زوجته رأى الحب ناطقاً : وفي ارجاء البيت كان يرفرف السلام الذى حدثه عنه الجندى .

فرسم الفنان صورة « أجمل مافي الوجود » وعندما فرغ منها سماها « البيت » .

امنة احمد مختار
بورتسودان - السودان

كوبون مسابقات مجلة الدوحة

الاسم : ....
العنوان : ....
....
اسم المسابقة : ....
رقم العدد : ....

« تحذير »
التدخين يضر بصحتك
وننصحك بالامتناع عنه



استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف

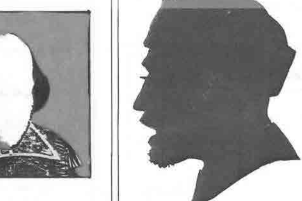
أصل وصورة



بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري للفنان السعودي محمد عبده . هناك سبعة اختلافات بسيطة . إذا استطعت التعرف عليها ، أرسل لنا الحل لتحصل على جائزة

خيال من ؟

لوحة لم تتم



إنه عالم اسلامي كبير . اشتهر بأحاديثه الدينية التي يقبل على الاستماع إليها المسلمون في كل مكان .. من هو ؟ .. في انتظارك جائزة

هذه اللوحة التي لم تتم لأشهر أدباء انجلترا وأحد اعلامها .. أكمل اللوحة وتعرف على الشخصية لتحصل على جائزة

يخلق من الشبه أربعين















ولد الفنان الراحل يوسف وهبي في عام ١٨٩٦ . ودرس التمثيل في ايطاليا وعاد ليؤلف فرقة مسرحية قدم بها أهم المسرحيات لجهابذة الكتاب مؤلفة ومعربة ومقتبسة ،حتى لقب بعميد المسرح العربي . والصور الست المنشورة للفنان شديدة الشبه بشخصيته ولكن بينها لوحة واحدة تشبهه . إذا تعرفت عليها لك جائزة

لعبة الظلال



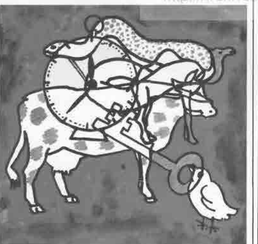
حاول من فضلك أن تساعد هذا اللاعب في العثور على ظله الحقيقي . وإذا نجحت في ذلك في انتظارك جائزة

هات أجمل تعليق :



مطلوب تعليق خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري حتى تفوز بجائزة

لأقوياء الملاحظة فقط !



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة . هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. إذا عرفت الحل أرسله إلينا لتحصل على جائزة



بقلم: محمد أحمد الشدي

من يتحمل المسئولية؟

يشكو بعض النقاد من جمود الحركة الفكرية والادبية والثقافية في الوطن العربي خاصة وفي منطقة الخليج بوجه عام ..

ويرى هؤلاء النقاد ايضا أن النتاج القليل الذي يصدر او ينشر في الاونة الاخيرة هو نتاج هزيل ... باهت ... خير منه العدم .. !

وهذا الاتهام للأدباء والمثقفين والمفكرين وان كان فيه شيء من الصحة والصدق ... الا انه يحتاج الى بحث والى نقاش موضوعي قد يكون مثمرا وقد يكون مجرد زوبعة تنتهي الى لا شيء ... !

وما نريد مناقشته بهدوء هو ملامح الحركة الأدبية والثقافية والفكرية في منطقة الخليج على اعتبار التقارب الموجود بين ادباء ومفكري هذه المنطقة التي تتصف بالهدوء .. والتعقل ... وعدم الاندفاع ..

ثمة شيء ملحوظ لا يمكن تجاهله طرا على هذه المنطقة نتيجة النهضة العلمية وانتشار الجامعات ... ونتيجة التطور السريع في شتى مجالات الحياة كل ذلك افرز عددا من الادباء والشعراء والنقاد والباحثين ... فازدهرت صناعة النشر ... حتى اصبحت اضعاف اضعاف ما كانت عليه قبل سنوات ...

لكن الشيء الملحوظ ايضا ... ان هذا النتاج الادبي والثقافي والفكري هو نتاج غير منتظم ... وغير منتظم ايضا ...

فبرغم الدعم والتشجيع الذي يحظى به الادباء والدارسون والباحثون من حكومات دول المنطقة الخليجية ... الا اننا نادرا ما نجد شخصيات ادبية برزت على مستوى البحث ... والشعر والقصة !! واصبح لها نتاج مرغوب ومطلوب يهتم به القارىء في الوطن العربي ..

هناك من يقول ان نضج المسيرة الثقافية والادبية يحتاج الى تفاعل شديد وزمن طويل ...

هذا صحيح ، ولكن التفاعل المطلوب كان يجب ان يبدا بين ادباء منطقة الخليج حتى تتلاقح الثقافات والافكار ...

لقد كان من المنتظر ان يبدا هذا التفاعل والتواصل . من الادباء الشيوخ في منطقة الخليج وهم يعدون بالمئات ، ولكن الذي حدث ان الأدباء والمثقفين الشباب هم الذين يحاولون بكل جهودهم أن يضعوا اساس الوحدة الأدبية الثقافية ... من خلال اللقاءات والندوات والامسيات الشعرية بشكل لم يسبق له مثيل ...

ان في المملكة ... كما في البحرين كما في قطر الخ ادباء كثيرون .... وحقيقيون .. ولكن ادبهم ونتاجهم وفكرهم لا يتعدى حدود اوطانهم .. لماذا !!

لأن هناك سلبيات في مجال الاعلام الثقافي ...

ان النهضة الحضارية التي تعم منطقة الخليج لابد لها من نهضة ادبية وفكرية تواكب العصر ، وتتجاوز الزمن ، وتقتحم المجهول ... وبغير ذلك سيظل ادب المنطقة وفكرها ادبا وفكرا محليا ... وفي اضيق الحدود !! وهذا ما لا نريده ابدا في عالم يتقدم بسرعة الضوء ... والكمبيوتر ... بسرعة الحياة نفسها !!

— الرياض —